الأسرة
على مشارف القرن 21

الأدوار - المرض النفسي - المسؤوليات

الأستاذ الدكتور
عبد المجيد سيد منصور
أستاذ علم النفس بالجامعات السعودية
وجامعة الأزهر سابقًا

الأستاذ الدكتور
زكريا أحمد الشربيني
أستاذ علم النفس ومدير مركز الانتساب
الموجه جامعة الإمارات العربية المتحدة

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٣٠٦,٨٧ عبد المجيد سيد أحمد منصور.

م ج أ س الأسرة على مشارف القرن 21 : الأدوار ، المرض النفسى، المسئوليات / عبد المجيد سيد أحمد منصور ، زكريا أحمد الشربينى . - القاهرة : دار الفكر العربى ، ٢٠٠٠ .

٢٣٠ص؛ إيص ؛ ٢٤سم.

ببليوجرافية: ص ٢٢٥ - ٢٢٨.

تدمك: ٣-١٢٨٤-١٠-٩٧٧.

١- الأسرة. ٢- العلاقات الأسرية. ٣- الآباء والأبناء.

أ- زكريا أحمد الشربينى ، مؤلف مشارك . ب - العنوان.

تصميم وإخراج فنى

محمد متولي



بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

نبدأ بخير الكلام، وخير الكلام، كلام الله، نبدأ بذكر الله:

«ألا بذكر الله تطمئن القلوب»

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧)﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله، هو الله الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن محمدا عبدالله ورسوله أرسله تعالى بالهدى وضياء وبشرى للعالمين. ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

عندما نبحث عن الأسرة : الأدوار والمرض النفسى والمسئوليات فى المجتمع المعاصر ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين نجد أنه ليس هناك من مجتمع فى الوقت الحاضر أو فى الأزمان السابقة، إلا وكانت فيه البناءات، الأسرية Family Structures أيا كانت الصورة التى عليها هذه البناءات، وهو مايعرف أيضا بالحالة العائلية Family Staus والتى مفادها أن الناس جميعا فى الحياة الحديثة والماضية ولدوا ونشأوا وتربوا فى أسرة تتكون من الأب (الزوج) والأم (الزوجة) والأبناء، ومن ثم فإن الانتماء بين أفراد الأسرة يكون لجيلين: جيل الآباء وجيل الأبناء، وفى العادة يكون على رأس هذه الأسرة شخصان بالغان هما الأب والأم حيث يمثلان الأبوين البيولوجيين للأبناء، وهما بدورهما يمثلان المصدر الأمنى الاقتصادى تجاه الوحدة الأسرية Family unit

ومن الناحية السلوكية والعلاقات الاجتماعية الأسرية Social family relations، فإن القواعد والقيم والمعايير الأسرية، والضغوط والضوابط الاجتماعية، تلزم أفراد الأسرة بضوابط القواعد والقيم والمعايير على مستوى الآباء والأبناء، حيث تحدد مستويات وأنماط السلوك والتعامل، بل تُعد الأساس فى الجوانب الانفعالية والمشاعر والعلاقات الاجتماعية التى تُعد الأساس فى الوحدة الأسرية الاجتماعية، وهى ماتُعرف بالضبط الاجتماعى فى المجتمع عامة وفى الأسرة خاصة، إذ إن المجتمعات الحديثة تُحدد



ـ فى العادة ـ نوعيات ونماذج معينة من القواعد والنظم والضغوط الاجتماعية، من شأنها ـ قد تصعب على أفراد الأسرة ـ التكيف والتوافق فى حياة آمنة مطمئنة خارج نطاق الأسرة وربما أدى الأمر إلى المرض النفسى للأبناء.

وفى الحياة الحاضرة، ورغم أنه أصبح من السهل أن يعيش الأفراد فى حياة مستقلة خارج الأسرة، إلا أنه من العادات السلوكية التى تصبح دأب الكثير من الأفراد، أن يجتمع شمل الأسرة فى نهاية اليوم أو على مدى بضعة أيام أدنى نهاية كل أسبوع، مما يؤكد الروابط التى يكون عليها آباء وأبناء الأسرة الواحدة.

ونود أن نؤكد من ناحية القرابة ما نفرق به بين مفهومى الأسرة والعائلة والنسق الأسرى. فالأسرة Family تعنى الجماعة المكونة من الزوج (رب الأسرة) والزوجة (ربة البيت) والأبناء غير المتزوجين الذين يقيمون معًا فى مسكن واحد.

كما أن العائلة تدل على الأسرة الممتدة Extendend family المكونة من الزوج والزوجة والأبناء الذكور والإناث غير المتزوجين الذين يقيمون فى نفس المسكن، والأبناء المتزوجين وزوجاتهم وأبنائهم سواء كانوا يسكنون فى نفس المسكن أو مستقلين فى مساكن أخرى، إضافة إلى الأقارب كالأعمام والعمات وغيرهم، والذين توجد بينهم مشاركة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة (كبير العائلة). والأسرة فى المجتمع المعاصر لها جذورها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية عبر أجيال سابقة، وهى تُعرف بالأسرة النواة (القلب) Nucllear family والتى تُمثل أساس التناسل والتكاثر البشرى، وفى ذات الوقت تعد الأساس والمصدر الأول للرعاية المباشرة لكل أفرادها.

ورغم ماتفرضه الحياة المدنية فى العالم الحديث من الاتجاه إلى الفردية Individu-alism أو الانعزال (العزلة) Segregation القرابية، فإن الفرد فى الوقت الحاضر يُفرض عليه بالنسبة للأسرة النواة، نمط حياة يبدأ عندما يُولد فى أسرة مكونة من أبويه وإخوته من الذكور والإناث فيما يُعرف بأسرة التوجيه Family of Orientation، وعندما يتزوج يترك الأسرة ليبدأ فى تكوين أسرة نواة أخرى، تتكون من الزوجة والأبناء الذين ينجبهم، وتسمى الأسرة آنذاك أسرة الإنجاب Family of Procreation

والأسرة هى أقوى منظمات المجتمع، فهى الخلية الاجتماعية الأولى التى ينتظم من خلال سلوكياتها أفراد الأسرة جميعا. وهى الأساس الذى من خلاله يتم التطبيع الاجتماعى Socializtion عبر عملية التنشئة الاجتماعية، وحيث يكتسب الأفراد



الإنسانية Humanism التى تدخله إلى عـالم البشـر، حيث إنه إذا نشـأ فى وسط غـير إنسانى، فقد يُصبح كالأنعام بل أضل سبيلا.

لهذا فـإن الأسرة هى المهد الطبـيعى للإنسانيـة، الأمر الذى يجعل الاهتـمام من الآباء والمربين والإعلامـيين والمسئـولين وعلماء الدين وكل المؤسسـات الاجتماعـية فى المجتمع المعاصر، من رعاية وتوجيه وتعضيد الأسرة فى كل أنشطتها، كى تصبح الأسرة النظام الاجتماعى المتماسك لبناء أجيال يمكنها مواجـهة الحياة المعاصرة، بكل مافيها من إيجابيات وسلبيـات. وليس النظام الاجتماعى فى الحياة المعاصرة مـقصورا على ماتؤديه الأسرة من بناء ونماء لأفـرادها، بل هناك النظم الرئيسـية الأخـرى فى المجتمـعات التى بجانب النظام الأساسى، تعمل نحو بناء وتوجيه وإرشاد أبنـاء المجتمع، ليتضافر الجميع من أجل رفاهية هذا المجتمع واستمرار نشاطه فى كافة المجالات الحياتية، من أجل البقاء فى عالم يتسم بالصراعات والمشكلات الجسام وحيث لا بقاء إلا للأفضل.

وهذه النظم الاجتماعية بجانب النظـام الأسرى، تتمثل فى المساجد بيوت الله فى المجتمع الإسلامى أى النظام العـقدى القائم على هداية أبناء المجتمع والتمـسك بالعقيدة الصحيحة، حـتى يكون نور الإيمان والتمسك بالعقيدة الصحـيحة هو الهادى إلى سواء السبـيل لأبناء المجتـمع الإسلامى، إضـافة إلى النظم الأخـرى التى تتضافـر مع النظام الأسـرى ومع المساجـد وبيوت الله، وهى النظـام التربوى والنظام الاقـتصـادى والنظام السياسى، وكلها تتضافر فى علاقات وتأثيرات تبادلية من أجل بناء وتماسك ورفعة لأبناء المجتمع الذى يدين بدين الحق والذى يعنينا فى هذا الكتاب بصفة خاصة.

والأسرة كـبناء أسـاسى فى المجتـمع، يخضع أفـرادها إلى ضوابط تحـدد سلوك أفرادها فى علاقاتهم بعضهم ببـعض، أى على مستوى الأسرة، وفى ذات الوقت سلوك الأفراد فى الحياة الاجتماعية، وحيث يُحدد السلوك بصفة عامة أنماط الثقافة السائدة، بما تضمه من معايير اجتماعية وقيم دينية وخُلقية وضوابط اجتماعية عامة. ومن المعروف أن الضوابط الاجـتماعـية متـعددة ومتنوعـة ومتبـاينة فى مختلف المجـتمعـات إلا أنها فى مجتمعاتنا الإسلامية تتضمن الشرائع العقدية والقيم التربوية والقيم الاجتماعية والأعراف والتقاليد والرأى العام. وتُعد الأسرة عبر عمليات التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها، أهم الوسائط الاجـتماعـية فى الالتزام والتـوحد والترابط بيـن أفرادها، والذين هم فى ذات الوقت أفراد فى المجتمع العام، الذى يجب أن يتماسك أفراده فى قوى موحدة من أجل استمرارية الحياة ورفاهية أبناء المجتمع.

وإذا كانت الأسـرة هى الأساس الأول للوسـائط الاجتمـاعيـة فى تربية وتنشـئة



أبنائها، فإن دورها الفعال بجانب المؤسسات الاجتماعية الأخرى الثقافية والإعلامية والدينية والأدبية والترفيهية، لايتم بفاعلية إلا إذا كان تأثيرها فى سلوك أبنائها فى المواقف الحياتية المختلفة، تأثيراً إيجابياً فى بناء الشخصية النامية البعيدة عن المرض النفسى أو الاضطرابات عبر مدارج العمر المختلفة، وخاصة فى مرحلتى الطفولة والمراهقة.

وتُعد العلاقات الأسرية التى تحدد مسارات السلوك بين أفراد الأسرة الواحدة ـ وخاصة فى المجتمع الإسلامى ـ من أهم ماتؤديه الأسرة من التزامات وحدود ومسارات تؤكد العلاقات الأسرية الإيجابية بين أفراد الأسرة الواحدة. هذا، ويُحدد الإسلام آداب ومسارات العلاقات الأسرية بين الزوجين وحقوق الوالدين وآداب وحقوق الأبناء والإخوة والأخوات.

ومن المعروف أن التماسك الأسرى هو أساس التماسك الاجتماعى، إذ إن العلاقات الأسرية السليمة، يكون حصادها اكتساب الأبناء الخصائص السلوكية المناسبة للتعامل فى المجتمع بفعالية ودون تطرف. لذلك من الأهمية بمكان تحديد الأدوار الفعالة للأسرة فى المجتمع المعاصر، ودورها فى بناء شخصيات الأبناء السوية. إضافة إلى إبراز الأسس الإسلامية للتربية الإسلامية وخاصة فى مرحلة الطفولة، فى وقتنا المعاصر ونحن على مشارف الألفية الثالثة، والذى نحتاج فيه إلى تضامن المؤسسات الاجتماعية نحو بناء ونماء أبنائنا فى ظل ماتؤكده الشريعة الإسلامية السمحاء.

ومما تؤكده البحوث والدراسات النفسية المعاصرة أن المشكلات الخاصة بالاضطرابات والاختلالات السلوكية داخل الأسرة فى المجتمع المعاصر، تُشكل عبئًا كبيراً على أبناء الأسرة الواحدة، فالرفاهية التى تمخضت عن عصر الاتصالات والحساسية وعدم الضبط الانفعالى وقلة الخبرة لمواجهة مواقف الحياة بين الأبناء والنظرة الذاتية والتسلط من قبل الآباء فى الحكم على تصرفات وسلوك الأبناء، قد يُعرقل مسيرة الأسرة فى المجتمع المعاصر، إذ قد لاتتوافق رغبات وطموحات الآباء فى التنشئة الصالحة والتوافق للأبناء. وقد يتطور الأمر إلى أبناء عصابيين أو فصاميين.

ومن المعروف أن الواقع الاجتماعى فى أى مجتمع من المجتمعات أساسه البناء الأسرى والتماسك الأسرى الذى أشير إليه من قبل ـ وتقصير الآباء تجاه الأبناء وعدم توجيه وإرشاد الأبناء بما يعود بالنفع عليهم وعلى آبائهم، من شأنه تنمية سوء التوافق بين الأبناء والآباء، وبينهم وبين أنفسهم مما يُفرق ويشتت، بدلا من أن يجمع ويؤلف بين الأنفس لأعضاء الأسرة الواحدة.



لذلك اهتم هذا الكتاب بإيضاح المشكلات الخاصة داخل الأسرة، وأبان الاضطرابات والاختلالات السلوكية بين الأبناء والأسباب المولدة للمرض النفسى داخل الأسرة فى المجتمع المعاصر، كما أوضح المشكلات الخاصة بالاختلالات الخلقية بين الأبناء داخل الأسرة. إضافة إلى بيان آثار العمل للزوجة (الأم) العاملة على العلاقات الأسرية، ثم أوضح الكتاب العلاقات والخدمات التى تقدم للمسنين ومشكلات الشيخوخة مع الأسرة فى المجتمع المعاصر.

ومن حيث كانت مسئولية الآباء من تربية ونماء أبنائهم منذ ميلادهم وفى مدارج العمر المتعاقبة، فإن هذه المسئولية وهذه الأمانة، إن تركت بين أيادى بدائل الأمهات والمربيات فإن الأبناء كثيرا ما يعانون من اضطرابات تبدو خاصة بين الأبناء الصغار. ولذلك كان لزامًا إيضاح الآثار المترتبة على الاستعانة ببدائل الأمهات والمربيات على الحياة الأسرية، سواء كانت هذه الآثار العائدة على الآباء أنفسهم أى على الأب (الزوج) والأم (الزوجة) أو الآثار العائدة على الأبناء وخاصة الصغار منهم، وحيث تمثل هذه الآثار العبء الأكبر فى هذه المشاكل. ومن أجل تقليص المشكلات والمصاعب التى تواجهها الأسرة فى المجتمع المعاصر، فإنه كان لزاما إبراز طرائق ووسائل فعاليات الرعاية الأسرية فى المجتمع المعاصر، حيث أوضحت الدراسة طرائق ووسائل الرعاية الأسرية لمظاهر النمو النفسى والاجتماعى والمشكلات المصاحبة عند الأبناء. وطرائق وسبل الرعاية الأسرية والمؤسسات التربوية والإعلامية بالنسبة للزوجة (الأم) العاملة. وطرائق وسبل الرعاية الأسرية للمسنين والشيوخ. إضافة إلى إبراز طرائق وسبل الرعاية الأسرية للمشكلات الخاصة ببدائل الأمهات والمربيات.

واختتم الكتاب بتوصيات عامة عن فعاليات الرعاية الأسرية فى المجتمع الحديث ومع إشراقات قرن جديد وعصر جديد ونظام عولمة خطر، وخاصة فى العلاقات الأسرية بين الآباء والأبناء والترابط والتماسك بين أفراد الأسرة الواحدة.

وبعد . . . . . فإن الدراسة التى يتقدم بها الباحثان عن: **«الأسرة: الأدوار والمرض النفسى والمسئوليات فى المجتمع المعاصر»** تعد محاولة لدعم دور الأسرة فى مجتمع متغير ومناخ ونظام عالمى جديد.

ويتضمن الكتاب سبعة فصول يندرج تحتها ثمانية وعشرون مبحثًا حيث يتضمن:

الفصل الأول: **المفاهيم والمصطلحات**. ويندرج تحت هذا الفصل أربعة مباحث.



الفصل الثانى: دور الأسرة فى التربية والتنشئة الاجتماعية. ويندرج تحت هذا الفصل أربعة مباحث.

الفصل الثالث: آداب العلاقات الأسرية الإسلامية بين الآباء والأبناء ويندرج تحت هذا الفصل ثلاثة مباحث.

الفصل الرابع: دور الأسرة فى المجتمع المعاصر والتربية الإسلامية للأبناء عبر مراحل الطفولة والمراهقة ويندرج تحت هذا الفصل مبحثان.

الفصل الخامس: المشكلات والمعوقات التى تواجه الأسرة فى المجتمع المعاصر ويندرج تحت هذا الفصل سبعة مباحث.

الفصل السادس: الأسرة المسببة للمرض النفسى ويندرج تحت هذا الفصل مبحثان.

الفصل السابع: طرائق ووسائل فعاليات الرعاية الأسرية فى المجتمع المعاصر. ويندرج تحت هذا الفصل ستة مباحث.

مما سبق يرجو الباحثان أن تكون الدراسة التى يتقدمان بها عن «**الأسرة - الأدوار - المرض النفسى - والمسئوليات فى المجتمع المعاصر**» قد أضافت بعض التوجيهات والإرشادات التى تتحقق من خلالها فعاليات الأسرة والتفاعلات بين الآباء والأبناء فى المجتمع المعاصر.

وبعد .. نسأل الله أن يكون من وراء هذا الجهد المتواضع بعض العلم الذى ينفع.

وختامًا نسأله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العاملين. ونسأله تعالى السداد والتوفيق، إنه نعم المولى ونعم النصير ومن عليائه قصد السبيل والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء أجمعين.

المؤلفان



الفهرس

الصفحة









الفصل الأول

المفاهيم والمصطلحات

تمهيد:

يعد تحـديد المفاهيم والمصـطلحات من الخطوات الرئيـسة فى البـحوث العلمـيـة. لذلك يتناول البـاحـثـان فى الفـصل الأول المفـاهيم والمصطلحـات الرئيسة :

حيث نحدد المفاهيم والمصطلحات بكل من : الأسرة والمجتمع وضوابط الحياة الاجتماعية

ويحتوى الفصل الأول على:

المبحث الأول: الأسرة

المبحث الثانى: النسق الأسرى

المبحث الثالث :المجتمع

المبحث الرابع: ضوابط الحياة الاجتماعية

المبحث الأول

الأسرة : المفاهيم والمصطلحات

حتى نتبين دور الأسرة فى المجتمع المعاصر، علينا أن نوضح المفاهيم Concepts والمصطلحات الخاصة بالأسرة، حيث تمثل الأسرة أهم المؤسسات الاجتماعية، بل اللبنة الأولى الاجتماعية فى حياة البشر، الأمر الذى يجعل الأسرة فى المصاف الأولى لتربية وبناء الأجيال التى تسهم فى نماء أوطانهم. ولذلك نحتاج إلى تحديد مصطلح ومفهوم الأسرة تحديداً دقيقًا. وفيما يلى أهم المفاهيم والمصطلحات الرئيسة الخاصة بالأسرة، ومفهوم الأسرة فى الإسلام.

المفهوم اللغوى للأسرة:

«الأسرة» من الناحية اللغوية كما ورد فى لسان العرب بمعنى : أسرة الرجل بمعنى عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم. والأسرة بمعنى عشيرة الرجل وأهل بيته.

«والأسرة» فى اللغة مشتقة من «الأسر». والأسر لغة يعنى القيد. يقال أسر أسراً وأساراً قيده، وأسره أخذه أسيراً. والأسر من أنواعه:

مايكون طبيعيا لا خلاص منه كما فى حالة الخلقة، حيث يكون الإنسان أسيراً لمجموعة من الصفات والخصائص الفسيولوجية كالطول والقصر والبدانة والنحافة .. إلخ.

أو يكون «الأسر» أو «القيد» مصطنعا أو صناعيًّا كالأسر فى الحروب.

أو يكون «الأسر» اختياريًا يرتضيه الإنسان لنفسه، ويسعى إليه لأنه يعيش مهدداً بدونه. ومن هذا الأسر الاختيارى اشتقت الأسرة.

ومن حيث كانت الأسرة أهل الرجل وعشيرته، فإن «الأسر» والقيد هنا يفهم منه العبء الملقى على الإنسان أى «المسئولية» Responsibility.

لذلك فإن المفهوم اللغوى للأسرة ينبئ عن المسئولية.

وفى معاجم اللغة الإنجليزية «الأسرة» العائلة Family بمعنى كل الناس الذين



يعيشون فى نفس المنزل حيث يوجد الأبوان والأبناء ويكون بينهم رابطة الدم والقرابة. ومفهوم الأسرة فى عالم الغرب يعنى المعايشة Living والمعايشة من شأنها ارتباط المصلحة. ومن ثم فإن أفراد الأسرة فى عالم الغرب قد يغيرون الرباط بينهم إذا اقتضت مصلحة أى فرد منهم ذلك، أو تغيرت الظروف من حوله. وتتغلب الظروف المادية والمصالح الشخصية فوق رابطة الدم.

*** المسألة الأسرية:**

وهى ماتتصل بعضوية الفرد فى الأسرة. وهذه العضوية تجعل الفرد يعتقد أن دراسة الأسرة أمر سهل وبسيط. ومن المحتمل أيضا أن يتصور أن أى نسق أسرى آخر، لايتفق مع وضع أسرته، ولابد وأن يكون غريباً وشاذاً.

ومن الملاحظ أن هناك ميلا عاماً إلى مناقشة مايجب أن يكون وليس ماهو قائم بالفعل. لهذا فإن ماقد يبدو للكثيرين من أن لديهم من وضوح الرؤية بالنسبة لعلاقاتهم الأسرية، يمكن أن يحملهم على الاعتقاد بأنه ليس هناك مايدعو إلى البحث فى الموضوع، لأنه يدور حول أشياء نعرفها ونعيشها. ولكن الواقع فى أبعاده المتعددة، يشير إلى أن المعتقدات المتصلة بالأسرة ليس لها أساس. ولذلك فإن المسألة الأسرية تحتاج إلى دراسة عميقة حتى يمكن فهمها بصورة أدق. هذا مايجب أن يختبر من الملاحظات الفردية الخاصة بالخبرات الأسرية وفق النمط الذى ننتمى إليه، حتى ندرك كيف يتشابه الأفراد أو يختلفون مع المجتمعات الأخرى. بل أيضا الاختلاف مع الأنماط الأسرية الأخرى القائمة فى المجتمع، حيث يتبين أنه فى المجتمع الواحد تتباين أنماط الأسر المختلفة، من حيث التكوين البنائى والأيديولوجى والأدوار الزواجية، وأسلوب الحياة، والاختلافات الثقافية.

العائلية: Familism

العائلية تمثل شكلا من أشكال البناء الاجتماعى Social Structure يتميز بسيادة لقيم العائلية Family Values التى تؤكد تبعية المصالح ورفاهية العائلة ككل. ويتميز هذا البناء بإحساس أعضائه القوى بالتوحد والولاء العائلى والعون المتبادل والاهتمام باستمرار وحدة العائلة.

ـ التعريف الاصطلاحى للأسرة:

ليس هناك مجتمع من المجتمعات الإنسانية، لايشتمل على بناء أسرى فى أى



صورة من الصور. لذلك من الصعوبة تقديم تعريف اصطلاحى كامل Complete وذلك لتعدد أنماط الأسرة، قد لاينطبق عليهـا المفهوم التقليدى الذى يطلق على الأسرة. ذلك لأن هناك العديد الذى لايحصى من الإجراءات الرسمية والقانونية والشعائر الدينية.

وفى مـعظم المجتـمعـات نجد أن الزوجـين يعيـشان مـعا فى بيت واحـد. وفى المجتمـعات التى تقر عقيـدتها تعدد الزوجات يبيت الزوج مـع إحدى زوجاته كل ليلة. كمـا أن معظم الـناس يقبلون على الزواج، ويبـذلون أقصى جـهدهم، بل تتـرسخ فى أذهانهم أفكار عن ضـرورة استـمرار الحيـاة الزوجيـة، ورغم كل هذا ومحـاولة الزوج والزوجة إبقاء واستمرار الزواج، إلا أن معدلات الطلاق Divorce ترتفع فى مجتمعات عديدة.

وفى حالة اعتبار الزيجات التى تتم فى المجتمعات، أسرة بالنسبة لكل زيجة، فإنه من المعروف أن جـميع الناس فى المجـتمعـات فى الماضى والحاضـر والمسـتـقبل يولدون ويتربون فى أسـرة حيث تتكون الأسرة من ثلاثة أعـضاء على الأقل ينتمـون إلى جيلين فقط (جيل الأباء وجيل الأبناء). وهى تشتمل على شخصين بالغين . . . الذكر والأنثى حيث يعرفـان أنهما الأبوان البيولوجيـان للأطفال، حيث يقومان فى العـادة بالالتزامات الاقتصادية تجاه الوحدة الأسرية Family Unit.

وهذه الوحدة الأسرية تقـوم على اتباع قواعد ومـعايير أسرية، كمـا أن الضغوط الاجتماعية تفرض الالتزام والضبط لهذه القواعد والمعايير للأبناء والأزواج والآباء. ومن شأن هذا كله مـايحدد سلوك وتعامل ومشـاعر أفراد الأسرة الواحدة من حـيث الوحدة الاجتماعية.

ومن المعـروف أن المجتـمعـات المختلفـة تضع نوعيـات من القواعـد والضغـوط الاجتماعيـة، تجعل من الصعوبة بمكان على أفراد الأسرة العيش فى حـياة مريحة خارج نطاق الأسرة.

والحيـاة المعـاصرة أوجـدت من السهل على الأفـراد العيش بمفـردهم بعيـدًا عن الأسرة، إلا أنهم يعـودون إلى الأسرة فى نهاية اليـوم. كما أنه من النادر أن نجـد أفرادًا يهملون فكرة الزواج وبناء أسرة.

كما أن من أبناء العصر الحـاضر عند الإقدام على الزواج من يعرض عن الإنجاب إتاحة الفرصة للمساواة بين الرجال والنساء، ورغم ذلك فإن عالم النساء ـ كما هو الحال



فى عالم الغـرب ـ أقل من ١٪ منهن فقط يؤكدن عدم رغـبتهن فى أن يصبـحن أمهات نظراً لمايتبع الأمومة Motherhood من ارتباط والتزام.

— مفهوم الأسرة الإنسانية:

تعرف الأسرة الإنـسانية Human Family على أنها جمـاعة بيولوجيـة نظامية تتكون من رجل وامرأة (يقوم بينهما رابطة زواجية مقررة) وأبنائهما.

ومن أهم الوظائف التى تقـوم بها هذه الجـماعـة، إشبـاع الحاجـات العاطفـية، وممارسة مـا أحله الله من علاقات جـنسية، وتهـيئة المناخ الاجـتماعى والثـقافى الملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء.

والجماعة التى تتكون على هذا الأسـاس وتمارس هذه الوظائف تختلف فى بنائها اختلافـا واضحًا، ومن ثم يتعين عند تـعريف الأسرة أن يتضمن التـعريف الإشارة إلى النماذج المحتملة لهذه الجماعة.

تعريف الأسرة الإنسانية البيولوجية:

تتألف الأسرة الإنسانية البيولوجية Biological Huma Family العامة من الآباء وأبنائهم، وقـد تشتمل الأسـرة البسـيطة أبناء التبنى الرسـمى، ويطلق على هذا الشكل مصطلح الأسرة النواة Nuclear Family، أو الأسرة المباشرة أو البـيولوجية أو الأسرة الأولية المحدودة (وسنعرض مفاهيم هذه الأنماط من الأسر فيما بعد).

ويتفق معظم العلماء على أن هذا الشكل البسيط من نماذج الأسرة منتشر فى كافة المجتمعات.

ومن نماذج الأسرة نماذج أخرى مـتعددة كالأسـر الممتدة Extended Family ، والأسرة الممتدة الزواجية التى تتكون عن طريق إضافة أزواج آخرين.

الجوانب الثقافية والبيولوجية فى توصيف الأسرة:

واجه علمـاء الاجتمـاع صعوبـة بالغة فى معـالجة الأسرة نظراً لأنهـا تخلط بين سمات بيولوجية عـامة لدى البشر، وسمات أخرى عديدة: فنجد مثـلا «ماكفير» يكتب عن الأسرة قائلا: إن الأسرة جماعة تُعرف على أسـاس العلاقات الجنسية المستمرة على نحو يسمح بإنجـاب الأطفال ورعايتهم غير أن هذه المحـاولة للتوصل إلى تعريف ينطبق انطباقًا عامـا، تعتمد على الأهمية الاجتـماعية لإحدى الوظائف البيولوجيـة الأساسية،



ومن ثم فهى تتجاهل طائفة كبيرة من الجوانب الثقافية الكامنة فى الأسرة. على أن «ماكفير» وإن كان قد اهتم بالعامل البيولوجى، إلا أنه يؤكد مدخلا تاريخيا هاما فى علم الاجتماع وهو الطابع النظمى الذى تتخذه الأسرة لما تؤديه من وظائف مجتمعة هامة. ومع أن هذا المدخل يُعد ضروريًا لدراسة الأسرة، إلا أنه يتعذر استخدامه كأساس وحيد لتعريفها، لأنه يتجاهل العديد من الوظائف الشخصية للأسرة. ونتيجة لذلك يتحدث علماء الاجتماع فى الوقت الحاضر عن التحول الذى طرأ على نظام الأسرة، حين تتجه إلى أن تصبح نوعا من الرابطة أو التفاعل المستمر بين بعض الأشخاص أو ما يسمى بالموافقة Companionship لكن هذه النظرة أيضا تغفل أهمية الأسرة كجماعة إنسانية عامة حيث نجد «روبرت لوى» R. H. Louoie يكتب قائلا: إن الأسرة هى الوحدة الاجتماعية القائمة على الزواج، أى أنه يجعل من الأسرة ظاهرة ثقافية خالصة، على حين أنه يلاحظ أن «بيلر وهويجر» يصفان الأسرة على أنها جماعة اجتماعية تربط بين أعضائها روابط القرابة.

ويحتاج هذا التعريف بالطبع إلى تحديد معنى القرابة أو روابط القرابة، حتى يمكن إدخال الزوجين ضمن الأسرة، وهكذا نلاحظ أن أى تعريف مقبول للأسرة يجب أن يأخذ فى الاعتبار كلا من الجانبين الثقافى والبيولوجى ويحسب حسابا للخصائص النظامية والشخصية على السواء.

لذلك عند تحديد الإطار الثقافى والبيولوجى فى تعريف الأسرة حاول «جيلين» أن يحدد أهم خصائص الأسرة من خلال وضعها فى الإطار البيولوجى الثقافى الملائم فهى:

- تتميز بوجود رابطة زواجية بين عضوين على الأقل من جنسين مختلفين.
- تعترف ببعض صلات الدم التى تنبنى عليها مصطلحات القرابة.
- تشير إلى شكل معين من أشكال الأقالة.
- تقوم على مجموعة وظائف شخصية ومجتمعية تمارسها.

ـ الروابط الأسرية وتعريف الأسرة:

من ناحية القرابة أو الروابط الأسرية فإن «بيرجس» Burgess و«لوك» Locke يعرفان الأسرة فى كتابهما The Family بأنها جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط



الزواج والدم أو التبنى، ويعيشون معيشة واحدة، ويتفالون كل من الآخر فى حدود أدوار الزوج والزوجة، الأم والأب، الأخ والأخت ويشكلون ثقافة مشتركة.

غير أن هذا التعريف الذى يقدمه «بيرجس» و«لوك» لا يعد تعريفا كافيا للأسرة لأن الروابط الأسرية التى أشارا إليها قد تتطلب فى بعض المجتمعات اعترافا اجتماعيا بحيث لايقتصر فيها على مجرد إنجاب الطفل فى الأسرة. ففى بعض المناطق بميلانيزيا مثلا قد لاتتحدد الأسرة التى ينتمى إليها الطفل عن طريق الولادة، بل تتحد عن طريق أداء بعض الأفعال الاجتماعية . . فالرجل الذى يدفع أجر القابلة يعتبر أبا للطفل كما يعتبر زوجته أما لوليده. كما أن هناك مجتمعات لا يُعرف فيها بوضوح الدور الفسيولوجى للرجل فيما يتعلق بإنجاب الطفل.

وعمومًا، فإن من أهم الانتقادات التى توجه إلى تعريف «بيرجيس ولوك» أنهما أغفلا الاختلافات الجوهرية التى تظهر حول طبيعة بناء الأسرة واهتمامها.

الأسرة النواة: Atomisic Family

وتُعرف الأسرة النواة بأنها جماعة صغيرة تتكون من زوج وزوجة وأبناء غير بالغين، وتقوم كوحدة مستقلة عن باقى المجتمع المحلى، ويعتبر هذا الشكل الخاص من أشكال الأسرة من أهم خصائص المجتمع الصناعى المعاصر، لأنه يعبر عن الفردية التى تنعكس فى حقوق الملكية والأفكار والقوانين الاجتماعية العامة حول السعادة والإشباع الفردى. كما يعبر أيضا عن عمليات التنقل الاجتماعى والجغرافى فى هذا المجتمع.

وتعد الأسرة نواة ظاهرة بارزة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة، لأنها تعتمد فى تماسكها على الجذب الجنسى والصداقة التى تقوم بين الزوج والزوجة، وبين الآباء والأبناء. غير أنه سرعان ماتضعف الروابط الأسرية عندما يكبر الأبناء، سواء من خلال تأثير جماعات الأصدقاء أو نتيجة لعمليات التنقل الاجتماعى والجغرافى.

إلا أنه فى المجتمعات البسيطة أو التقليدية توجد رابطة تجمع عددًا من الأسر النواة أو قد تخضع لبناء أسرى كبير ومركب لذلك يسمى فوجل Vogel وبل Bell كل تجمع أوسع من الأسرة النواة وتقوم روابطه على أساس من الانحدار أو الدم أو الزواج أو التبنى «الأسرة الممتدة». وفى هذا الصدد يميز «ميردوك» Murdock بين شكلين أساسيين من أشكال الأسرة المركبة: الأسرة الممتدة التى تتكون من أسرتين صغيرتين أو أكثر يرتبطان فيما بينهما من خلال امتداد علاقة الابن المتزوج بوالديه ومثال ذلك ارتباط الأسرة النواة التى كونها الابن المتزوج بأسرة والديه (أسرة التوجيه). ويختلف هذا



الشكل عن الأسرة التعـددية التى تتكون من ارتباط أسرتين أو أكثـر عن طريق الزيجات الجمـعيـة أو عن طريق الاشـتراك فى سلف واحـد، ويُعرف هذا الشكل باسـم الأسرة المتصلة.

ومن خصائص الأسرة النواة أنها تـعتبر نموذجًا أسريًّا يعتبر أعـضاؤه بدرجة عالية من الفردية وبالتحرر الواضح من الضبط الأسرى، مما يترتب عليه أن تعلو مصلحة الفرد مصالح الأسـرة ككل. وتمتاز الأسرة النواة بصغـر حجمها حـيث تتكون عادة من زوج وزوجة وأبنائهـما غير المتـزوجين، ولا يحدث إلا نادرًا، وفى ظل ظروف استـثنائية أن يعيش أحد الأبناء المتزوجين مع والديهم.

ويرى كثير من البـاحثين فى علم الاجتماع الحـضرى أن هذا النموذج من الأسرة هو الذى يتزايد انتشاره فى المجتمعات الحضرية.

الأسرة المرافقة: (الرفقة) Companionship Family

وتُعرف هـذه الأسرة على أسـاس أن السلوك فيـها قائم علـى العاطفـة والاتفاق المتبـادلين بين الأعضـاء، وقد وصفـها كل من «أرنست بيـرجيس» E. W. Burgess و«هارفى لوك» H.J. Locke بأنها نموذج مـجرد أو نمط مثـالى فى مقابـل النمط المثالى للأسرة النظامية.

وقد ارتبط ظهـور أسرة الرفـقة بانهيـار الاقتـصاد التقليـدى، واختـفاء الوظائف التربوية والدينية والترفيهية التى كانت تقوم بها الأسرة التقليدية، وتلاشى علاقات الجوار والمظاهر التقليدية الأخرى التى كانت تُشكل أحد مصادر الضبط غير الرسمى وخصوصًا فى المدينة المعـاصرة. ويرى كـثير مـن دارسى الأسرة فى الوقت الحـاضر وخـاصة فى المجتمعات الغربية أن تبادل العواطف أصـبح يمثل وظيفة جوهرية لأسرة اليوم ومصدرًا هامًا لضبط سلوك أعضائها.

الأسرة المركبة: Compound Family

وتمثل نموذجًا أسريًّا يصاحب نظام تعدد الزوجـات أو تعدد الأزواج، حيث تتحد أسـرتان نوويتان أو أكـثـر عن طريق الزوج المشـترك أو الزوجـة المشـتركـة (فى بعض المجتمعات المتخلفة).

الأسرة الزواجية: Conjugal Family

أحد نماذج التنظيم الأسرى الذى تكون العلاقات الأساسيـة فيه قائمة على محور



العلاقة بين الزوج والزوجة أكثر من قيامها على العلاقات الدموية، ويقوم بالأدوار الهامة فى هذا النموذج الزوج والزوجة وأبناؤهما غير المتزوجين. وإذا ضمت الأسرة أقارب آخرين فإن دورهم يكون سطحياً وثانوياً، ولاتشكل الأسرة فى هذا الحالة أو تتحول إلى أسرة ممتدة.

الأسرة القرابية (الدموية) Consanguine Family

وتمثل أحد نماذج التنظيم الأسرى الذى ينصب التأكيد الأساسى فيه على روابط الدم بين الآباء والأبناء، أو بين الإخوة والأخوات أكثر مما ينصب على العلاقة الزوجية بين الزوج والزوجة. ومعنى هذا أن علاقات القرابة الدموية تعلو علاقة الزوجين. وتشكل الأسرة القرابية أو تتحول عادة إلى أسرة ممتدة يعيش فى نطاقها جيلان أو ثلاثة.

ـ دورة الأسر: Family Cycle

يُشير هذا المصطلح إلى تتابع الأحداث التى تمر بأسرة معينة منذ قيام الزواج حتى وفاة الزوجين، ومايحدث خلال هذه الفترة، طالت أم قصرت، من ميلاد أو زواج للأبناء، وكذلك العمليات والمناسبات المختلفة التى تواجهها، وتربية الأطفال وتنشئتهم. هذا إلى جانب الظروف العديدة التى تصاحب سن الشيخوخة.

مفهوم الأسرة (العائلية): Domestic Family

وتُمثل نموذجًا أسريًا يتوسط الأسرة النواة وأسرة الوصاية كما ميز بينهما «كارل زيمرمان» Carl Zimmerman. وتتميز بأنها أكثر وحدة وأقل فردية من الأسرة النواة، لأن أكثر اهتماماتها تدور حول العلاقة بين الآباء وأبنائهم حتى بعد زواجهم، حين يستمر الاتصال الوثيق ويأخذ صوراً عديدة. من بينهما التشاور والزيارات وربما العون المتبادل، وعلى هذا تظل الأسرة العائلية بعيدة عن أن تكون جماعة متكاملة كأسرة الوصاية.

ـ مفهوم الأسرة المساواة:

وتمثل نموذجًا أسريًا قائم على المساواة بين جميع الأعضاء، وخاصة الزوج والزوجة. ومن المعروف أنه فى مثل هذا النموذج الذى يتزايد انتشاره فى المجتمعات الصناعية المتقدمة، لايكون لأى من الزوجين سلطة خاصة أو امتياز لايتمتع به الآخر. ويفضل بعض الدارسين تسمية هذا النموذج الأسرة الديمقراطية.



مفهوم الأسرة المتسعة: Expanded Family

وهى أسرة زواجية يعيش فيها قريب غير متزوج لأحد الزوجين مثل الأخ أو الأخت أو ابن العم أو ابن الخال.

مفهوم الأسرة الممتدة: Extended Family

ومن خصائص هذه الأسرة أنها: أسرة تتكون بنائيا من ثلاثة أجيال أو أكثر، ولهذا تضم الأجداد وأبناءهم غير المتزوجين أو (بناتهم) وكذلك أحفادهم وتؤلف الأسرة القرابية (التى تنظم فى ضوء قوة علاقة الدم) عادة أسراً ممتدة بينما لاتؤلف الأسر الزواجية (القائمة على العلاقة الزوجية) أسراً ممتدة. وطبقًا لهذا التعريف فإن الأسر النواة التى تنتمى إلى جيل واحد لاتعتبر أسراً ممتدة وإن ارتبطت عن طريق الزواج التعددى.

وتتكون الأسرة المركبة من أسرتين نوويتين أو أكثر، بصرف النظر عما إذا كانت الأسرتان تنتميان إلى نفس الجيل أو إلى جيلين مختلفين، لكنهما لايتحدان عن طريق الزواج التعددى.

مفهوم النظام الأسرى: Family Institution

وهو نظام اجتماعى أساسى، له أهمية جوهرية فى بناء المجتمع وتحقيق متطلبات الوجود الاجتماعى، وهو يُشكل نسقًا من الأدوار الاجتماعية المترابطة والمعايير التى تتعلق بتنظيم العلاقات الجنسية وتربية الأولاد وبناء العلاقات القرابية.

الأسرة النظامية: Institutional Family

نموذج أسرى يقوم سلوك الأعضاء فيه على أداء توقعات الدور ومسايرة المعايير التقليدية. وقد وضع كل من «هارفى لوك» H.Y.Locke و«أرنست بيرجيس» E.w. Burgess النموذج المجرد، أو النمط المثالى للأسرة النظامية فى مقابل النمط للأسرة الرفقة. أما الاستخدام الشائع لمصطلح الأسرة النظامية فإنه يشير إلى الأسرة التى يمكن أن تكون مركزاً للتربية والدين. والإنتاج الاقتصادى والترفيه.

مفهوم الأسرة الأمومية (إقامة ونسباً) :Matriarchal Family

وهى صورة من التنظيم الأسرى. تُعتبر فيه الأم القوة المسيطرة. والأسرة الأمومية من الناحية النظرية أسرة قرابية (تنظيم فى حدود قرابة الدم) أمومية النسب والإقامة.



وعادة ماتكون الأم (رب الأسرة) امـرأة كبيرة فى السن كالجدة مـثلا. وهناك خلاف بين علماء الأنثروبولجيا حـول ما إذا كانت هناك فى الواقع مجتمعات يقـوم تنظيمها العائلى على النسق الأسرى الأمومى. وليس هناك شك فى أن وجـود مثل هذه الصورة الأسرية تدريجيًّا نادر جداً.

مفهوم الأسرة (التى محورها الأم): Matricentric Family

وهى الأسرة التى تكون الأم فيـها مركز التأثيـر الأول، بينما يميل دور الأب إلى أن يكون سطحياً أو ثانوياً.

مفهوم الأسرة الأبوية: Patriarchal Family

وهى صورة للتنظيم الأسـرى، يُعتبر الأب فيـه رئيسًا ومركز الـقوة وسلطته ذات طبيعة مطلقة ونهائية. وعادة مـا ينظر إلى هذه الأسرة على أنها أسرة قرابية ممتدة (تنظيم فى حدود القرابة الدموية) يكون الأب فـيها أكبر أعضائها. وتعتـبر الأسرة الأبوية البنية التقليدية، والأسرة فى روما القـديمة، من أوضح الأمثلة على هذا التنظيم الأسرى، أما الأسرة الغربية المعاصرة فقد انبثقت من صورة معدلة للأسرة الأبوية.

مفهوم الأسرة الأبوية التسمية: Patronomic Family

وهى الأسرة التى يكون للأبناء فيها منذ ولادتهم اسم آبائهم.

مفهوم الأسرة الأولية: Primary Family

وهى الأسرة التى يكون رئيسها هو نفس رئيس البيت، ومعنى هذا أن هذه الأسرة تعيش فى بيت خاص. وقـد استخدم هذا المصطلح فى تعداد الولايات المتـحدة، حيث صنفت جميع الأسر الأمريكية (ماعدا عدد بسيط منها) على أنها أسر أولية.

مفهوم الأسرة الثانوية: Sccondeay Family

وهى الأسرة التى لايكون رئيسها رئيسا للبيت فى نفس الوقت، وإنما يعتبر عضوا عامـلا ينتمى إلـى البيت أو مـقيمـا فيـه. ومعنى ذلك أن اسـتخـدم هذا المصطلح فى التعدادات الأمريكية لكى يشير إلى عدد قليل من الأسر الأمريكية.

مفهوم أسرة الوصاية: Family of Trusteehip

وهى أحد نماذج الأسرة التى تتميز بدرجـة عالية من الوحدة، بالمقارنة بأى نموذج



أسرى آخر، مثل الأسرة الفردية، وتتجلى هذه الوحدة فى غلبة المصالح الأسرية ككل على المصالح الفردية مهما كانت طبيعتها.

ويشتمل بناؤها على الأجداد والأجيال المقبلة التى لم تولد بعد. أما كونها أسرة وصاية فهذا راجع إلى أن أعضاءها الأحياء يعتبرون أوصياء على دمها وحقوقها وملكيتها، واسمها، ومكانتها مدى الحياة وتعتبر هذه الأسرة من زاوية أخرى ممتدة (تتضمن عدة أجيال حية) توجد فى الثقافة الريفية حيث تكون الأسرة فيها وحدة اقتصادية.

مفهوم أسرة التوجيه: Family of Orientation

وهى الأسرة التى يولد فيها الفرد ويتلقى داخل إطارها تنشئته الاجتماعية.

مفهوم أسرة الإنجاب: Family of Procreation

وهى الأسرة التى تكونت بعد الزواج وتم فيها إنجاب الأطفال.

هذه المصطلحات جميعها تتعلق بمفاهيم وتعاريف الأسرة، إلا أننا نود أن نؤكد فى تحديد مفاهيم ومصطلحات الأسرة مايعنينا من توضيح مفهوم الكيان الأسرى ودوره من الناحية الاجتماعية ومفهوم العلاقات الأسرية.

مفهوم الكيان الأسرى:

يعنينا إيضاح مفهوم الكيان الأسرى لما له من دور فعال من الناحية الاجتماعية. فمن الناحية الاجتماعية تمثل الأسرة مجموعة الأفراد الذين تربطهم صلة الدم، عن طريق الأب والأم أو عن طريق أحدهما حيث يكون أفراد الأسرة من الأب والأم والإخوة والأخوات من الذكور والإناث، وحيث يختلف حجم الأسرة فى عدد أفرادها، كما تتنوع الأسرة ويختلف أثرها التربوى على أفرادها باختلاف الوضع الاجتماعى للأسرة والوضع الاقتصادى، والمستوى الثقافى لرب الأسرة والأم، وعمل مهنة الأب والأم، والأدوار والمسئوليات المختلفة التى يقوم بها أفراد الأسرة.

والكيان العضوى الأسرى يمثل الوحدة الاجتماعية الأساسية فى المجتمع، وكلما كانت العلاقات الأسرية والتطابق والتماسك الأسرى بين أعضاء الأسرة كبيرا، أدى ذلك إلى علاقات وروابط وضوابط اجتماعية سليمة بين أفرادها فى تعاملهم داخل الأسرة وفى المجتمع الأكبر.



والأسرة هى المؤسسة التربوية الأولى فى المجتمع التى ترعى أبناءها وتعمل على تنشئتهم وتطبيعهم اجتماعياً عن طريق مايعرف بالتنشئة الاجتماعية.

والتنشئة الاجتماعية هى العمليات المختلفة التى تقوم بها المؤسسات الاجتماعية المختلفة فى تنشئة الصغار والكبار فى مراحل العمر المختلفة، والتى عن طريقها تتم عمليات التطبيع الاجتماعى لأفراد المجتمع الواحد.

والنظم والعلاقات والضوابط الاجتماعية السائدة فى المجتمع العام تتوافق بدرجة ما، أولا مع النظم والعلاقات والضوابط الاجتماعية داخل الأسرة الواحدة التى يسودها التماسك والترابط الأسرى. لذلك تعتبر الأسرة أولى المؤسسات الاجتماعية ذات الدور الفعال المستمر فى تنشئة أفرادها تنشئة اجتماعية متوافقة أو غير متوافقة مع أنظمة المجتمع العامة.

مفهوم العلاقات الأسرية:

يُعتبر الكيان الأسرى ذا أهمية بالغة فى التنظيم الاجتماعى حيث تضم الأسرة أولى الجماعات ذات التأثير المباشر فى العلاقات الاجتماعية وهى الأم والتى يُطلق عليها الجماعة الوثقى والتى تؤثر على الصغير فى أطوار نموه فى عامه الأول تأثيرا بالغ الأهمية فى تنشئته الاجتماعية، ثم الجماعة الأولية المكونة من الأب والإخوة والأخوات، حيث إن آثارهم أيضا تؤثر فى مراحل الطفولة وباقى المراحل التالية، إضافة إلى الجماعات الأخرى. والوسطى والثانوية والتى تشكل من الأقارب والجوار والمدرسة والمجتمع، وكلها ذات تأثير بدرجات مختلفة فى أطوار ومراحل العمر المختلفة.

ويعنينا فى هذه الدراسة إبراز دور الأسرة من حيث طبيعة العلاقات الموجودة بين أفرادها والمتمثلة فى التماسك والترابط أو التفكك والتفرق والتسامح أو الرفض . . . والكراهية والتسلطية والتواد أو التعاونية. إضافة إلى الأدوار الاجتماعية للأسرة فى تشكيل وبناء شخصيات أفرادها، حيث إن لذلك أثره فى سلوك الأفراد فى المجتمع الأكبر، وحيث يتأثر سلوكهم العام فى حياتهم الاجتماعية نتيجة لما يلقونه من معاملة ومايحدث لهم من تطبيع اجتماعى داخل الأسرة.

وفى مفهوم العلاقات الأسرية نجد أن هناك شبكة من العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الأسرة الواحدة، وكلما كانت العلاقات موجبة فى مسارها الطبيعى؛ ساد جو الأسرة الوفاء والترابط والتماسك بين أعضائها: والعكس من ذلك عندما يسود جو الأسرة التنافر والتناحر وعدم الرغبة فى تحمل المسئولية من قبل الآباء والأبناء.



وفيما يلى المسارات المتعددة للعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة:

أ ـ علاقات الزوج والزوجة: والتى تقوم على أساس الحقوق الزوجية التى يقرها الشرع الحنيف، والمسئولية المشتركة نحو الأبناء وبيت الزوجية ومايتضمن ذلك من العناية بالأبناء وتنشئتهم، وتقسيم العمل بين الزوجين، وحقوق وواجبات كل منهما.

ب ـ علاقة الأب والابن: والتى تقوم على مسئولية الأب نحو الابن، وتشتمل عليه من تنشئة وتعليم وتربية، ومايقابل ذلك من وجوب الطاعة والاحترام من جانب الابن، وتعاون من جانب الابن عندما يكبر ويستطيع المساهمة فى الحياة الأسرية من النواحى الاجتماعية والاقتصادية.

جـ ـ علاقة الأم والابنة: وهى علاقة مماثلة لعلاقة الأب بالابن، وإن كانت تدور فى معظمها فى محيط البيت نفسه، وخاصة فيما يتعلق بالشئون المنزلية. والمساعدات التى تتوقع الأم أن تقوم بها الابنة حين تكبر.

د ـ علاقة الأب والابنة: وهى تتمثل فى مسئولية الأب تجاه حماية الابنة ومساعدتها ماديا حتى بعد الزواج فى الكثير من الأحيان. كما تتضمن موقف الأب من الابنة وطريقة تدليله لها وهى صغيرة العمر، وكيف تتميز هذه العلاقة بالتدرج بتقدم الابنة فى العمر.

هـ ـ العلاقة بين الأم والابن: والدور الذى تقوم به الأم فى تنشئة الابن الذكر، والتصاق الابن بأمه فى فترة الحياة المبكرة، ثم استقلاله التدريجى عن محيط النساء وكذلك الدور الذى يلعبه الابن فى حياة الأم ومسئوليته نحوها، حتى تقدمها فى السن وخاصة عند رحيل الأب.

و ـ العلاقات بين الإخوة الذكور: وهى فى الغالب الأعم علاقة زمالة فى اللعب أثناء الطفولة، وإن كانت تتطور إلى علاقة تعاون اقتصادى فى كثير من المجتمعات التقليدية تحت إرشاد الأخ الأكبر نحو إخوته الصغار عندما يموت الأب، ومايترتب على ذلك من مسئوليات خاصة بالابن الأكبر.

ز ـ العلاقة بين الأخوات الإناث: وهى تماثل إلى حد كبير العلاقة التى تقوم بين الأخ الأكبر وأخيه الأصغر، وإن كانت تمتاز بوجه خاص بأن الأخت الكبرى فى كثير من المجتمعات، يوكل إليها أمر العناية بأختها الصغرى منذ الصغر، وبذلك تقف منها موقف الأم فتعتنى بنظافتها وتشرف على كل أمورها، ويظهر ذلك على الخصوص، عندما يكون الفارق فى العمر بينهما كبيراً.



ح ـ **العلاقـة بين الأخ والأخت:** وهى علاقة زمـالة فى اللعب أثناء الطفولة، وإن كان هذا يتوقف إلى حد كبير على فوارق السن بينهما، ثم لاتلبث هذه العلاقة أن تتطور تدريجيًا، بحيث يطرأ عليها نوع من التحفظ فى سلوك أحدهما نحو الآخر، ويرتبط ذلك بتفاصيل المركز الاجتماعى لكل منهما، ومايشعر به الأخ من مسئولية نحو أخته وخاصة حينما يموت الأب.

المفهوم الأسرى فى الإسلام:

من حيث كانت كلمة الأسرة مشتقة لغويا من الأسر والقيد، وحيث كانت الأسرة من وجهة النظر الإسلامية ليست قيدًا أو عبثًا، وإنما هى حتمية نفسية، فلقد أطلق الإسلام كلمة الأهل لتدل على الأسرة.

والأهل فى المفهوم اللغوى مشتق من الفعل أهل على وزن (رضى) بمعنى أنس أى استراح، وهدأ واطمأن، يقال: آنسه مؤانسة، لاطفه، وأزال وحشته، وبما أن الراحة النفسية والسكينة والطمأنينة أمور لاتتحقق بالتمنى، وإنما تنال بقدر مايبذل المرء فى سبيلها من أعباء ومايتحمله من أجلها من مسئوليات، ومن هنا كانت الأهلية أو الصلاحية أو القدرة، فليس كل رجل قادر على أن يكون زوجا أو رب أسرة، فالزواج يتطلب مؤهلات جسدية ومادية ونفسية وعقلية وخلقية لايقدر عليها كل إنسان. وهكذا نجد أن الإسلام قد غير مسار مفهوم الأسرة فجعله مسئولية على الإنسان يقبل عليها رضًا وطواعية باحثًا عن الراحة والسكينة والطمأنينة، ويوضح لنا هذا المعنى قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ (الروم)

ولايكتمل المفهوم الإسلامى للأسرة إلا إذا فهمنا المعنى الطبيعى للأسرة، بمعنى أن كل فرد من أفرادها من موقع التراحم الذى أوصى به الإسلام، يأخذ ويعطى حسب فطرته التى فطره الله عليها، وليس حسب الضغوط الحياتية المفروضة عليه، وهذا يرجعنا إلى فهم طبيعة الرجل والمرأة والأطفال، وهم العناصر الثلاث المكونة للأسرة، ولو رجعنا إلى طبيعتها نجدها إنسانية، ومعنى إنسانيتها وجود الإنسان فى أعماقها، ولا يمكن فهم إنسانية الإنسان فى مفهوم الحضارة الحديثة التى تقوم على حيوانية الإنسانية وليس إنسانية الإنسان، ولذا فلا يمكن فهمها إلا فى ضوء الإسلام وحده، والإنسان فى العقيدة الإسلامية يحتل منزلة عالية لاتعلو عليها سوى منزلة الله سبحانه وتعالى، إذًا



فإن الإنسان بحكم تكوينه خليفة فى الأرض فوظيفته الأساسية فى الحياة هى أن يعطى تقربًا إلى الله وليس استكراها، وهذا هو الفارق بين إنسانية الإنسان وحيوانية الإنسان.



فالأسرة الإسلامية هى الأسرة الإنسانية التى تقوم على العطاء وليس على المصلحة فالأب يُعطى أمنًا، والأم تعطى حبًّا وحنانًا، والأبناء يعطون بسمة الرضا.

وهذا العطاء هو الذى يحدد مسئوليات وعلاقات أفراد الأسرة تجاه بعضهم البعض، فالأب لكى يعطى أمنا عليه أن يكون أهلا لتحمل مسئوليتى الزوجية والأبوة، والأم عندما تُعطى حبًّا وحنانًا يجب أن تكون أهلا لتحمل مسئوليتى الزوجية والأمومة، حتى تكون قادرة على هذا العطاء، وليس كل إنسان قادراً على بذل مثل هذا العطاء ما لم يكن مهيأً له نفسيًّا واجتماعيًّا، والأبناء لايستطيعون إعطاء بسمة الرضا ما لم يكونوا بحق راضين وقادرين على إعطاء هذه البسمة، بصدق، والتعبير عن هذا الرضا يكون عن طريق قيامهم بما يلزمهم من واجبات تجاه أبويهم.

إذن ما هى الأسس التى تبنى عليها هذه العطاءات، وماهى حقوق الأبناء على الآباء وماهى حقوق الآباء على الأبناء؟؟.

وللإجابة على هذا السؤال نقول: لكى يتوافر للأبناء الأمن والاستقرار والحب والحنان فعلى الأبوين أن:

١ - ينجبا أبناء شرعيين عن طريق الزواج الشرعى الذى تقره الشرائع والأديان،



وأن يحرصا على الحفاظ على رباط الزوجية، وأن يؤدى كل منهما واجباته تجاه الآخر برضى وسعادة دون شقاق ومشاكل تهدد كيان الأسرة وتفقد الأبناء الشعور بالأمن.

٢ ـ يحسن الاب اختيار أم أبنائه وتحسن الأم اختيار والد أبنائها.

٣ ـ يحسنا معاملة أبنائهما وأن لايفرقا بينهم فى المعاملة ويحسنا اختيار أسمائهم والنفقة عليهم.

٤ ـ يقوما على تربيتهم تربية إسلامية فاضلة،وأن يكونا لهم المثال والقدوة وأن يحسنا تعليمهم.

هذه حقوق الأبناء على الآباء، أما حقوق الآباء على الأبناء فتتلخص فى احترام الأبناء لآبائهم والبر بهم فى حياتهم ومماتهم وفى شبابهم وكبرهم وشيخوختهم وكهولتهم.

ونظرا لتقصير الجانبين فى هذه الحقوق والواجبات فى عصرنا هذا وفى المجتمعات عامة، ونظرا لأهميتها وخطورتها أستأذن القراء الكرام ببحثها بشىء من التفصيل لأنها تمثل محور مانريد أن نتوصل إليه كعلاج لما نراه من سلبيات فى مجتمعنا المعاصر.

ولما كان الزواج هو بداية تكون الأسرة فسنبدأ حديثنا عن الزواج وحكمة الإسلام فى تشريعه. وان كان من المناسب قبلهما التعرف على المقصود بالنسق الأسرى.



المبحث الثانى

النسق الأسرى

إن فهم سلوك الأسرة فـهما واضحا متكاملا، لايكـون من خلال دراسة كل فرد على حدة، إننـا نستطيع أن نعرف بـعض الأشياء عن كل جـزء من أجزاء جـهاز أو آلة بدراسة كل جزء على حدة، ولكننا لانعرف كيف تعمل هذه الأجزاء معًا، وهذا ماينطبق على الأسـرة فلو قمـنا بدراسة كل فـرد فى الأسـرة، لايمكننا القـول أننا درسنا سلوك الأسرة.

ومن هنا يعتمد تعريف النسق أو النظام الأسرى Family System على فكرة أن الكل لايمكن الإلمام به إلا من خـلال دراسة علاقة الأجـزاء بعضهـا ببعض. وعلى أى حال فإن أى تكوين يتضـمن أجزاء مرتبطة مع بعضها البعـض بعلاقات أو تفاعل يمكن أن نطلق عليـه «نسق». والأسـرة تتكون من أفـراد يرتبط بعـضـهم البعـض بعلاقـات وبدرجات مـتفاوتة وبينـهم تفاعل، ومن هنا يمكننا أن نطلق على هذا مـصطلح النسق الأسـرى. ومكونات النسق الأسـرى هم الأفراد المـكونون للأسرة، فـهم أجـزاء النسق ويمكن مـلاحظتهم والتعـرف على شخـصية ومـيول واتجـاهات كل منهم واستـعداداته وقدراته، ومن غـير الصحـيح أن نقول أننا بذلك تعرفنا عـلى سلوك الأسرة، الكلى أو العام.

إن فكرة الأنساق فى مجال علم النفس قديمة نسـبيا، وفى مقدمة هذه الأنساق، النسق الأسرى، على اعتبار أنه يمكن النظر إلى أى جماعة إنسانية بوصفها نسقا.

وفى ضوء أفكار «ليفين» Levin، فإن السلوك الإنسانى Behavior (B) يعتبر دالة Function (F) أو وظيفة لحيز الحياة Life Space (Ls) الذى يعد ناتجا عن التفاعل بين الفرد Person (P) ومحيطه أو بيـئته Ehvironment. وعلى الرغم من أن ليـفـين لم يتعـامل مع الأسرة باعـتبارها جـماعة، ولـكن تناوله لأفكار عن الجمـاعات أثار بعض وجهـات النظر والشكوك حول الأسرة، حـيث كان علاج المريض نفـسيا يتم بعـيدا عن أسرته، وتغـيرت هذه الوجهة بعـده حيث بدأ العديد من النفسـيين ينظرون إلى الأسرة ككل باعتـبارها مريضـا وليس فردا فيـها أو عنصرا منهـا؛ لأن سلوك الفرد لاينتج من



الخصائص الخاصة به وحده، ولكنه ينتج أيضا من علاقة ذلك الجزء بالأجزاء الأخرى أو الأفراد الآخرين وبعلاقته بالكل. إن النظرة الميكانيكية فقط ـ وليست الدينامية ـ هى التى ترى أنه لو فككنا الكل إلى الأجزاء المكونة له ثم أعدنا تركيب تلك الأجزاء بنظام مختلف، فإن كل جزء سوف يظل يؤدى وظيفته الأصلية التى كان يؤديها من قبل، لأنه لايستطيع أن يؤدى وظيفة أخرى.

ويشير «بيردوستل» Birdwhistell إلى أنه لاينبغى أن يفهم الاتصال الإنسانى بوصفه نموذجا بسيطا للفعل ورد الفعل، وإنما كنسق يجب فهمه على المستوى التفاعلى.

وينظر عادة إلى فرد الأسرة باعتباره فردا إيجابيا، مقابل اعتبار عضو آخر فرداً سلبيا. والفرد العادى يميل إلى التفكير فى سلوكه وسلوك أسرته فى ضوء العلاقة البسيطة «السبب ـ النتيجة» أو «المثير ـ الاستجابة». وهذا مايجعلنا نرى أثناء جلسات الإرشاد الأسرى أو العلاج محاولات بعض الأعضاء فى الأسرة إلقاء اللوم على الآخر أو يقولون أن الآخر هو السبب.

وتعتبر دراسة الاتصال الذى يحدث بين أى جزئين أو فردين من أفراد الأسرة كنسق أمر مضلل، لأن ذلك فيه تجاهل للحالة الكلية للنسق. كما أن هناك عدم يقين بالنسبة للنسق المتتابع يحدث فى كثير من صور التبادل اللفظى ويسمى مشكلة وضع علامات الوقف أو الترقيم Punetate حيث يكون الاختلاف فى تفسير وإدراك مايعتبر مثيرا، ومايعتبر استجابة حسب كل طرف من الأسرة مشارك فى الموقف. وهذا الأمر غالبا يكون خلف العديد من المشاحنات الأسرية، فنرى الزوجة وزوجها كلاهما يلقى اللوم على الآخر، ويدعى أن استجابته وسلوكه لم يكن إلا رد فعل لسلوك غير مناسب من الطرف الآخر. وتعتبر ذلك نظرة النسق المتتابع.

أما نظرة نسق الصفقة التعاملى Transactionalism فينظر للمسألة على أساس أن كلا من الزوج والزوجة لم يمثل أى منهما فى هذا التتابع لا المثير الذى أثار الطرف الآخر، ولا الاستجابة لهذا المثير، ولكن كل منهما له دور فى التفاعل نتج عنه السلوكيات غير المرغوبة..

ونظرة نسق الصفقة التعاملى يثير الشك حول العلاقات البسيطة مثل علاقة السبب ـ النتيجة، كظهور عصابية الابن من جراء خوف الأم الزائد عليه، أو حدوث الطلاق لمعاملة الزوج السيئة . . وتؤكد هذه الرؤى على أهمية عدم النظرة إلى العلاقة بين فردين فى الأسرة دون أن نأخذ كيفية التعامل وتفاعل الأفراد الآخرين داخل تلك الأسرة.



وهناك المذهب الكلى الذى لاينظر إلى الكائن بوصفه كلا متكاملا فقط، ولكن ينظر إليه بوصفه مكونا متفاعلا مع بيئته أو أنه فى وسط أسرة تعتبر وحدة من الشخصيات المتفاعلة فى تكامل. The Family, As A Unity of Interacting Personalities.

وفى ضوء هذا المذهب يصبح الأب غير الكفء مسهمًا فى اضطراب ابنه أو ابنته، كما أن العلاقات بين الأخوة تعتبر عاملا باثولوجيا مسهمًا فى نمو المرض لدى فرد الأسرة المريض (هذا الابن مثلا)، فى الوقت الذى يكون الابن نفسه ليس سلبيا كما كان يظن لأنه يسهم فى نشأة بذور المرض لديه ونموها برغبته التى قد تكون لاشعورية نحو المرض. أى إن الابن المريض نفسيا عبارة عن عرض لتشابك وتداخل عوامل مرضية فى الأسرة.

وجاءت نظرية النسق العامة General System Theory (Gst) التى لها جذورها من نظرية الجشطلت معتمدة على عدد من المبادئ عرضتها ايفيلين سيبرج Evelyn Sie-burg:

١ ـ **مبدأ الوحدة:** وفيه يكون الكل الشامل عبارة عن نسق واحد عظيم ضخم Massive يمكن النظر إليه مكونا من أى عدد من الأنساق الفرعية.

٢ ـ **مبدأ تغير النسق:** عندما تتغير العلاقة أو العلاقات أو بعضها (أفراد الأسرة) بين أجزاء النسق، فإننا نكون أمام نسق أسرة معاد تشكيله بأكمله. والتغير نوعان: الأول من الدرجة الأولى، ويحدث عندما يصيب المكونات الداخلية تغيرا ويصيب علاقات المكونات الداخلية (الأفراد) تغير، والثانى من الدرجة الثانية، ويحدث عندما تدخل معلومات جديدة إلى النسق.

٣ ـ **مبدأ القابلية للحياة:** النسق الأسرى يظل حيًّا مادام هو مستمر فى التغيير وإصلاح نفسه فى الوقت الذى يبقى نسقا لايذوب فى غيره من الأنساق. وأن يتوافق مع الضغوط التى يصطدم بها، ويبتعد عن العشوائية فى سلوكه. وهنا لانكون أمام خلل فى طاقة النسق الأسرى يطلق عليه الطاقة المعطلة Entro-phy التى تؤدى إلى المزيد من التخبط والعشوائية.

٤ ـ **مبدأ التمييز بين الأنساق:** أى نسق ومنها النسق الأسرى يتعرض لتتابع حالات ويكون فى حال تحول. فإذا لم تؤد هذه التحولات إلى إنتاج جديد وإنما تؤدى فقط إلى إعادة ترتيب أجزاء النسق، نقول أننا أمام نسق مغلق



Closed System والتغيـر الذى يحدث فى هذا النسق هو تغـير من الدرجة الأولى، والنسق الأسـرى هنا يسعى إلـى الحفاظ على التـوازن داخل حدوده ويقطع الصلة بمن حوله.

أما النسق المـنفتح Open System فهـو فى حال تبادل دائم لـلمعلومات وغـير مقطوع الـصلة بما حوله، ويحقـق درسا توافقا مع المعـلومات الداخلة من خارجـه إليه والنسق المنغلق يستسلم للضعف والانهيـار بينما الأسرة ذات النسق المنفتح تقاوم عناصر الهدم لأنها متفاعلة مع البيئة المحيطة فى إطار القيم والتقاليد.

٥ ـ **حدود النسق الأسرى**: كل نسق له حدود ينحصر داخلها وتضم هذه الحدود كل العلاقات والأحداث المتضمنة فى النـسق والتى تختلف عن تلك العلاقات والأحداث الـقائمة خـارج حدوده. وتقـوم الحدود بدور مـرشحات (فلـترة) تسمح أو تمنع دخول أو خروج طاقات، وبالتالى فإن هناك حدوداً ذات نفاذية عالية وحدوداً تنخفض درجتها فى النفاذية.

٦ ـ **المحافظة**: لكل نسق خـاصية الحفاظ علـى ذاته أو خاصيه التـوازن الحيوى Homestatis أى الحفـاظ على سلـوك النسق الأسـرى وضبطه داخـل نطاق الحدود المطلوبة لـدرجة أن حدوث أى شىء خارج نطاق المدى المقـبول للنسق يصاحـبه توتر أو عدم توازن فـتستشـار ميكانزمات الـتوازن الحيوى لاسـتعادة التوازن.

٧ ـ **التغذية الـراجعة (المرتدة)**: وهى وسيلة يحتفظ مـن خلالها النسق الأسرى بالاستقرار. وهناك تغذية مرتدة سالبة تشير إلى قوة حافزة لإحداث التغير.

٨ ـ **مبـدأ المحصلة النـهائية الـواحدة**: النسـق الأسرى المنفـتح فى ضوء القـيم والتقاليد يكون أكثر مرونة من النسق المنغلق، فيما يتعلق بالطريقة التى يتعامل بها مع المدخـلات. فلو أغلقت إحدى الطـرق نجد النسق المنفتـح يبحث عن طرق بديلة ومكونات أخرى متاحة وبالتالى الوصول إلى المرغوب بطرق بديلة إن هذا هو مبدأ المحـصلة الواحدة Equifinality ولدى الأسر التقـليدية قدر لابأس به من خاصية المحصلة الواحـدة، ولكن فى الأنساق الأسرية غير المرنة تكون هذه الخاصية محدودة أو تكاد تكون مقيدة.

٩ ـ **مبدأ الاتصـال البينى**: تحت الظروف الضـاغطة الخارجية، قد يلـجأ النسق



الأسرى إلى تركيز وتكثيف الجهد والضغط أو تحميل الأمر لفرد واحد، وقد يلجأ نسق أسرى آخر إلى توزيع الضغوط والأعباء على النسق بأكمله، مما يجعل النسق يتحمل درجات عالية من الضغوط لأنه يجند أكثر من عضو فى الأسرة ليشارك فى التحمل بدرجة أو بأخرى.

الأسرة كنسق جزئى (فرعى) ونسق مغلف (فوقى):

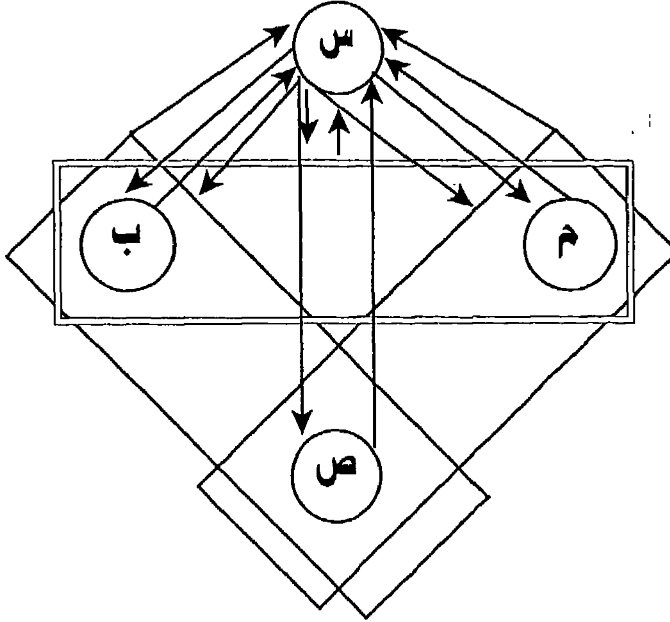
يمكن اعتبار كل فرد من أفراد الأسرة نسقا فى حد ذاته، وهذا النسق «أو النسيق» موجود داخل النسق الأسرى الأكبر الحاوى أو المغلف، ولتكن الأسرة النواة Nuclear Family التى توجد فى نسق أكبر يتمثل فى الأسرة الممتدة Extended Family. وهكذا فإن الفرد يعد نسقا جزئيا فرعيا Sub Syetem والأسرة الممتدة نسقا مغلفا أو فوقيا Su-pera System. وبالتالى يمكننا القول أن الأسرة الممتدة نسقا فرعيا من نسق أكبر مثل المجتمع. وعلى أى حال فإن النسق الفرعى يتفاعل بدرجة معينة مع الأنساق الأكبر التى تحتويه كالقبيلة أو العائلة والمجتمع و.. والفرد الواحد يمكن أن يكون عضوا فى عدة أنساق؛ فالزوجة أحد أفراد الأسرة النواة واحد أفراد الأسرة الممتدة وإحدى أفراد المجتمع كما أن الزوجة نسق فرعى مع زوجها (زوج - زوجة) وتنتمى إلى نسق فرعى آخر (والدة - ابن) مع ابنها، وتنتمى إلى نسق فرعى ثالث (والدة - ابنة) مع ابنتها.. وكل ذلك أيضا أنساق فرعية داخل النسق الأسرى الأكبر.

وهذا التعدد والتنوع يتطلب رصد كل تصرفات وأفعال الفرد داخل الأسرة فى ضوء الانتماءات لهذه السياقات الفرعية. فإذا كان لدينا الابن (س) مثلا فهناك شبكة علاقات له إذا كان داخل أسرة نواة مكونة من أخت (ص) بالإضافة إلى الأب (ب) والأم (م) وسلوكيات الابن (س) يمكن أن تفسر داخل أسرته فى ضوء ١٢ علاقة أو ن (ن - ١) حيث ن عدد أفراد الأسرة السابقة وهو ٤ أفراد. ولذلك فالابن (س) يتطلب تحليل النسق ١٢ علاقة مختلفة على الأقل هى على النحو التالى:

الابن مع الأب	الابن مع الأب والأم
الاب مع الابن	الاب والأم مع الابن
الابن مع الأم	الابن مع الأم والابنة
الأم مع الابن	الأم والابنة مع الابن
الابن مع الابنة	الابن مع الأب والأخت
الابنة مع الابن	الأب والابنة مع الابن



ويمكن تمثيل شبكة العلاقات هذه بالصورة التالية:



ويزداد تعقيد شبكة العلاقات السابقة بزيادة حجم الأسرة، وإذا كان هناك تحالفات أو إحراب Coalitions داخل النسق الأسرى. وكذا إذا كان الابن (س) له علاقات بأنساق أخرى خارج نطاق الأسرة مثل النسق المدرسى والنسق الصداقى. وقد يؤدى الأمر أن يتفاعل نسق الأسرة بكامله مع نسق آخر، لأن أحد أفراد الأسرة له علاقات مع نسق آخر.

قواعد نسق الأسرة:

النسق الأسرى محكوم بقواعد Rules وتفاعل أفراد الأسرة منتظم ومحكوم بهذه القواعد. فكل فرد من أفراد الأسرة يعرف أنماط الأنظمة التى تعمل فى إطارها الأسرة ويعرف ماهو مسموح وماهو غير مسموح به، وماهو متوقع منه، وعلى الرغم من أن هذه القواعد غير مصاغة أو مكتوبة، إلا أن أفراد الأسرة يتعلمون هذه القواعد، والتى عادة تكون على شكل إرشادات وتوجيهات وتوجيهات أسرية وشأنها أن توضح قواعد الأسرة. وبعض قواعد الأسرة تكون واضحة لغويا على شكل تعليمات أو توجيهات أو نصائح تعلن لأعضاء الأسرة فى مناسبات، ولكن بعضها يكون خفيا أو مقنعا Covert وغير مصاغ فى كلمات، أى تشبه استنتاجات يخلص إليها جميع أفراد الأسرة. ويتصرف الوالدان حسب القواعد المقنعة وغير المصاغة فى كلمات إلا إذا اقتضى الموقف غير ذلك، فالبنات مثلا يساعدن الأم عند إعداد الطعام، ولايطلب ذلك من الأولاد.. وغير ذلك من الأمثلة.



وتساعد القواعد فى الحفاظ على النظام والاستقرار وتسمح فى نفس الوقت بحدوث التغيرات المطلوبة تبعا للظروف. وفى الأسر التى لايقوم التفاعل فيها على أساس صحى، فإن المجال يكون فضفاضا واسعا، فى فهم وإدراك هذه القواعد، فالبعض يفهمها كما يريد هو وحسب إدراكه لباقى أفراد الأسرة. وهذا مايدفع ببعض المعالجين والمرشدين النفسيين لتوضيح هذه القواعد لأعضاء الأسرة وتوحيد مفاهيمها ومضامينها للجميع، وخاصة أن بعض الأسر لاترحب بمناقشة أو توضيح بعض الأمور الحساسة فى نطاق قيمها وثقافتها.

كما أن بعض الأسر تسلك على نحو يجعل فهم القواعد أمرا صعبا مثل الأسر التى تمنع التعبير عن الخوف أو التعبير عن الضعف، وبعض الأسر التى تشجع التعبير عن المشاعر الزائفة غير الحقيقية مجاراة لتقاليد مجتمعها، وبعض الأسر التى تشجع على رد العدوان على من هم خارج نطاق الأسرة فقط .. وهنا نكون أمام أسر بها من الاختلال الوظيفى نظرا لاتباعها قواعد مختلفة وظيفيا.

المحافظة على إتزان نسق الأسرة:

من المعروف أن جسم البشر متوجه تلقائيا للحفاظ على درجة حرارة داخله قدرها ٣٧ درجة تقريبا وهذا مانطلق عليه الاتزان الحيوى Hemeostasis، ونسق الأسرة يقوم على نحو قريب بمثل هذا فيحدث توازنا واستقرارا، فنجد أفراد الأسرة يقومون باستعادة الاتزان والجو المستقر كلما اختل الاتزان عن طريق عدم السماح بالانحراف زيادة أو نقصانا بوضع حدود عليا لدرجة تصاعد التفاعلات السلبية. فلايسمح لمشاجرة بين طفلين أو عضوين من الأسرة أن تتصاعد إلى درجة الاعتداء الجسدى، ونجد الأب أو الأم أو كلاهما يتخذ واحدا وأكثر من الأمور مثل: توبيخ أحدهما أو الاثنين معا - تذكيرهما بالعلاقات الأسرية - عناقهما وحثهما على المصالحة - اتخاذ دور القاضى والحكم على المخطئ - وهنا نقول أن الوالدين أو أحدهما يحاول إعادة الاتزان الذى اهتز بمشاجرة الطفلين.



وبطرق أخرى، أو مشابهة يقوم الزوج والزوجة بمراجعة علاقتهما محاولين إعادة الاستقرار والتوازن عند توتر العلاقة بينهما بطرق



مثل التجاوز عن أخطاء الشريك الآخر أو . . والنسق الأسرى يجب أن نذكر أنه لايعود إلى نفس النقطة دوما، فالأنساق الإنسانية ثباتها نسبى وليس مطلقا، فهى تبحث غالبا عن مخارج جديدة أو حلول تؤدى إلى مستوى أنسب من الاستقرار والاتزان.

التغذية الراجعة داخل نسق الأسرة:

تسمى الآلية التنظيمية التى يتمكن نظام الأسرة من خلالها المحافظة على الاتزان فى ضوء تحقيق أهدافه أو بعضها، تسمى تغذية مرتدة أو راجعة Feedback، وهى تنطوى على إعادة إدخال نتائج الفعاليات السابقة إلى نسقها (نسق الأسرة) لمراقبة ممارستها التالية وتقويمها.

وهناك تغذية راجعة أو مرتدة وهى التى تعمل على التصحيح عن طريق التقليل، أو التخفيف من المدخلات حتى يعود النسق إلى حالة الاتزان، وهناك التغذية الراجعة أو المرتدة الموجبة التى تعمل على تضخيم رد الفعل حيث تعمل على زيادة أو تعجيل الانحراف الأولى.

واستقرار نسق الأسرة يتحقق من خلال عمليات التغذية الراجعة سواء السالبة أو الموجبة.

حدود النسق الأسرى:

الخط الفاصل غير المرئى بين نسق وآخر أو بين الأنساق الفرعية داخل النسق الأكبر أو الفوقى يسمى حدًا Boundary وهذا الحد يقوم بدور حارس يضبط تدفق المعلومات إلى النسق ومنه. وداخل الأسرة حدود تميز بين الأنساق الفرعية، ويجب أن تكون هذه الحدود واضحة ومعروفة لتسمح لأفراد الأنساق الفرعية داخلها بأداء مهامها. وعلى هذا فالحدود داخل النسق الأسرى تساعد فى حماية استقلالية الأنساق الفرعية فى الوقت الذى تحافظ فيه على الاعتماد المتبادل بينهما داخل الأسرة.

فمثلا يحدد الأب حدود النظام الفرعى الخاص بالوالدين وسلطتهما حينما يعلن للابنة الكبرى «مالك وأخيك الأصغر حتى تحددى له مايجب أن يراه من مجلات . . أنا ووالدتك فقط نقرر ذلك . . .» ويمكن للأم أن تحدد مسئولية النسق الفرعى الخاص بالابن الأكبر فى الأسرة حينما تزيد من مهامه معلنة لأطفال الأسرة الصغار، «أريد منكم ياأولادى طاعة أخيكم الأكبر . .» وقد تضيف مسئوليات أخرى للجدة أو الخالة أو . . .



فالحدود لـلأنساق الفرعـية لها أهميـة واضحة فى تفـعيل وفعالـية دور الأسرة. وترتبط مسئوليـة الأنساق الفرعية بقضية هامة فـى حدود الأنساق وهى نفاذية Permea-bility هذه الحدود. فالحدود تتباين فى مدى سهـولة تدفق المعلومات من النسق الفرعى وإليه، وينـبغى أن تكون الحدود والقـواعد واضحة أمـام جميع أفراد الأسـرة فى ضوء إمكاناتـهم وأعمارهم. إن الحـدود الغامضة أو الـصارمة أكثـر من اللازم تتيح الفـرصة للخلط والاضطراب وتؤدى إلى عرضة النسق الأسرى لعدم التوازن.

والنسق الأسرى الـذى يسمح بتدفق عـال فى المعلومات من وإلى الخـارج يسمى نسقا مفتوحًا Open System، وهنا نكون أمام نـسق أسرى لديه توظيف جيـد للطاقة Engentropy يتميز بالاتصال الخارجى المتناسب مع القيم والتقاليد. فالأسرة مثلا تسقبل الزوار وتقوم بزيارات للأقارب والأصـدقاء. وأبوابها غير مغلقة بالأقفـال، ولديها رغبة فى استكشاف المجتمع، وهناك حرية فى تبـادل المعلومات مع وجود رقابة مرنة ورشيدة على وسائل وأسـاليب الاتصال . . وفى النسق المتـفتح، لكل فرد حرية تحـديد تحركاته نحو الغير أو نحـو الأهداف التى ينشدها مادام يتحرك داخل الخـطوط والحدود المعلومة التى تم ترسيخهـا فى الأسرة. ومن هنا فإن هذا النسق يحافظ على التـماسك الجماعى كما يحافظ على حرية عضو الأسرة.

والنسق الأسرى الذى يـصعب عبور حدوده المتـسم بالتشدد والعزلة وغـير القادر على الاستفادة من التجارب الجديدة، وغير القـادر على رفض أو تغيير الأنماط التفاعلية التى ثبت أنها غير صالحة، يسـمى نسقا أسريا مغلقا Closed System وهو نَسق يهدر الطاقة Entropy لأنه ينفقها فى محاولات غير توافقية، والأسرة تعزل نفسها عن تيارات التغير المفيدة فـى ضوء القيم والتقاليد، وتحرم نفسها التـجارب الجديدة. ومن أمثلة هذه الأسر الأقليات أو أسر المجموعات العرقـية أو . . وهى أسر تنظر أحيانا بشك وارتياب للآخرين. إن أفـرادا فى مثل هذه الأسـر على اتصال محـدود بالمجتمع حـيث ينظرون لأنفسهم بأهمية العزلة لأنهم يخشون عدم الوفاء بمطالب المجتمع المحيط. إن هذه الأسر تبنى حدودا جامدة تحول دون تدفق المعلومات، وهـم أشبه بدائرة مغلقة Closed Circuit وكأنهم يعيـشون وسط مجتمع أعداء، وهنـاك مواعيد ونظم لتحركـات الأبناء، كما أن هناك إشرافا صارما على اتصالات الأبناء، وبعضهم يرى أهمية عدم وضع رقم التليفون فى دليل التليفونـات، ويسود هذه الأسر جو التكتم فى تناولهم لشئـونهم وكأنها أسرار محظورة. وهذه الـفكرة التى تكونها الأسـرة المنغلقة عن نفـسها والتى تريد أن يعـرفها الناس عنها هى أقرب إلى الأسطورة Myth. وهذه الأسطورة التى تريد الأسرة أن تقنع



بها أفـرادها وتقنع الناس كـثيرا مـاتكون خلف المرض النـفسى لبعض أفـراد الأسرة أو أحدهم.

إن أفراد هـذه الأسرة المنـغلقـة تنحـصر اتصـالاتهم بـخارج الأسـرة، ويكتـفى باتصالاتـهم داخلها ويزداد اندمـاجهم وانغماسـهم معا وجمـيعا داخل هموم ومـشاغل الأسرة. وهنا نقول أن علاقاتهم لها خاصية المعية Togetherness لوجودهم معا معظم الوقت، وتـقلص الخـصوصـية الشـخصـية، لـدرجة أن يصـل بهم الأمـر إلى فقـدان الاستقلالية الفردية Individual Autonomy وهو من الأمور الأسرية الممهدة لاضطراب بعض أفراد الأسرة ويطلق على هذا الفقدان للاستقلالية أحيانا مصطلحات مثل الانصهار Fusion أو الاندماج Merger أو نقصان التمايز Lack of Differentattion

وعلى أى حال فإن الأسرة المنغلقة تعتبر أسرًا غير مرنة Inflexibility فالعلاقات بين أفرادها تتسم بالجمود وتظل كما هى لاتتغير، لدرجة أن الطفل الصغير يكبر ويصبح مراهقًا أو حتى شابا وراشدا وتظل معامـلته من قبل الوالدين كما هى، ولدرجة أن الأم تظل تعامل الابن الصغير حتى يصل إلى المراهقة (معاملة المراهق كطفل) Infants Ado-lescence ولاتسمح هذه الأم، أو ذلك الأب للطفل بالانفصال الـشخصى وتنمو بينهما علاقة تكافل مـعروف أنها تكمن خلف إصابـة الابن أحيانا بالفصام عنـدما تنقطع هذه العلاقة.

هل النسق الأسرى يتغير؟

من منـطلق الوحدة الأسـاسية لـلنسق، فـإن أى زيادة أو نقصـان، أو حذف أو إضافة، أو ولادة أو موت داخل الأسرة يحدث تغييرا فى النسق كله.

والتكيف للظـروف الجديدة، والتى يترتب عليهـا تغيرا فى النسق أمر غـير بسيط دوما، وكثيرا مايشعر أفراد الأسرة بصعوبته وربما أدى إلى ارتفاع مستوى انفعالية بعضهم أو عصبيتهم أو المبالغة فى السلوك.

وبعض الأسر وخاصة المنغلقة تعمل على اسـتعادة النسق القديم أو محاولة إنكار التغير وربما تحديه، ويـنعكس آثار ذلك على الصحة النفسية أو بعـض نواحى الشخصية لبعض أفراد الأسرة.



المبحث الثالث

المجتمع : المفاهيم والمصطلحات

فى تحديد المفاهيم والمصطلحات الرئيسة لـهذا الكتاب نحدد المفاهيم والمصطلحات الخاصة بـ:

- المجتمع (بصفة عامة)

- المجتمع العربى (بصفة خاصة)

المفهوم اللغوى للمجتمع:

فى لسان العرب لابن منظـور جمع بمعنى جمع الشىء عن تفرقه يجـمعه جمعًا، وجمعه وأجمعه فاجتمع.

والمجمـوع بمعنى الذى جـمع من ههنـا وههنا، وإن لم يـجعل الشىء الـواحد. وتجمع القوم بمعنى اجتمعوا أيضًا من ههنا وههنا.

والجمع اسم لجماعـة الناس. والجمع مصدر قولك جمـعت الشىء. والجمع هم المجتمعون وهناك الجماعة والجميع. وأمر جامع بمعنى يجمع الناس.

المفهوم الاصطلاحى للمجتمع:

من الناحيـة الاصطلاحية ليس هـناك تعريف محدد ومـقبول لمصطلح المجـتمع، والاستخدمات الثلاثة الـشائعة له تشير إلى جوانب هامة من الحياة الاجـتماعية. وهناك المعنى العام للمـجتمع، حيث إن المعنى العام بمعـنى مجموع العلاقات الاجتـماعية بين الناس ـ أو هو كل تجـمع للكائنات الإنسـانية، من الجنسيـن، ومن المستويات العـمرية يرتبطون معا داخل جماعة اجتماعية لها كيان ذاتى ولها نظمها وثقافتها المتميزة.

ـ أو أنه النظم والثقافة التى تتحقق عند جماعة من الناس. والتعريف الأخير وثيق الصـلة بالـتعـريف الثـانى، وهـما يـشيـران إلى عنـصريـن أساسـيـين فى التـحلـيل السوسـيولوجى، أن الإنـسان يعيـش فى جماعـات، وأن سلوك الناس يتـأثر بالمعـايير والقيم.



الوحدة والتجمع الإنسانى:

ولقد كان المجتمع يعتبر تجمعًا من الأفراد يستمد طبيعة جمعية من طبيعة الإنسان إلا أن «كونت وسيمنسر» أكدا أن المجتمع ليس مجرد اسم جمعى يطلق على عدد من الأفراد، ولكنه وحدة كلية متميزة توفق الوجود الفردى. وقد اكتسبت وجهة النظر هذه ذيوعًا فى البحث السوسيولوجى.

ويستخدم مصطلح المجتمع أحيانًا للإشارة إلى الإنسانية أو النوع البشرى ككل أو ظاهرة التجمع الإنسانى.

التفريق بين المجتمع والجماعة الاجتماعية:

وحتى يمكن التميز بين المجتمع والجماعة الاجتماعية، يجب أن نتصور المجتمع على أنه الجماعة الكبرى التى ينتمى إليها الفرد، والتى يجد الناس فيها العناصر الأساسية للحياة المشتركة، وهكذا يصبح شبكة من الجماعات الاجتماعية.

التعريف على أساس النسق الاجتماعى:

وهناك من يرى أن المجتمع جماعة من الناس لها ثقافة مشتركة ومتميزة تحتل حيزًا إقليميًّا محددًا، وتتمتع بشعور الوحدة، وتنظر إلى ذاتها ككيان متميز، ويشبه المجتمع كل المجتمعات الأخرى فى اشتماله على بناء أدوار مترابطة وسلوك تفرضه المعايير الاجتماعية.

ومع ذلك فالمجتمع يعتبر نموذجا خاصًّا لجماعة تتميز بنسق اجتماعى شامل ينطوى على جميع المؤسسات الاجتماعية الأساسية.

ويتميز المجتمع كذلك باستقلاله، ليس بمعنى أنه مكتف بذاته من الناحية الاقتصادية اكتفاء ضروريا، وإنما بمعنى انطوائه على جميع أشكال التنظيم اللازمة لبقائه واستمراره فترة طويلة من الزمان.

أما النسق الاجتماعى Social System فإنه من المتفق عليه بين علماء الاجتماع ضرورة التميز بين الأنساق الاجتماعية والثقافية وأنساق الشخصية، على الرغم من أن مصطلح النسق الاجتماعى Social System قد يستخدم فى كثير من الأحيان بمعنى يشتمل على هذه الأنواع، ولكن إذا كان نسق الشخصية يشير إلى جوانب الشخصية التى تؤثر فى أداء الفرد لوظائفه الاجتماعية، فإن النسق الثقافى يشتمل على المعتقدات الفعلية والأنساق الملموسة للقيم والوسائل الرمزية للاتصال.



ويشير النسق الاجتماعى إلى أنماط التفاعل والتنظيم مثل بناء السلطة فى تنظيم ما، وتقسيم العمل فى الأسرة ووظائفها المختلفة.

مفهوم العرب:

العرب، والعُرب من الناحية اللغوية هما جيل من الناس خلاف العجم.

والعرب العاربة هم الخُلّص منهم.

والأعرابى هو البدوى. وهم الأعراب والأعاريب.

وليس الأعراب جمعًا لعرب. وإنما العرب اسم جنس ومن نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظعنهم، وانثوى بانتوائهم فهم أعراب.

ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمى إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء.

والله تعالى يقول: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (الحجرات: ١٤).

وهؤلاء قوم من بوادى العرب قدموا على النبى ﷺ، المدينة، طمعًا فى الصدقات، لارغبة فى الإسلام، فسماهم الله تعالى الأعراب.

والعرب هم الجيل الذى أقام سواء بالبادية أو المدن. والنسبة إليها أعرابى وعربى.

والعربية هى اللغة التى يتكلم بها العرب.

ويقال رجل عربى اللسان إذا كان فصيحًا.

التفريق بين المجتمع والجماعة الاجتماعية:

من واقع ما أشرنا إليه من مفهوم المجتمع يرى الباحث أنه يمكن أن نحدد مفهوم المجتمع العربى على أنه المجتمع الذى يضم الكيان العضوى العربى المشكل من الأفراد الذين تربطهم روابط ثقافية مشتركة ومتميزة والتى تحتل أقطارهم الحيز الجغرافى المشتمل على البلدان العربية بقارتى أفريقيا وآسيا، وحيث تتمتع هذه الأقطار بشعور الوحدة الذى من مقوماته:



- وحدة الدين والعقيدة.

- وحدة اللغة، حيث ينطق الأفراد بلغة، باللسان العربى المبين وإن تعددت اللهجات بين مختلف الشعوب العربية.

- وحدة الاقتصاد الذى يتميز باستقلاله فى المجتمعات العربية.

- وحدة المصاهرة والنسب.

- وحدة المناخ الجغرافى المتقارب لحد ما.

- وحدة الحضارة الممتدة عبر سنين طويلة.

- وحدة المصالح السياسية المشتركة.

وبهذا فإن المجتمع العربى يمثل وحدة اجتماعية تضم عدة أقطار مختلفة، و إن اختلفت فى ظروفها الاجتماعية والاقتصادية، فإنها تتوحد فيما سبقت الإشارة إليه من خصائص وسمات مشتركة، وحيث تشتمل الأقطار العربية على أدوار مترابطة وسلوك واتجاهات تفرضه المعايير الاجتماعية. الأمر الذى قد يجعلنا نتوقع تقارب الخصائص والسمات والعلاقات الأسرية فى داخل الأسرة العربية بين سائر المجتمعات العربية.



المبحث الرابع

ضوابط الحياة الاجتماعية: المفاهيم والمصطلحات

تتحدد الحياة والعلاقات الاجتماعية فى المجتمعات عامة والعربية خاصة بمجموعة من الضوابط، يهمنا أن نوضحها للصلة المباشرة بالمجتمعات عامة والمجتمع العربى خاصة.

وأهم ضوابط الحياة الاجتماعية مايعرف بالضبط الاجتماعى والذى نوضحه كما يلى:

الضبط الاجتماعى: Social Control

أهم مايحدد العلاقات الاجتماعية فى مستواها الفردى والجماعى مايعرف بالضبط الاجتماعى وتتحدد مفاهيم ومصطلحات الضبط الاجتماعى من عدة نواح نعرضها وفقًا للتقسيم التالى:

الناحية السلوكية:

من الناحية السلوكية يستخدم مصطلح الضبط الاجتماعى ليشير إلى أن سلوك الفرد وأفعاله يتحدد من خلال الجماعات والمجتمع المحلى والمجتمع الكبير، الذى يعتبر الفرد عضوًا فيه حيث إن الوسائل التى تحقق امتثال الأفراد لقواعد المجتمع، هى تنظيمات ذات طبيعة اجتماعية. ومانعنيه بسلوك الفرد Behavior وهو مايمثل استجابة أو رد فعل يقوم به الفرد. وهذه الاستجابات لاتتضمن فقط الاستجابات والحركات الجسمية، بل تشتمل أيضًا على العبارات اللفظية، والخبرات الذاتية، كما تشتمل أيضا على الاستجابات الكلية أو الآلية التى تتدخل فيها إفرازات الغدد حين يواجه الكائن العضوى أى موقف. وقد يستخدم بعض الباحثين مصطلحين: فعل، وسلوك بمعنى واحد، إلا أن اصطلاح السلوك أعم من الفعل، لأنه يشتمل على كل مايمارسه الفرد، ويفكر فيه، ويشعر به بغض النظر عن القصد والمعنى الذى ينطوى عليه السلوك بالنسبة للفرد.



ناحية السيطرة الاجتماعية:

تشير أقدم تعريفات الضبط الاجتماعى «أدوارد روس» Ross (١٩٠١م) على أن الضبط الاجتماعى هو السيطرة الاجتماعية المقصودة التى تؤدى إلى وظيفة معينة فى المجتمع.

ناحية المشكلات الاجتماعية:

تعتبر المشكلات الاجتماعية مشكلات تتعلق بالضبط الاجتماعى، ففى نظر «بارك وبيرجس» أن كل المشكلات الاجتماعية تتحول فى النهاية إلى مشكلات تتعلق بالضبط الاجتماعى.

والمشكلة الاجتماعيةSocial Problem هى موقف مؤثر فى عدد من الأفراد بحيث يعتقدون ـ أو يعتقد الأعضاء الآخرون فى المجتمع بأن هذا الموقف هو مصدر الصعوبات والمساوئ التى تواجههم. وبذلك تصبح المشكلة الاجتماعية موقفًا موضوعياً من جهة، وتفسيرا اجتماعيًا ذاتيًا من جهة أخرى. والمشكلات الأساسية التى يعانى منها المجتمع هى:

انحراف الأحداث والجريمة، والانتحار، والقتل، والإدمان، والطلاق، والضعف العقلى، والتمييز العنصرى، والصراع الصناعى والإسكان غير الملائم، والمناطق المختلفة والبطالة، وغير ذلك من المشكلات الاجتماعية التى يعانى منها المجتمع الانسانى منذ القدم وحتى عصرنا الحاضر.

ونود الإشارة إلى أن هذا الاستخدام الخاص بالمشكلات الاجتماعية واعتبارها مشكلات تتعلق بالضبط الاجتماعى، والذى قام بتحديده «بارك وبيرجيس»، هذا الاستخدام تناول بعدًا اجتماعيًا ـ نفسيًا، حيث صور «جورج هربرت» الضبط الاجتماعى، على أساس (بناء الذات) وحيث تقبل الفرد للاتجاهات السائدة فى المجتمع، ومدى مشاركته للأنشطة الاجتماعية فى الجماعة.

والذات Self هى جانب الشخصية الذى يتكون من مفهوم الفرد عن نفسه، ومايعبر عنه طريقة إدراك الفرد لنفسه، نتيجة ومحصلة تجاربه وخبراته مع الآخرين ولطريقة تصرفهم نحوه، وللانطباع الذى يدركه من نظرتهم إليه.

وتتطور الذات وتنمو خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى.

فالطفل الصغير لايحظى بمفهوم منظم عن كيانه وخصائصه، ولكنه يبدأ فى



تكوين هذا المفهوم وفى إدراك مكانه فى المجتمع عن طريق استدماج تعريفات الآخرين له. ومع أن الذات تنمو فى مرحلة الطفولة إلى درجة ملحوظة، إلا أنها لاتصل فيها إلى صورة نهائية غير قابلة للتغيير، حيث تكون عرضة باستمرار للتعديل نتيجة لوجودها فى بيئة اجتماعية متغيرة.

هذا وتقوم الذات بإجراء عملية مقارنة غير منقطعة، وعملية تقييم وإعادة تفسير نفسها كلما تغيرت مراكز الفرد وأدواره فى المجتمع.

ناحية الأنماط الثقافية:

وهناك من يشير إلى أن الضبط الاجتماعى مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالثقافة، ولذلك فالضبط الاجتماعى ذو صلة بعلم (اجتماع الثقافة).

مثال ذلك مايراه «جورفيش» من أن الضبط هو مجموع الأنماط الثقافية التى يعتمد عليها المجتمع ككل فى ضبط التوتر والصراع، ومن هذا التعريف كان الاهتمام بمعالجة ميكانيزمات الضبط الاجتماعى.

والنمط الثقافى Cultural Pattern هو تنظيم مركبات الثقافة التى تؤلف الصيغة الكلية لمجتمع ما، أو القيم والمعتقدات السائدة التى تميز ثقافة بعينها، والتى اكتسب قدرا من الاستمرار النسبى.

الناحية الاجتماعية أو الثقافية:

ويعتبر الضبط الاجتماعى وسيلة تفرض عن طريقها القيود المنظمة والمتسقة نسبيًّا على السلوك الفردى، بهدف التوصل إلى مسايرة الفعل للتقاليد وأنماط السلوك ذات الأهمية فى أداء الجماعة (أو المجتمع) لوظيفتها على نحو مستقر.

لذلك فقد تعتمد الصورة الأساسية للضبط الاجتماعى على موافقة الفرد أو تأييده لمستويات السلوك التى حددتها المعايير الاجتماعية وتوقعات الدور بوصفها صائبة ملائمة. ونتيجة لذلك فإن عملية التنشئة الاجتماعية واستدماج المعايير الاجتماعية والقيم توفر المصدر اللازم للضبط الاجتماعى الإيجابى.

ويعنينا فى هذا الموضع أن نحدد المفاهيم التالية المرتبطة بهذا التعريف للضبط الاجتماعى من الناحية الاجتماعية والثقافية.

فالتنشئة الاجتماعية Socialization هى العملية التى يتعلم عن طريقها الفرد كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه للسلوك الاجتماعى الذى توافق عليه.



وتعتبر المعايير الاجتماعية خطوطًا موجهة إلى مستوى السلوك الذى يكفى الأخذ به أو تطبيقه فى مواقف اجتماعية محددة. ولهذا تتخذ التزامات دور الشخص فى الجماعة الاجتماعية عن طريق المعايير الاجتماعية التى تضعها أو التى تشير عليها.

والقيم الاجتماعية Social Values هى مصطلح عام فى العلوم الاجتماعية يعنى أى موضوع أو حاجة أو اتجاه أو رغبة، ويستخدم فى معظم الحالات حينما تظهر علاقة تفاعلية بين الحاجات والاتجاهات والرغبات من جهة والموضوعات من جهة أخرى، وهو يعنى أيضًا المستويات الثقافية المشتركة، التى تحتكم إليها فى تقدير الموضوعات والاتجاهات الأخلاقية أو الجمالية أو المعرفية. وهناك اعتقاد بين من يشاركون فى هذه المستويات بأنها صادقة وأنه يتعين الاعتماد عليها فى تقييم الموضوعات.

الناحية الرسمية:

إن الضبط الاجتماعى إما أن يكون رسميًا أو غير رسمى. والضبط الاجتماعى الرسمى ينطوى على أنساق السلطة المتمثلة فى: (القوانين - القواعد - اللوائح التنظيمية التى تحدد المكافآت لتنظيم الجزاءات الإيجابية كالشهادات والدرجات العلمية، والجوائز، والميداليات، والمكافآت المالية) أو العقوبات: (كالجزاءات السلبية المنظمة التى تتمثل فى الإعدام أو الحبس أو الطرد). وهذا فى مقابل الامتثال أو المخالفة. ويمكن أن يكون الدين من العوامل التى تسهم فى نسق الضبط الاجتماعى الرسمى.

والضبط الاجتماعى غير الرسمى، ينكشف فى صور مختلفة كالرأى العام، والموضة، وتفرضه الجزاءات غير الرسمية كالثناء أو السخرية.

ناحية الهدف:

إن الضبط الاجتماعى يتمثل فى النظام System وفى تدعيم القيم الاجتماعية وعدم الاستغلال، أو الاحتكار، أو إحراز المكاسب الذاتية التى قد يحظى بها بعض الأفراد فى المجتمع. على أنه ينبغى أن نلاحظ أن قيم المجتمع فى بعض المجتمعات قد يترتب عنها توجيه الضبط الاجتماعى نحو تدعيم مصالح معينة.

الناحية الإيجابية:

هناك الضبط الاجتماعى الإيجابى Positive Social Control وهو الضبط الاجتماعى الذى يعتمد على دافعية الفرد الإيجابية نحو الامتثال أو المسايرة ويتدعم هذا النوع من الضبط عن طريق تعزيز المكافآت التى تتفاوت من المنح المادية الملموسة إلى الاستحسان والتأييد الاجتماعى.



على أن الصورة الأساسية للضبط الاجتماعى الإيجابى تعتمد على استدماج الفرد للمعايير الاجتماعية والقيم وتوقعات الدور من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، الأمر الذى يجعل الفرد يندفع نحو الامتثال، لأنه يعتقد فى صدق المعيار الاجتماعى. لهذا تعتبر المكافآت والعقوبات بمثابة أدوات مدعمة للدافعية Motivation أكثر منها مصدراً أولياً لها.

ومن ثم فعملية استدماج القيم والمعايير الاجتماعية عن طريق أعضاء المجتمع من ضرورات استقرار المجتمع.

الناحية السلبية:

هناك الضبط الاجتماعى السلبى Negative Social Control والذى يعتمد على العقاب أو التهديد بالعقاب، ويتفاوت من القوانين (التى تهدد بالإعدام أو السجن أو الغرامة) إلى العادات الشعبية التى يتحمل من يخالفها عقابه بالسخرية أو الاستهجان الاجتماعى أو رفض الجماعة له. ويمكن أن تكون صور الضبط الاجتماعى السلبية رسمية أو غير رسمية، وتعتبر فى كلتا الحالتين مفروضة لأن الفرد يمتثل لها بهدف تحاشى النتائج غير المرغوبة إذا حاول الاعتداء عليها أو خرقها.

وسائط الضبط الاجتماعى:

الضبط الاجتماعى له وسائط كثيرة ومتنوعة. والقوانين التى تصدرها السلطة الحاكمة أهم هذه الوسائط وخاصة فى العصر الحديث، والذى تسود فيه الفردية فى المجتمعات التى بلغت درجة كبيرة من التعقيد والتنظيم والأخذ بأسباب الحضارة، إضافة إلى أن طبيعة الإنسان تتسم فى الأعم بالميول العدوانية، الأمر الذى يحتاج إلى مايضبط سلوكه ويجعله سلس القيادة لين العريكة، سهل التوافق.

إضافة إلى القانون كوساطة للضبط الاجتماعى فهناك وسائط أخرى منها:

الرأى العام ـ العرف ـ القيم الاجتماعية ـ الدين والتربية. ولا تكون لهذه الوسائط فاعليتها، إلا عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية وتطبيع الأفراد على العلاقات الأسرية السليمة والتى تتطابق مع العلاقات الاجتماعية فى المجتمعات المتماسكة.

وأولى وسائط التربية تتمثل فى الأسرة التى إذا كان الترابط والتماسك الأسرى فيها بدرجة عالية، كان الالتزام والتوحد والترابط بين أفرادها الذين هم فى ذات الوقت أفراد فى المجتمع العام.



الفصل الثانى

دور الأسرة فى التربية والتنشئة الاجتماعية

تمهيد:

يتـأثر أبناء الأسـرة من أطفـال ومـراهقين فـى نموهم الاجتـمـاعي، بالآباء الذين يعـيشـون فى كنفـهم، وبالأقـارب والجـيران والرفـاق، وبالمدرسـة والمسـجد والإعـلام، وبالثقافة القائمة وغير ذلك من مؤسسات اجتـماعية لها دورها الفعال فى التربية والتنشئة الاجتماعية. وتبدو آثار تفاعل الأبناء فى حياتهم الاجتماعية فى السلوك، وفى استجابات الأبناء للمواقف الحيـاتية المختلفة، وفى النشـاط العقلي والانفعالي، وفي بناء الشخـصية النامية عبر مدارج العمر المختلفة.

ويتصل الأطفـال فى تطورهم ونموهم بجماعـات مختلفة تؤثر وتوجـه سلوكهم. وأهم الجماعات التى يتأثر بها الصغار؛ الأم والتى تعـد الجماعة الوثقى فى حياة الصغار، ثم هناك الجمـاعة الأولية التي تنشـأ من علاقات الأفـراد والأقارب والجيران فى حـياتهم وتفاعلاتهم مع الصغار، ثم الجمـاعة الوسطى وهى زملاء الطفل فى المدرسة الابتدائية ثم المتوسطة ثم زملاء المراهق فى المدرسة الثانوية.

كما أن هناك الجـماعة الثانوية التي تنشأ من عـلاقة الأبناء بالمؤسسات الاجتمـاعية الأخرى، سـواء كانت مـتمثلة فى مـراحل التعليم العـالى، وفي المجتـمع بكل مؤسـساته الإعلامية والثقافية والدينية والأدبية والترفيهية.

ويضم الفصل الثانى المباحث التالية:

المبحث الخامس: دور الأسرة فى التربية والتنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة.

المبحث السادس: دور الأسرة فى التربية الخلقية والدينية فى مرحلة

المبحث السابع: دور الأسرة فى التربية والتنشئة الاجتماعية فى

المبحث الثامن: دور الأسرة فى التربية الخلقية والدي

المبحث الخامس

دور الأسرة في التربية والتنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة

تُعد السنوات الأولى فى حياة الصغار، هى الأساس الذى تقوم عليه الحياة النفسية المستقرة المتآلفة المتوافقة مع الحياة الاجتماعية لأبناء المستقبل.

والصغار يدركون من واقع البيئة الاجتماعية التى يعيشون فيها، كيف يخضعون للأعراف والتقاليد والقيم التى تسيطر على الأسرة، وكيف تنمو لديهم القدرة على الاندماج فى الحياة الاجتماعية والنماء السوى دون خلل أو اضطراب.

وتلعب الأسرة دوراً هامًّا بل أساسيًّا فى تربية وبناء أطفالها وتنشئتهم التنشئة الاجتماعية المتوافقة مع الحياة الاجتماعية التى يعيش فيها الصغار، حتى يصبحوا فيما بعد أعضاء فى مجتمع الكبار، يشاركون بفاعلية فى النشاط والحياة الاجتماعية وممارسة الحقوق وأداء الواجبات.

والتعلم الاجتماعى هو الأساس الذى يتم من خلاله اكتساب ما يتعلمه الصغار، من خلال الأدوار التى يقوم بها الآباء فى عمليتى التربية والتنشئة الاجتماعية.

وقبل أن نوضح كيف تتم عمليات التربية والتنشئة الاجتماعية نوضح فيما يلى أهم العوامل ذات الأثر فى التربية والتنشئة الاجتماعية.

العوامل ذات الأثر فى التربية والتنشئة الاجتماعية عند الصغار:

حيث ينمو الصغار اجتماعيًّا من خلال عوامل ذات أثر فى نموهم وتعلمهم الاجتماعى وهى عوامل:

١ ـ الصحة والمرض.

٢ ـ علاقة الطفل بالأسرة وبالمدرسة والمجتمع الذى يعيش فيه.

١ ـ الصحة والمرض:

يرتبط النمو الجسمى ارتباطا وثيقا بالنمو النفسى الاجتماعى. فالطفل المريض أو



الضعيف ينأى بنفسه بعيدا عن الأطفال الآخرين وقد تحول تلك العزلة بينه وبين النمو الاجتماعى الصحيح.

وهو يستدر العطف من الكبار بمرضه أو بضعفه فيستجيبون لرغباته ويحققون له أمانيه. ويتطور به النمو حتى يصبح مسيطرًا أنانيًّا، أو خجولا خاضعًا يستمد العون دائمًا من الآخرين.

٢ ـ الأسرة والمدرسة:

يعنينا فى المرتبة الأولى بيان أثر الأسرة فى الحياة الاجتماعية للصغار، حيث تؤثر الأسرة فى حياة الطفل تأثيرًا يبدأ بالعلاقة الوثقى التى تقوم بينه وبين الأم، ثم يتطور هذا التأثير إلى علاقة أولية تربطه بالأب وبأفراد الأسرة الآخرين، وتظل هذه العلاقات تهيمن على حياته هيمنة قوية طول طفولته ومراهقته، ثم يتخفف منها نوعًا ما فى رشده واكتمال نضجه، لكنه رغم كل ذلك يظل يتأثر باتجاهاته ونشاطه فى هذا المحيط وهذا المجال.

هذا، ويختلف أثر الأسرة على النمو الاجتماعى للفرد تبعًا لكونها حضارية أو ريفية، فالعلاقات العائلية تضعف كلما تقدمت الحضارة. فعلاقة الريفى بعائلته أقوى من علاقة المدنى، إذ إن العائلة الريفية هى مكان الإقامة والنوم والطعام، أى أنها تحقق للفرد حاجاته الأولية، وتبدو قوة الروابط العائلية الريفية من مظاهر الشجار الذى ينشأ بين عائلتين، فهو غالبًا ما يتطور إلى معركة بدنية قد تؤدى إلى القتل أحيانا.

وهكذا يتأثر النمو الاجتماعى للطفل بنوع الأسرة التى ينشأ فيها، ريفية كانت أم مدنية. هذا، والطفل الإنسانى أكثر الكائنات الحية اعتمادًا على أسرته، ذلك لأن طفولة الإنسان أطول طفولة عرفتها الحياة، إذ تبلغ مايقرب من ربع أو ثلث حياة الفرد لاتصالها الوثيق بأقوى دوافع الإنسان. وهما البحث عن الطعام والدافع الجنسى.

وللأسرة أهمية بالغة فى تكوين شخصية الطفل. وأثر علاقة الوالدين فى النمو الاجتماعى. وهناك أخطاء للبالغين فى تنشئة الأطفال، فمن الناس من يحمِّل الطفل ما لاطاقة له به فيشعره بضعفه وعجزه، ومنهم من يعامله على أنه مجرد دمية لاتصلح إلا للعب واللهو، ومنهم من ينظر إليه على أنه مجرد دمية بشرية، ومن ثم قد يحس الطفل أنه لم يخلق إلا لإرضاء أهله أو مضايقتهم. وهكذا يؤدى به هذا الشعور إلى شعوره بالعجز والضآلة والضعف ومشاعر النقص لديه، لذلك يجب الحذر من تقويم سلوك الطفل بمعايير البالغين الراشدين، بل يجب مراعاة حياته رعاية تقوم فى جوهرها على



مميزات نموه وتطوره، وأن نغفر له أخطاءه وأن نأخذ بيده فى معترك الحياة الحديثة المتشابكة المعقدة.

كما أنه يجب أن تكون علاقة الطفل بأسرته تتطور من اعتماده كلياً على الأم فى بدء حياته وخاصة فى تغذيته إلى استقلاله استقلالا نسبياً عن الأم، كما أن علاقة الطفل بالأب تقوم فى جوهرها على علاقة الأب بالأم، فهى بذلك امتداد لعلاقة الطفل بأمه. وتختلف هذه العلاقة تبعًا لاختلاف صور وأشكال الأسرة، فعلاقة الطفل بإخوته تقوم على علاقة الطفل بأمه، وهذه العلاقة الوثقى بين الأم والطفل تتطور عندما يستطيع هو أن يتناول طعامه بنفسه. وعندئذ تتخذ هذه العلاقة لنفسها لونًا جديدًا، وذلك عندما يؤكد ذاته ويشعر بنفسه ويستقل عن الأم فى مطالب غذائه.

هذا، ويختلف النمو الاجتماعى للطفل باختلاف ترتيبه الميلادى، فتختلف شخصية الطفل الأول عن الأخير وعن الوحيد، ويتأثر هذا الترتيب إلى حد كبير بأعمار الأطفال وبجنسهم ذكرًا كان أم أنثى وبأعمال الوالدين، وبالمستويات الاجتماعية والاقتصادية للأسرة.

كما يتأثر الطفل بأنماط الثقافة المختلفة عبر أسرته ومدرسته ووطنه. فيتكيف لها ويخضع لأنماطها ويكتسب معاييرها وقيمها وينمو بتفاعله معها.

كما يتعلم الطفل فى مدرسته كيف يتعاون، وكيف ينافس غيره فى حدود الإطار الاجتماعى القائم، وكيف يأخذ ويعطى، وكيف يخدم الجماعة ويفيد منها.

وهكذا يعمل البيت والمدرسة وتعمل الأندية والمعسكرات على تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية سوية، وعلى بناء مجتمع فاضل قوى.

وفيما يلى أهم خصائص وسمات التربية والتنشئة الاجتماعية فى مرحلة الطفولة، حيث تلعب الأسرة فى ذلك دوراً أساسياً وجوهرياً فى تنشئة أبنائها.

التنشئة الاجتماعية والتعلم الاجتماعى:

يمكن النظر إلى التنشئة الاجتماعية على أنها عملية تعلم من الناحية الاجتماعية، وخاصة أن الفرد يكتسب صفاته الاجتماعية عن طريق التدريب المستمر لتكوين العادات الاجتماعية المقبولة.

ومن مظاهر هذا التعلم تقليد الطفل لشخصية أبيه. وفى غياب الأب يلعب الطفل دور الأب. وبهذا يتعلم الطفل تعلمًا اجتماعيًا ويمارس نشاط هذا التعلم.



وقد يؤدى هذا الدور إلى صراع الأجيال بين الآباء والأبناء وذلك عندما تختلف نشأة الأطفال إلى حد كبير عن نشأة الآباء.

التنشئة الاجتماعية وصراع الأجيال بين الأباء والأبناء:

يظهر صراع الأجيال نتيجة للتنشئة الاجتماعية وخاصة بين أطفال المهاجرين وآبائهم لأن الطفل ينشأ فى المجتمع الجديد وفق عادات وتقاليد مجتمع يختلف عن ذلك الذى نشأ فيه أبواه.

وكذلك الحال بالنسبة لأطفال المجتمعات الجديدة التى تنشأ من الهجرة الداخلية من محافظات مختلفة إلى إقليم جديد أو من بلدان أخرى.

وبذلك يمكن تقسيم المجتمعات من أوجه التنشئة الاجتماعية إلى ثلاثة أنواع رئيسة: المجتمعات الأصلية ومجتمعات الهجرة الخارجية، ومجتمعات الهجرة الداخلية وأهمها المجتمعات الجديدة. ولكل نوع من هذه الأنواع أثره على عوامل التنشئة الاجتماعية، وعلى تقارب أو تباعد جيل الأبناء عن جيل الآباء.

حدود التنشئة الاجتماعية:

الإفراط والمغالاة فى التنشئة الاجتماعية يدفعان بالطفل أو المراهق إلى التقيد بحدود هذه التنشئة أكثر من اللازم، وهذا مما يحول بينه وبين مرونة الابتكار وخصوبته وأصالته، ومما يؤدى أيضا إلى اتجاه المحافظة والجمود.

والتراخى فى هذه التنشئة يؤدى بالفرد إلى تجاوز الحدود المرعية، وكثرة مطالبه من الآخرين، وعدم مراعاة حقوقهم ومشاعرهم.

وبذلك يؤدى الإفراط فى التنشئة إلى التبعية، ويؤدى التراخى إلى العدوانية.

التبعية والعدوانية:

البحث عن أسس التبعية والعدوانية، تُعد أهم موضوعات المدخل الاجتماعى لدراسة التنشئة الاجتماعية. ولكن اختيار التبعية والعدوانية على أنهما سمات عامة من سمات شخصية الراشدين، عملية تواجه كثيراً من النقد، فالشخص العدوانى فى حياته العملية قد يكون شخصًا مسالمًا فى حياته العائلية. والذى يفرط فى التبعية فى سلوكه مع رؤسائه، يفرط فى السيطرة فى سلوكه مع مرءوسيه. وبذلك لاتتسم التبعية بالعمومية التى تجعلها إحدى المحددات الرئيسة للشخصية، وكذلك الحال بالنسبة للعدوانية. أى أن



التبعية والعدوانية لاتظهران إلا فى مـواقف اجتماعية محددة، فى كل أو أغلب المواقف التى يشترك فيها الفرد.

لكن التبعـية والعدوانية لايصلان إلى مسـتوى العمومية إلا فى الحـالات المرضية اللاسوية الشاذة. أى عند الذين يتسم سلوكهم كله أو أغلبه بالعدوانية نتيجة للتراخى فى التنشئة الاجتـماعية، أو يتسم سلوكهم كله أو أغلبـه بالتبعية نتيجـة للإفراط فى التنشئة الاجتماعية.

وترتبط الحالات الحادة للعدوانية ارتباطًا كبيرًا بالبيئة، نتيجة للأسباب التالية:

أ ـ التعرض للإيذاء من أحد الوالدين أو من كليهما.

ب ـ إحساس الوالدين أنفسهما بالفشل فى تربية الأبناء.

جـ ـ اختلاف الوالدين فى أسلوب تربية الطفل.

د ـ كره الوالدين لإنجاب الأطفال وكأن الأطفال جاءوا رغمًا عنهم.

هـ ـ لايتـصف سلوك الـوالدين، فى الأغلب والأعم: بـالعطف والحنو تجـاه أولادهما.

التنشئة الاجتماعية والتوافق النفسى:

يخضع الطفل خلال مراحل حياته للقوى الطبيعـية والاجتماعية المحيطة به. وكما يولد الطفل فى أسرة فإنه يولد أيضًا فى مجـتمع. وعلى الطفل أن يتكيف لأنماط الحياة السائدة فى بيئته وإلا اعتبره المجتمع جانحًا شاذًا فى سلوكه.

والأسرة هى البـيئة الأولى التى يتعلم فـيها الطفل أنماط الحيـاة، وهى التى تعمل على تكوين العـادات والتقاليـد المرعيـة، وبهذا يُصبح المعـنى النفسى للنظام هو تحـقيق التوافق النفسى بين دوافع الطفل ومطالب بيئته. والطفل الذى يتكيف تكيفًا صحيحًا مع العوامل المحيطة به، طفل مطمئن إلى حياته. متزن فى انفعالاته وعواطفه. والطفل الذى يفشل فى إقامـة هذا التكيف لايقوى على مواجهـة مشكلاته اليومية، ولذا فـهو إما أن ينطوى على نفـسه ويكبت دوافعـه، وهو بذلك يظلم نفســه حتى لايفتـضح أمره، ولا يُصبح مثارا للنقـد اللاذع المستمر، وإما أن يلجأ إلى الطرق غير المشـروعة فى محاولاته اليائسة لتحقيق ذلك التوافق فيبـرر سلوكه الخاطئ ويلوم غيره بدل أن يلوم نفسه. ويتهم الناس بذنوبه وأخطائه، ويكذب ويسـرق ويغش وينحرف بـسلوكه عن جـادة الصواب. وهكذا تنشأ مشكلات الطفل السلوكية من فشله فى توافقه مع بيئته ومع أحداث حياته.



يُولد الطفل وهو لا يعرف القيم التى سيخضع لها، ولذا تسمى مرحلة الطفولة أحيانًا بمرحلة النظام. وعلى الطفل أن يتعلم كيف يسلك المسلك المناسب فى الوقت المناسب أو المكان أو الموقف المناسب، وأن يفهم الأسس التى تقوم عليها هذه العملية حتى لايكون خضوعه لها خضوعًا آليًّا، بل خضوعًا محببًا إلى نفسه، يبذله عن طواعية ورضا.

وكل طفل فى حاجة إلى النظام، وذلك لأن النظام الصالح يحقق للطفل الشعور بالطمأنينة ويوضح له حدود الخير والشر، وحدود الحرية والفوضى. وهكذا يرى الطفل طريقه ويسير على هدى من أمره. ولذا يجب ألا نغالى فى النظام حتى لايصبح صارمًا، ويجب ألا نتهاون فيه حتى لايعيش الطفل فى فوضى لايدرى كنهها.

متى يصبح النظام صارمًا؟ ولماذا يلجأ بعض الآباء إلى الصرامة فى تربية أولادهم؟ وماهى آثار النظام على حياة الطفل؟

تلك مشكلات يواجهها كل أب فى محاولاته المتعددة لتنشئة أطفاله تنشئة اجتماعية صحيحة. ولقد ورثنا الصرامة عن الأجيال السابقة، فكان الطفل يعامل وكأنه رجل صغير، وكان يُضرب ضربًا مبرحًا حتى تستقيم نوازعه الشريرة، وكان الرأى السائد وقتئذ أن ما كان يصلح للأجداد يصلح لأبنائهم وأحفادهم.

وبذلك تنشأ الصرامة من مغالاة الآباء والأمهات فى تأكيد العادات والتقاليد السائدة. وتؤدى هذه المغالاة إلى عكس النتيجة المرجوة.

والتهاون معناه المبالغة فى الحرية إلى الحد الذى يترك فيه الطفل على هواه يفعل مايريد وكما يشاء. وقد نشأ هذا الاتجاه كرد فعل طبيعى للمبالغة فى الصرامة. ولكن التهاون بهذه الصورة ليس هو الطريقة الصحيحة لتكوين النظام. لأنه يؤدى بالطفل إلى الخروج على التقاليد المرعية والعُرف القائم. وبذلك يصطدم مثل هذا الطفل بواقع الحياة عندما يتصل بالمجتمع الخارجى من قريب أو بعيد.

ويجنح الطفل عندما ينشأ فى نظام عائلى مرتبك تتصارع فيه مظاهر السيطرة بين الأب والأم، وبين الأب ونفسه فى موقفين متشابهين، وبين الأم ونفسها فى موقفين متتاليين.

والأم التى تدلل الطفل، والأب الذى يغالى فى السيطرة يتنازعان فيما بينهما، ويلغى كل منهما أثر الآخر ويبقى الطفل بينهما ضالا لايرى حدوده ولايعرف مسالكه.

ولذا يجب ألا يكون النظام السائد فى الأسرة صارمًا، لا متهاونًا ولامتضاربا.



١ ـ علاقة الطفل بالراشدين:

يستجيب الطفل فى سلوكه الاجتماعى بالراشدين قبل أن يستجيب للأطفال.

٢ ـ علاقة الطفل بالآباء:

يتأثر سلوك الفرد خلال مراحل حياته بخبرات طفولته المبكرة، وبما أن بيئة الطفل فى باكورة حياته لاتخرج عن محيط البيت والأسرة، فإن تلك البيئة تلعب دورها الرئيسى فى تكوين وبناء شخصية الطفل فى حياته المقبلة. ولذلك يتحدد نمط هذه الشخصية واتجاهاتها نحو الآخرين، ونحو الأشياء، والحياة عامة نتيجة لنوع علاقات الطفل بوالديه، وإخوته واخواته، وأجداده وأقربائه الآخرين. وبالرغم من أن شخصية الفرد تخضع بعد ذلك، وخلال مراحل الحياة المتتابعة لمؤثرات مختلفة وذلك عندما يكبر الفرد، ويتسع نطاق بيئته الاجتماعية وتزداد خصوبة خبراته إلا أن جوهر شخصيته كما تكون فى الطفولة المبكرة يظل هو المحرك الرئيسى.

٣ ـ الولادة وسلوك الأم نحو الطفل:

الولادة العسرة تؤثر على سلوك الأم نحو طفلها فتجعلها أكثر حماية له من الأطفال الآخرين لأنها لاقت الأمرَّين أثناء عملية الولادة. وهى لذلك تغالى فى حماية طفلها. وهذه المغالاة تؤثر على تكوين شخصيته فتجعله أكثر اعتمادا على الآخرين من اعتماده على نفسه. وتزداد هذه الظاهرة وضوحًا عندما تعلم الأم أنها لن تنجب بعد ذلك، إلا هذا الطفل نتيجة لتلك الولادة العسرة.

٤ ـ حرمان الطفل من الأم وأثره على سلوكه:

يمكن أن نوضح أهمية علاقة الطفل بأمه فى سن المهد بما يحدث له عندما يبعد عنها. والطفل الذى يحرم من أن يحب ويحب فى باكورة حياته نتيجة لعزله بعيدا عن أمه يتأخر نموه البدنى والعقلى واللغوى والاجتماعى. وتصاب شخصيته بضرر بالغ. والطفل الذى لايجد الفرصة الطبيعية للتعبير عن حبه يصبح مستكينا كئيبا ولا يستجيب لابتسامات الآخرين، وتعتريه نوبات من الانفعالات الحادة، وكأنه بذلك يثير انتباه الآخرين، ويبدو عليه البؤس والشقاء.

فإذا لم تتجاوز مدة ابتعاد الطفل عن أمه ثلاثة أشهر، فإنه سرعان ما يسترد قدرته على مبادلتها عواطفها، ويعود بذلك إلى مظاهر نموه الطبيعى. فإذا امتد الحرمان



العاطفى لخمسة أشهر أخرى فإن النمو العاطفى للطفل ما يلبث أن يتخلف بشكل ملحوظ عن النمو العاطفى لأقرانه ومن هم فى سنه.

والأطفال الذين يحرمون نهائيا من أمهاتهم نتيجة لوفاة الأم أو لأى أمر آخر مثل أطفال الملاجئ فإنهم يتغلبون، إلى حد ما، على هذا الحرمان العاطفى القاسى، إذا كان لهم بدائل للأمهات يقمن بمثل وظائف الأمهات ويبادلونهم حبا بحب وعطفا بعطف. مثل هؤلاء الأطفال يبدون أحسن حظًّا فى سرعة نموهم من أقرانهم الذين لا يجدون بدائل لأمهاتهم. ولا يغنى عن الأم البديلة لمثل هؤلاء الأطفال كثرة من يعنون بهم. فالطفل فى حاجة إلى إقامة علاقات عاطفية مع أم واحدة لا مع عدد كبير من الأمهات.

٥ ـ مراحل تغير علاقة الطفل بالوالدين:

تتغير علاقة الطفل بوالديه تبعا لتغير نمط حياته من كائن يعتمد عليهما اعتمادا كليًّا إلى فرد يعتمد على نفسه جزئيًّا، ثم يتزايد بعد ذلك اعتماده على نفسه، ويصاحب هذا التغير تحول الوالدين من تقبل الطفل إلى رفضه ثم إلى تقبله مرة أخرى. وكلما كبر الطفل وأصبح أكثر اعتمادا على نفسه، تحولت حماية الوالدين إلى قيود وضوابط.

ويتأثر الطفل بالتغير الذى يحدث من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس بترتيبه الميلادى، وغالبا ما يقع الأول فريسة للحماية الضارة التى تزداد عن حدها الطبيعى أكثر مما يتأثر بها الأطفال الآخرون. ولذا فإن الطفل الأول يتحول خلال مراحل حياته التالية إلى شخصية تركن إلى معرفة الآخرين أكثر مما تعتمد على نفسها.

وتمر بالطفل مرحلتان حرجتان فى تحوله من اعتماده على الغير إلى اعتماده على النفس. تقع الأولى فى نهاية السنة الأولى، وذلك عندما يختبر الطفل أمه ليرى مقدار ما يعتمد عليها، ومقدار ما يستقل بنفسه عنها. وبالرغم من أن الطفل فى هذا السن مازال يعتمد على أمه اعتمادا كبيرا، وبالرغم من أنه فى حاجة إلى الرعاية التى بدونها لا تنمو شخصيته فى اتجاهها الطبيعى، إلا أن أغلب الأمهات يبالغن فى تحقيق حاجات الطفل إلى الحد الذى يحول دون تشجيع تحول الطفل نحو اعتماده على نفسه عندما تواتيه الفرصة.

وتقع المرحلة الحرجة الثانية فى نهاية السنة الثانية، وذلك عندما تزداد الضغوط الاجتماعية على الطفل ليغير مسلكه السابق. وهذا مما يدعوه إلى محاولة الاحتفاظ باعتماده على والديه ليتجنب المتاعب التى يفرضها عليه تحوله من اعتماده على غيره إلى اعتماده على نفسه.



٦ ـ علاقات السيطرة والإذعان بين الآباء والأبناء:

تتخذ علاقات السيطرة والإذعان بين الآباء والأبناء أحد الصور الأربعة التالية:

(١) الآباء الذين يسارعون إلى تحقيق مطالب الطفل ولا يثقلون عليه بمطالبهم.

(٢) الآباء الذين يسارعون إلى تحقيق مطالب الطفل ويثقلون عليه بمطالبهم.

(٣) الآباء الذين لا يسارعون إلى تحقيق مطالب الطفل ولا يثقلون عليه بمطالبهم.

(٤) الآباء الذين لا يسارعون إلى تحقيق مطالب الطفل ويثقلون عليه بمطالبهم.

وتمر عمليات السيطرة والإذعان بين الآباء والأبناء بمراحل ثلاث أولها وأدناها هى مرحلة الصياح والابتسام. فيصيح الطفل لإخضاع والديه بمطالبه، واستمراره فى الصياح عقاب لهما إذا لم يحققا مطالبه. وابتساماته مكافأة للذين حققوا مطالبه، وهكذا يتحكم الطفل فى الكبار عن طريق العقاب والثواب، العقاب عندما يصيح والثواب عندما يبتسم، وبذلك يتحكم الطفل فى سلوك والديه كما يتحكم الآباء والأمهات فى سلوك أطفالهما.

والمرحلة الثانية فى وسائل السيطرة والإذعان هى مرحلة الأوامر والنواهى والرغبات التى يعبر بها الآباء أو الأبناء تعبيرا لفظيا مباشرا مثل افعل هذا أو لا تفعل ذلك أو أحب هذا، أو لا تحب ذلك.

ثم تصل وسائل السيطرة والإذعان إلى آخر تطوراتها حينما يصاحب التعبير اللفظى مبررات ودواعى هذه المطالب، فلا يعبر الطفل عن مجرد رغبته، بل يبرهن على أحقيته فى تحقيق هذه الرغبة، وكذلك عندما يطلب الآباء أمرا فإنهم يقرنون هذا المطلب بمبرراته.

٧ ـ خلافات الطفل مع والديه وإخوته:

تصبح خلافات الطفل مع والديه وإخوته واضحة فى الطفولة المتأخرة، أى من السادسة إلى الثانية عشرة، وخاصة فى السنوات الأخيرة من هذه المرحلة وذلك بعد سن التاسعة. وبعد ذلك يتغير اتجاه الطفل نحو والديه ويتغير أيضا اتجاه الوالدين نحو الطفل ويصبح الوالدان أكثر نقدا وعقابا، وأقل عطفا وحنانا، وأشد حزما فى علاقاتهما بالطفل. وربما حدث هذا التغير فى العائلات الكبيرة نتيجة لتحول اهتمام الوالدين نحو الأطفال الصغار، وخاصة من هم فى سن الثالثة وما يقاربها. ومهما يكن من أمر تغير علاقات الوالدين بأطفالهما الكبار، فإن هؤلاء الأطفال يصبحون أكثر ثورة على السلطة وخاصة عندما ينتقد الوالدان أصحابهم، وعندما يحاولان أن يبعدا هؤلاء الصحاب عنهم



لأمر ما أو لآخر. وهذا مما يزيد شقة الخلاف بين الطفل ووالديه، ومما يؤدى إلى زيادة حدة الخلاف والنزاع. وما توشك هذه المرحلة على الانتهاء حتى يكون الأطفال قد أصبحوا مهيئين لتطورات المراهقة، وما تنطوى عليه من ثورة أكيدة على سلطة الأسرة والمدرسة.

وتقع شقة الخلافة أيضا بين طفل التاسعة وما بعدها وبين إخوته، وينتقل خلاف الطفل مع الجنس الآخر من خارج الأسرة إلى خلاف الولد مع أخته، والبنت مع أخيها داخل الأسرة، ويتعرض الطفل فى هذه المرحلة من حياته إلى نقد إخوته الكبار، ويثور عليهم وعلى نقدهم، لذلك يصبح أقرب إلى إخوته الصغار منه إلى الكبار. ولهذا يضطرب البيت بتلك الخلافات، وإذا حاول الوالدان الصلح بين ذات البين، اتهمهم الأبناء الصغار بالتحيز إلى أشقائهم المراهقين.



المبحث السادس

دور الأسرة فى التربية الخلقية والروحية فى مرحلة الطفولة

أولا: التربية الخلقية:

تعد معرفة قواعد السلوك الخلقى والتدريب عليها وممارستها نواحى مكتسبة؛ ولذا فالخلق مركب اجتماعى مكتسب وبذلك تعتمد التربية الخلقية على عمليتين رئيستين:

١ ـ الأولى هى عملية إكساب الأفراد المعلومات وتنمية القدرات اللازمة لإصدار القرارات الخلقية السوية.

٢ ـ والثانية هى عملية تحويل هذه القرارات إلى فعل وذلك عن طريق إثارة الحافز المناسب.

وفيما يلى خصائص وأركان السلوك الخلقى القويم، ودور الجهاز النفسى فى التربية الخلقية، ومراحل النمو الخلقى عند الصغار داخل الأسرة والمؤسسات الأخرى ذات الجهود المتواصلة فى التربية والتنشئة الاجتماعية.

١ ـ سمات وأركان السلوك الخلقى:

يعتمد التعريف الإجرائى للسلوك الخلقى القويم على خمسة أركان نلخصها فيما يلى:

أ ـ لا يكفى السلوك الظاهرى وحده للحكم على السلوك الخلقى، بأنه سلوك سوى؛ وذلك لأن السلوك الخلقى السوى يعتمد على النية. ولكل امرىء ما نوى. ويجب أن يكون لكل سلوك خلقى سبب خلقى واضح. ولذا فعلينا ألا نعلم فقط ماذا يفعل الناس،وإنما علينا أيضا أن نعلم لماذا يسلك الناس سلوكا خلقيا معينا.

ب ـ ليست كل أسباب السلوك الخلقى بالأسباب القويمة السوية، وبعض الأسباب قد يكون سويًّا، أو جانحا، ولذا لا نستطيع أن نقرر أن أى سبب يصلح للحكم على السلوك الخلقى ما دام يؤدى إلى النتيجة المرجوة، وإلا أصبحت الغايات تبرر الوسائل وهذا حكم خاطىء. ولذلك يجب أن تتضح العلاقة بين الفعل والأسباب الداعية إليه.



جـ - الأسباب الخلقية السوية ترتكز على المراعاة العقلية الصحيحة لاهتمامات الأفراد الآخرين.

د - المراعاة العقلية الصحيحة تتطلب من الفرد أن ينظر إلى الآخرين على أنهم سواء فى حقوقهم وواجباتهم، وأن يعلم مشاعرهم ويراعيها، وأن يحترم المنطق الفكرى الصحيح والحقائق المرتبطة، بالموقف، وألا تخدعه المهاترات اللفظية.

هـ - وأن تكون لدى الفرد القدرة على أن يسلك سلوكه بناء على قواعده الخلقية؛ وبذلك يصبح السلوك سلوكا خلقيًا سويًا لا مجرد سلوك مظهرى أو مجرد أقوال بلا أفعال.

٢ - البناء النفسى ودوره فى التربية الخلقية:

يعتمد النمو الخلقى للطفل على مدى صلته بأمه وأبيه، وأهله وذويه، وبيئته الاجتماعية المباشرة، وأثر هذه الصلة على تكوين جهازه النفسى وخاصة الذات، والذات العليا ومثاليات الذات.

١ - الذات والتربية الخلقية: تكمن أهمية الذات فى أنها تعدل السلوك فى إطار الواقع والظروف المحيطة بذلك الواقع. وهى تتكون فى الطفولة ويعاد تكوينها فى المراهقة. وتمثل الذات الجانب الواقعى فى شخصية الفرد.

وتختلف الذات عن الذات العليا فى أنها تبين للفرد عقليا نتائج أفعاله، بينما الذات العليا تنهاه أو تهيئ له مقاومة الإغراء وتشعره بالذنب عندما يخطئ.

والذات ليست مفهوما أحادى المظهر بل هى مركب يؤدى الوظائف التالية:

أ - الإدراك المعرفى: وهذه الوظيفة تعنى التفكير، والاستدلال وتكوين المفاهيم.

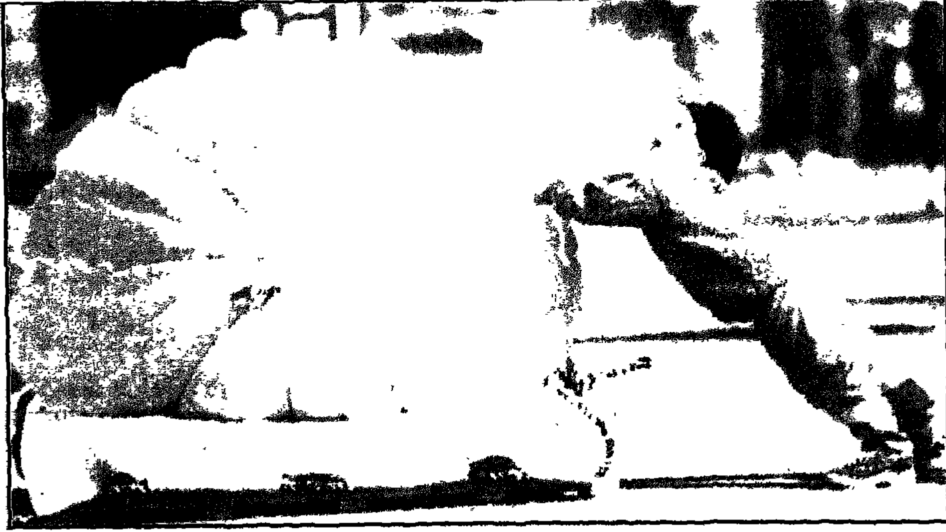
ب - الإدراك الحسى: وهذه الوظيفة تعنى العمليات التى تقوم بها الحواس التى تؤدى بالفرد إلى حصوله على المعلومات المرتبطة ببيئته وبنفسه. وبذلك يدرك الفرد السيارة، والطريق، كما يدرك أنه متعب أو جائع، أو غاضب.

جـ - الحركات الإرادية: وهذه الوظيفة تبين المظاهر الحركية للفرد، لكنها لا تمتد إلى الأفعال المنعكسة، لأن تلك الأفعال ليست إرادية.

د - اختبار الواقع: وهذه الوظيفة تدل على مجموعة من الأنشطة التى تقيم الحدود بين ذات الفرد، وما هو ليس بذات الفرد.



هـ ـ الضبط: وتشير هذه الوظيفة إلى مجموعة الميكانيزمات التى تعتمد عليها الذات فى مراجعة، وإعاقة، وإعادة توجيه النزوات الطارئة والدوافع المفاجئة، وهذا معناه ضبط النفس.



ولجميع هذه الأنشطة أهميتها المباشرة فى التربية الخلقية. ويبدو أثر هذه النواحى بوضوح عندما تتعطل إحدى هذه الوظائف وينحرف السلوك بذلك إلى الجانب اللاخُلُقى.

٢ ـ **الذات العليا والتربية الخُلُقية:** عندما تتصل الذات بسلطة الأب وتمتص من هذه السلطة الأوامر والنواهى تتكون الذات العليا أو الضمير، وبذلك ترجع فكرة الطفل عن الذنب والمغفرة والتوبة، والخير والشر إلى الطريقة التى كان يعامله بها أبوه، وإلى الحدود التى كان يقيمها له، وإلى المعايير التى يفرضها على مظاهر سلوكه.

ويتكون الضمير من عاملين رئيسين: أولهما مقاومة الإغراء، وثانيهما الشعور بالذنب. ولقد أمكن دراسة هذين العاملين تجريبياً، وذلك عن طريق تكوين استجابات شرطية عند الكلاب نتيجة لتغيير توقيت زمن العقاب، وتتلخص هذه التجارب فى تقديم طعام للكلاب الجائعة، وعندما يعاقب الكلب وهو فى طريقه إلى الطعام، وقبل أن يتذوقه يتكون لديه عامل مقاومة الإغراء، وعندما يعاقب الكلب أثناء أكله، يتكون لديه الشعور بالذنب.

٣ ـ **مثاليات الذات والتربية الخلقية:** هناك فرق بين الذات العليا ومثاليات الذات.



فالذات العليا تنهى الفرد عن الحرمات، وتهيئ له وسائل مقاومة الإغراء وتشعره بالذنب عندما يقترف إثما، ومثاليات الذات مفهوم يدل على فكرة الفرد عن نفسه فى صورتها المثالية لا الواقعية. وقد تقترب المثالية من الواقعية فيصبح الفرد إنسانا عاديا. وقد تغرق المثالية فى التسامى، فتصبح بعيدة المنال وغير واقعية أو محتملة الحدوث. ويصبح الفرد بذلك شاذا يسلك سلوكا غير سوى.

وغالبا ما تجسد مثاليات الذات للفرد نماذج من حياة الآخرين ليقتدى بها فى حياته اليومية. ويمكن قياس مثاليات الذات بسهولة وذلك عن طريق إعداد قائمة بأسماء بعض الأفراد المشهورين، وعلى الفرد أن يختار من هذه الأسماء من يريد أن يقتدى بهم.

مستويات السلوك الخلقى:

أ ـ مستوى ما قبل السلوك الخلقى:

ـ المرحلة الأولى ـ العقاب والطاعة نتيجة للعقاب والخضوع للأوامر لتجنب العقاب.

ـ المرحلة الثانية ـ الأداء البدنى لتحقيق اللذة، وبذلك يخضع الطفل للأوامر حتى يثاب على فعله.

ب ـ مستوى السلوك الخلقى لإرضاء الآخرين:

ـ المرحلة الثالثة ـ السلوك الخلقى الطيب الذى يؤدى إلى إقامة علاقات اجتماعية قوية. وبذلك يساير الطفل الأوضاع القائمة حتى لا يصبح منبوذا من الجماعة.

ـ المرحلة الرابعة ـ السلوك الخلقى الذى يساير السلطة القائمة. وبذلك يسلك الطفل مسلكه الخلقى ليتجنب رقابة السلطة القائمة وحتى لا يقع فى الخطأ.

ج ـ مستوى السلوك الخلقى الذى يعتمد على التقبل الذاتى للمبادئ والقيم الخلقية.

ـ المرحلة الخامسة ـ السلوك الخلقى القائم على العلاقات الاجتماعية التى تحدد للفرد ما يجب عليه، وهذا يؤدى إلى أن يسلك مسلكا يتجنب به الاعتداء على حقوق الآخرين.

ـ المرحلة السادسة ـ السلوك الخلقى الذى ينبع من القيم العليا التى يحددها الضمير للفرد، وبذلك يتجنب الفرد سلوكا معينا حتى لا يصبح ساخطا على نفسه.



ولهذه النتائج أهميتها التربوية القصوى، لأنها تدل بطريقة عملية تجريبية على أن السلوك الخلقى يمر بمستويات ومراحل يتلو بعضها بعضا، ولن يصل الطفل إلى أى مستوى من تلك المستويات حتى يكون قد مارس فعلا المستوى الذى قبله، وبذلك يستطيع المعلم أن يهدى الطفل فى نموه الخلقى ويسير به من مستوى أو مرحلة إلى المستوى الذى يليه أو المرحلة التى تعقبه. ويستطيع المعلم أيضا أن يكتشف ما يُسْرِع بالطفل للوصول إلى المستوى الخلقى النهائى، وما يعوقه عن الوصول إلى هذا المستوى ليعالج الموقف عاجلا صحيحا فى إطار العوامل التى تؤدى إلى سرعة النمو الخلقى أو إلى إعاقته.

ثانيا: التربية الروحية:

تعد الطاقة الروحية فى الإنسان أسمى وأكبر طاقاته، فطاقة الجسم محدودة بما تدركه الحواس، وطاقة العقل أكثر مرتبة ولكنها محدودة أيضا بالزمان والمكان، أما طاقة الروح فهى أسمى من طاقة الجسم والعقل فهى وحدها تملك الاتصال بخالقها فالروح من أمر ربها.

ويعتنى الإسلام بالروح، من منطلق أنها صلة الإنسان بالله، وأسلوب الإسلام فى تربية الروح هى أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله تعالى فى كل الأوقات والأعمال والأفكار والمشاعر.

وعبادة الرحمن هى الوسيلة الفعالة لتربية الروح، فهى تعقد الصلة الدائمة بالله عز وجل، والعبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج، تعمل على ربط العبد بربه، وتوثق الصلة بين الخالق والمخلوق. فالصلوات الخمس فى اليوم والليلة، وصيام شهر رمضان كل عام، والحج مرة فى العمر على الأقل، وإبداعات الله فى الكون وغرائبه هى بمثابة توثيق الصلة الدائمة بين العبد وربه، ومن ثم تصبح الروح مشرقة، فهى ذات صلة دائبة بخالقها، أما فى حالة ضعف الصلة بالله عز وجل، فتذبل الروح وتذوى وتهبط بالإنسان إلى مدارك سفلى، فيسلك فى حياته الشهوات والنزوات ويعيش لدنياه ولا يعمل لآخرته.

والتربية الإسلامية تربية شاملة ومتوازية، تشمل جوانب النفس الإنسانية المكونة من النفس والقلب والعقل والروح، وتوازن بين هذه المكونات، وهذا التوازن هو سمة الإنسان الصالح الذى يفى بشروط الخلافة عن الله فى الأرض.



دور الأسرة فى نماء وتدعيم العبادات عند الصغار:

ويعنينا ما تقوم به الأسرة من تقوية وتدعيم العبادات عند الصغار لدوام الصلة بينهم وبين الله تعالى منذ الصغر، حيث تعوّدهم على دوام العبادة من ذكر وتلاوة وصلاة فى أوقاتها، وصوم رمضان وحج البيت والزكاة فى مواسم العبادة الخاصة بكل منها.

والطفل يميل إلى تقليد الكبار. لذلك وفقا لهذا السلوك، يمكن تعليمه العبادات حيث يمكنه **تعلم الوضوء**، بالقدوة الحسنة، والتلقين، والتدريب، حيث يدرب على فروض الوضوء، وهو ابن الرابعة من العمر، ويلقن أذكار الوضوء باختصار، ونؤكد له ما يجب أن يعلمه من أن الله تعالى يحب المتطهرين.

كما يمكنه **تعلم الصلاة** عندما يصلى الأب والأم أمام أطفالهم الصغار، ويجب أن يعرف الآباء والأمهات أن صورتهم فى الصلاة وصوت تلاوتهم للقرآن، تنمى لدى الطفل الصغير رغبته فى الصلاة، حتى يصل إلى السابعة من العمر فعندئذ يؤمر بها، ثم يضرب من أجلها وهو ابن العاشرة.

إن القدوة والتلقين والتدريب والمتابعة المستمرة، من شأن هذا كله أن يرسخ الصلاة فى قلب الطفل، ويعتاد عليها، حتى إذا أمر بها وهو فى سن السابعة، كانت محببة إليه، وصار يقوم بأدائها بشكل صحيح ثم بقلب خاشع عندما يكبر، ويواظب على أدائها فى أوقاتها، ويعتاد أداءها فى المساجد، ولا يتوانى عند أداء صلاة الجمعة ويسابق إلى دخول المسجد قبل صعود الخطيب على المنبر.

ومن حيث كان **الصوم** أكثر العبادات صلة بين العبد وربه، حيث يترك الصائم طعامه وشرابه طاعة لله مصداقا للحديث القدسى: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به**» وهو تطبيق عملى للإحسان هو: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

لذلك يجب أن يلقن الصغار بأن الصيام طاعة لله عز وجل، ليدخلوا الجنة التى وعد الله تعالى بها عباده المتقين، ويؤكد على الصغار أن الله يراقب صومهم. ولذلك يجب أن يدرب هؤلاء الصغار على الصوم بترغيبهم فيه وتقديم الهدايا والحلوى لهم عند الإفطار قبل السابعة من عمرهم. ثم يؤمرون بالصوم فى السابعة، وإذا وصلوا الحلم كان الصوم سهلا ومحببا إليهم.



ويدرب الطفل على دفع الصدقات للفقراء والمساكين والمحتاجين، ويوجه إلى أن الصدقات التى هى دفع المال للآخرين، تعد بمثابة طاعة لله حيث أمرنا بذلك، وهى رغبة فى ثواب الله عز وجل. وفى هذا ما يوثق بين الصغير وربه، وننمى لديه حب الله وطاعته وطاعة رسوله.

وفى الحج والعمرة يمكن للآباء اصطحاب أطفالهم الصغار إلى الكعبة للحج والعمرة، حتى يلاحظ الأطفال إحرام الأبوين، ويسمعون التلبية والأذكار، ويطلب منهم ترديد ما يسمعون. وفى هذا ما يترك آثارا طيبة فى نفوسهم، وحيث تخالط المشاعر الفياضة قلوبهم وتمتزج بمشاعرهم وتوثق الصلة بينهم وبين الله تعالى.

إن من واجب الآباء العود إلى الكتاب والسنة، لتربية أبنائهم تربية إسلامية متوازنة تنمى أجسادهم وعقولهم وأرواحهم، ومن شأن ذلك تنمية أبناء مسلمين صالحين، يعملون على تماسك أبناء أمتهم، ويساهمون فى بناء المجتمع المسلم فى عصر العولمة وإمكانية انصهار الأصالة.

العبادات وقيمتها فى نفوس الصغار:

إن أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج، عند العمل على نمائها وتثبيتها فى نفوس الصغار، تحقق نماءهم العقدى منذ نعومة أظافرهم، بل إن دور الأسرة وما يتبعه من مسئولية المدرسة والمسجد وكل ما من شأنه تثبيت العقيدة فى نفوس الصغار منذ الطفولة، يجب أن يقوم أيضا على تعويد الصغار وإكسابهم العادات الإيمانية ليكون سلوكهم قائما على ملء نفوسهم بالتقوى حيث يكون التعامل معهم قائما على تعليمهم صدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإحسان إلى ذوى القربى والجيران واليتامى والمساكين وأبناء السبيل، والرحمة بالضعفاء والرفق بالحيوان.

كما تنمى الأسرة والمسجد والمدرسة لديهم حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص للدين.

وحيث تكون العبادات والمعاملات الإسلامية تتوافق مع الأخلاق والفضائل الإنسانية، فإنه إضافة إلى ما ورد فى الجانب الأخلاقى فإنه من الواجب نحو الصغار تنمية أخلاقهم على أساس التمسك بالفضائل الأخلاقية واجتناب الرذائل، ومن ثم يكون تمسكهم بعقيدتهم قائما على أسس قوية، لا تنفصم عند تقدمهم فى العمر.



المبحث السابع

دور الأسرة فى التربية والتنشئة الاجتماعية فى مرحلة المراهقة

يختلف السلوك الاجتماعى للمراهقين عن سلوك المراهقات فى بعض نواحيه، وفى تتابع بعض مظاهره، ولهذا علينا أن نبين الفروق الجنسية فى مرحلة المراهقة من حيث التربية والتنشئة الاجتماعية ودور الأسرة فى ذلك.

التربية والسلوك الاجتماعى للمراهقين:

أهم الخطوات الرئيسة للنمو الإجتماعى عند المراهقين تتمثل فى المراحل التالية:

١ ـ **مرحلة التقليد:** وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ عمر الفرد ١٢ سنة وتوشك أن تنتهى فى الخامسة عشرة من عمره، وتتميز بفرط إعجاب المراهق بزملائه الشجعان الأقوياء الأذكياء الذين يتفوقون فى ألعابهم ودراساتهم أو الذين يتزعمون أقرانهم وزملاءهم، وهو لذلك ينتقل فى تطوره هذا من إعجابه بأبيه إلى إعجابه بزعيمه، ويحاول جهد طاقته أن يقلد هؤلاء الأفراد وأن يقتدى بهم فى سلوكه.

٢ ـ **مرحلة الاعتزاز بالشخصية:** وتبدأ بعد الخامسة عشرة من العمر، وتتميز هذه المرحلة بمحاولة المراهق الانتصار على زملائه فى ألعابه، وبمغالاته فى منافستهم وبميله أحيانا إلى السلوك العدوانى، وبجرأته التى تتحدى بعض المخاوف القائمة، ليؤكد بذلك شخصيته ومكانته ويبرهن على قوته وشجاعته.

٣ ـ **مرحلة الاتزان الاجتماعى:** وتبدأ فى أواخر المراهقة، وقبيل البلوغ، وتبدو فى تخفف المراهق من العصيان والاندفاع والتهور، وفى نظرته الجديدة لهذه الأمور على أنها أعمال صبيانية لا تدل إلا على القصور والعجز.

التربية والسلوك الاجتماعى للمراهقات:

أهم المراحل التى تمر بها الفتاة فى نموها الاجتماعى من باكورة مراهقتها حتى رشدها فى المراحل التالية:

١ ـ **مرحلة الطاعة:** وتبدأ هذه المرحلة قبيل المراهقة وتمتد حتى أوائلها، وتبدو مظاهرها الأساسية فى خضوع المراهقات لمعايير الراشدين من الأهل والأقارب. وهكذا



يتصف السلوك الاجتماعى للمراهقات بالطاعة، ودماثة الخلق والوداعة والرصانة والحياء والخفر والتظاهر بالحشمة، طمعا فى إرضاء الأهل والوالدين.

٢ ـ مرحلة الاضطراب: تمتد هذه المرحلة من أوائل المراهقة حتى الخامسة عشرة من العمر وتتميز بالاضطراب الانفعالى واختلال الاتزان، فتبالغ الفتاة فى استجاباتها للمثيرات الهادئة، وقد تنفجر ضاحكة أو تثور غاضبة للأمور التافهة، ثم تستطرد بعد ذلك إلى الكآبة اليائسة الحزينة، أو تبالغ فى الاهتمام بنفسها ومظهرها ثم ترعوى وتعود سيرتها الأولى.

٣ ـ مرحلة تقليد الفتيان: وتبدأ فى الخامسة عشرة من العمر وقد تمتد إلى السادسة عشرة أو السابعة عشرة، وتبدو فى تقليد الفتيات للفتيان، فى السلوك الخاص بالزى والحوار. ولقد استرعت هذه الظاهرة الغريبة أنظار بعض الفلاسفة المحدثين وفريق من علماء التحليل النفسى فذهبوا إلى أن الحياة فى صورتها العامة تنحو دائما نحو القوة، وأن الرجولة مظهر هذه القوة، ولهذا تقلد المرأة العصرية الرجل فى كثير من أموره فتحاول أن ترتدى زيه، وأن تزج نفسها فى المغامرات التى اشتهر بها منذ فجر التاريخ، وأن تدخن كما يدخن الرجال، سواء بسواء . . ومهما يكن من أمر هذه المذاهب والآراء فلا جرم أن الفتاة تمر فى تطورها الاجتماعى بهذه المرحلة، وقد يقف بها النمو عندها فتتخذ لنفسها بعد ذلك أساليب الرجل فى الحياة. ويعد انتشار القنوات الفضائية الغربية خاصة مدعما لهذه المرحلة فى المجتمعات العربية والإسلامية.

٤ ـ مرحلة الاتزان الاجتماعى: وتبدأ فى أواخر المراهقة وقبيل الرشد. وتبدو فى استجابة الفتاة للمعايير الأنثوية الصحيحة فى السلوك، وفى زيها وحديثها وأنماط حياتها.

أهم العوامل ذات الأثر فى التربية والتنشئة الاجتماعية فى المراهقة:

تتأثر التربية والتنشئة الاجتماعية فى المراهقة بالأسرة وبجماعة النظائر، وقد تتناصر هذه الجماعات التى ينتمى إليها الفرد فى إحدى مراحل نموه ويدين لها بالولاء فى بعض أطوار حياته، لتفضى إلى السير به قدما نحو النضج الذى يهدى إلى تكوينه، أو تحيد به عن مسالك الرشد، وتنأى به بعيدا عن مستويات النمو السوى.

دور الأسرة فى التربية والتنشئة الاجتماعية فى المراهقة:

يتأثر المراهق فى سلوكه الاجتماعى بخبرات طفولته الماضية، وبالجو المحيط به وفى مراهقته، وبمدى خضوعه أو تحرره للجماعة التى نشأ فيها.

وفيما يلى الأدوار ذات الصلة فى التربية والتنشئة الاجتماعية فى المراهقة:



١ ـ الإفراط فى التدليل أثناء الطفولة



الفرد المدلل فى طفولته يظل طفلا فى مراهقته. فيعجز عن الاعتماد على نفسه، ويتقهقر أو ينهار أمام كل أزمة تواجهه، ويشعر بالنقص عندما لا تجاب له رغباته. ويسفر بذلك كله عن تكيف اجتماعى خاطئ مريض. وأهم العوامل المؤثرة فى تكوين مثل هذا الطفل المدلل تتلخص فى مغالاة الوالدين والأهل فى العناية بحاجاته الفسيولوجية العضوية البدنية، وتحقيق جميع رغباته النفسية وفرط المحافظة عليه كالنوم معه ليلا والدفاع الدائم عنه عندما يخطئ، والمغالاة فى مدحه وتقريظه، وحمايته الدائبة من الخبرات الحزينة. والتبذير فى الإنفاق عليه، ومساعدته فى كل صغيرة وكبيره تعرض له.

والطفل المنبوذ فى طفولته يثور فى مراهقته، ويميل إلى المشاجرة والمعاداة والخصومة ويحاول جذب انتباه الآخرين بفرط نشاطه وحركته، وهو يسفر بذلك كله عن تكيف اجتماعى مريض، شأنه فى ذلك شأن الطفل المدلل، سواء بسواء. ويرجع هذا كله إلى مغالاة الوالدين والأهل فى نقده وتخويفه، وضربه وعقابه، وإلى إهماله وتفضيل أحد إخوته عليه ومطالبته دائما بما هو فوق طاقته، وإلى حبسه وسجنه فى إحدى حجرات الدار المغلقة، وإلى تهديده بالطرد، وإلى حرمانه من العطف والحب والحنان.

وهكذا تحتاج النشأة الصحيحة للمراهقة إلى معاملة سوية تحيا فى جو لا يذللها أو ينبذها أحد، وإنما يستقيم بها بين الطرفين دون تفريط أو إفراط.

٢ ـ ذروة الخلافات بين الأباء والأبناء:

يصل الخلاف بين الوالدين وأبنائهم المراهقين إلى أشده فى المراهقة المبكرة أى فى المرحلة التى تمتد من ١٣ سنة إلى ١٧سنة.

وترجع شدة هذا الخلاف إلى إصرار الآباء والأمهات على معاملة أبنائهم على أنهم ما زالوا أطفالا، وعلى مطالبتهم فى الوقت نفسه بأن يتحملوا المسئولية وأن يسلكوا فى حياتهم مسلك الكبار. وتتزايد حدة هذه الخلافات حتى يصل إلى نهايتها العظمى فيما بين ١٤سنة، ١٥سنة إلى ١٧ سنة تقريبا، ثم تهدأ حدتها بعد ذلك بالتدريج.



وكما ينفر الأبناء من آبائهم، يتضايق الآباء من أبنائهم، وذلك لأن المراهق فى هذه المرحلة الحرجة من حياته يصبح صعب المراس لا يأبه للمسئولية، ويميل إلى المبالغة، ويثور لأتفه الأسباب، ولا يثبت على حال.

وترجع أسباب الخلاف بين المراهقين وآبائهم إلى ثلاثة عوامل رئيسة:

أ - ما يفرضه الآباء من قيود على المراهقين لإقرار الحزم وتدريبهم على النظام. وما يصحب هذه القيود من ثورة المراهقين عليها ورفضهم إياها، وهم يحسبون بذلك أنهم جاوزوا هذه القيود الصبيانية التى يجب ألا تفرض عليهم.

ب - مبالغة المراهق فى نقده لوالديه ولإخوته ولحياته العائلية. والآباء الذين ضحوا فى سبيل أبنائهم، ليحققوا لهم حياة كريمة يرون فى هذا النقد نوعا من العقوق.

ج - قد يكون الخلاف ناجما من نوع الحياة الاجتماعية التى يحياها الفرد فى مراهقته، وخاصة فى اختلاط المراهق بالجنس الآخر، والأماكن الغريبة التى يرتادها والملابس الشاذة التى يرتديها، وحاجته الملحة لمزيد من المال ليتابع هواياته ويساير نزوات رفاقه ومشاهداته لوسائل الإعلام الغربية التى أصبحت قريبة منه جدًا بعد ظهور شبكة الإنترنت والفضائيات.

٣- نهاية الخلاف وتحول النزاع إلى وفاق:

تتحول علاقات الأبناء بآبائهم من النزاع إلى الوفاق فى المراهقة المتأخرة، التى تبدأ عندما يصل عمر المراهق إلى ١٧سنة وتمتد حتى أوائل الرشد فى ٢١سنة. وذلك عندما يدرك الآباء أن أبناءهم المراهقين قد اقتربوا من الرشد ولهم حقوقهم، كما أن عليهم أن يتحملوا بحق واجبات هذه الحقوق من مسئولية إلى سلوك متزن جاد عاقل رصين. وعندما يغير الآباء موقفهم من أبنائهم، يسود البيت وفاق وهدوء بعد أن كان ميدان نزاع وخلاف.

ويتقبل المراهق إخوته الصغار. ولا يأنف من سلوكهم الصبيانى، ويصبح أكثر إدراكا وفهما لمشكلاتهم ويعاملهم بروح الأخ الكبير التى تنطوى على ما يشبه شعور الأب بأبنائه الصغار لا بإخوته المشاغبين.

ويزداد الوفاق بين المراهق وأبيه، وتبعا لذلك يتقمص المراهق دور الأب فى علاقاته مع إخوته الصغار.



ويزداد توافق الابن المراهق مع دوره الجديد فى الأسرة أكثر من توافق البنت، وذلك لأن دور الابن المراهق أكثر وضوحا فى المجتمعات الراهنة من دور البنت، ولأن الدور القيادى للرجل أكثر شيوعا من دور المرأة، ولذا يسبق الولد البنت فى التحول من النزاع إلى الوفاق لأن فى هذا التحول ما يشبع رغبات الولد أكثر مما يشبع رغبات البنت.

٤ - الجو النفسى السائد فى الأسرة:

يتأثر الفرد فى نموه الاجتماعى بالجو النفسى المهيمن على أسرته، وبالعلاقات القائمة بين أهله. ويكتسب اتجاهاته النفسية بتقليده لأبيه وأهله وذويه، وبتكرار خبراته العائلية الأولى وتعميمها. وبانفعالاته الحادة التى تسيطر على الجو الذى يحيا فى إطاره.

والشخصية السوية الصحيحة لا تنشأ إلا فى جو تشيع فيه الثقة والوفاء، والحب والتآلف، والأسرة التى تحترم فردية الشخص تدربه على احترام نفسه، وتساعده على أن يكون محترما بين الناس، وتوحى إليه بالثقة اللازمة لنموه، وهكذا يتأثر الفرد فى مراهقته بالجو الديمقراطى السائد فى أسرته، فينمو ويتطور فى إطار مجتمع سوى يعده إعدادا صحيحا للمجتمع الخارجى العام، الذى سيتفاعل معه فى رشده وشيخوخته.

والأسرة المثالية هى التى تساير نمو الفرد فتعامله فى طفولته على أنه طفل ولا ترهقه من أمره عسرا، ولا تحاول أن تقحم طفولته فى إطار الراشدين بل تهيئ له الفرصة لكى ينمو ويستمتع بكل مرحلة يمر بها فى حياته.

والأسرة المستقرة الثابتة الهادئة المطمئنة تعكس هذه الثقة، وذلك بالاطمئنان على حياة المراهق، فتشبع بذلك حاجته إلى الطمأنينة. وتهيئ له جواً مثاليا لنموه، ولهذا كان للوالدين أثرهما الفعال على سلوك أولادهما. وكان لسعادتهما فى حياتهما الزوجية اتصال قريب مباشر بسعادة أولادهما.

والجو المضطرب يسيء إلى نمو المراهق، وينحو به نحو الشذوذ والثورة، وتعصب الأب لجيله، وتزمته الشديد لآرائه، ينأى به بعيدا عن صداقة أبنائه ويقيم بينه وبينهم الحدود والحواجز التى تحول بينه وبين فهمه لمظاهر نموهم الأساسية، وبين الثقة الضرورية لتآلفهم ونموهم.

والأسرة التى تثور غاضبة للأسباب التافهة، وتبغض الناس، وتميل إلى الانتقام والغيرة، لا تنشئ إلا أفرادا مرضى، يعيشون فى حياتهم المقبلة تحت وطأة الصراع الحاد والاضطراب الشديد.



والأب الذى يشتهر بين الناس بشدة شكيمته، وحدة عارضته، يستشرف بأولاده على الجنوح، ويباعد بينهم وبين اكتمال النضج، فإما أن يشايعه أولاده على أمره ملزمين غير مختارين، ويتبعوه فى غلوائه وهم عنه غير راضين، وإما أن يثوروا عليه ولا يصدعوا لأمره، ويصدفوا عنه، ثم ينقلوا آثار هذه الثورة إلى رشدهم، ويواجهوا بها كل سلطة يرتبطون معها، وكل زعامة يتصلون بها.

وهكذا تترك الأسرة آثارها على حياة المراهق والراشد، وتصبغها بصبغتها الهادئة السوية، أو المضطربة الشاذة، وتلزمها سنن الطريق وقصده، فتدرأ عنها شرور الحياة، وتربأ بها عن الخطيئة، أو تمثل بها إلى الفساد والمعصية والإثم.

٥ - الفطام النفسى:

يتخفف الفرد فى مراهقته من علاقته بالأسرة، واتصاله المباشر بها، ويتصل اتصالا قويا بأقرانه وزملائه، ثم يتخفف من علاقته بهم، ليتصل من قريب بالمجتمع القائم، ولهذا كان لزاما على أهله وذويه أن يساعدوه على هذا التحرر، ويتخففوا من سيطرتهم عليه شيئا فشيئا، حتى يمضى قدما فى طريق نموه. وللمغالاة فى رعاية المراهق وحمايته من كل أذى وكل خبرة شاقة، أثر ضار على إعاقة فطامه النفسى. وخير للمراهق أن يعتمد على نفسه فى شراء لوازمه وحاجياته وملابسه. وفى اختيار أصدقائه، وفى قضاء أوقات فراغه، والاستمتاع بهواياته، وتأكيد مكانته بين إخوته بما يتناسب ومستواه ونشاطه. وخير للأسرة أن تمهد للمراهق الوسيلة الفعالة للاشتراك الإيجابى فى مناقشة بعض المشاكل العائلية المباشرة وأن تحترم آراءه، وأن تدربه على التعاون مع والديه فى بعض أمورهما، وعلى تكوين صداقة قوية بينه وبينهما.

وهكذا يتحرر المراهق من خضوع طفولته ومراهقته، ويشعر بأهميته، ويتدرب على حياته المقبلة فى المجتمع الكبير.

٦ - المستوى الاجتماعى - الاقتصادى للأسرة:

للمستوى الاجتماعى والثقافى والاقتصادى للأسرة، أثر عميق على سلوك المراهقين وعلى نموهم الاجتماعى، ولهذا يختلف سلوك الفرد تبعا لاختلاف المدارج المختلفة لأسرته، ذلك لأن لكل طائفة من الطوائف الاجتماعية أسلوبا معينا فى الحياة، ونمطا خاصا فى السلوك.

وللبيئة المباشرة المحيطة بالأسرة أثر قوى على مستوياتها المختلفة. وعلى تحديد بعض نشاط أفرادها واستخدامهم للأدوات والأجهزة ذات التقنية الحديثة أو المكلفه أو



أجهزة الرفاهية، ولهذا كان لسلوك أفراد الأسرة الغنية نمط يختلف عن سلوك أفراد الأسرة الفقيرة. وكان لسلوك أفراد الأسر المتعلمة نمط يختلف عن سلوك أفراد الأسر الجاهلة. هذا، وترتبط هذه المستويات من قريب بالمعايير الاجتماعية والقيم المرعية، وبمدى تفاعل الفرد معها، وإيمانه بها، وخضوعه لها، أو عزوفه عنها. ومن الناس فريق يستقيم سلوكه فى مستوى معين، ولا يستقيم فى المستويات الأخرى، ومنهم من يستطيع أن يتكيف مع عدد كبير من المستويات المختلفة.



المبحث الثامن

دور الأسرة في التربية الخلقية والدينية في مرحلة المراهقة

أولا - التربية الخُلقية:

من أهم العوامل ذات الأثر فى التربية الخلقية فى مرحلة المراهقة العوامل التالية :

١ - **الثواب والعقاب**: يتأثر الفرد بالبيت وبالمدرسة وبجماعة النظائر وبالمجتمع الكبير فى تقويم مستويات خلقه، وفى تعديل سجاياه، وذلك عندما يثاب على ما يعمل أو يعاقب على أخطائه، ولا يعنى العقاب الضرب والقسوة، وإنما يعنى هنا إعاقة السلوك الشاذ وذلك بتحويل طاقته إلى سلوك مُرْضٍ. هذا وللتشجيع أثره القوى فى تكوين المستويات الخلقية المختلفة. وقد يعوق الفشلُ نموها، ولهذا ففى مجال الدراسة ينتشر الغش بكثرة بين المتخلفين فى دراساتهم، وقد ترجع أسباب الغش إلى رغبة المراهق فى الاحتفاظ بمكانته الاجتماعية بين زملائه وأصدقائه.

٢ - **التقليد**: يقلد الفرد والديه فى طفولته، ويتطور به النمو فيقلد مدرسيه ورؤساء الأندية التى ينتمى إليها فى بدء مراهقته، ثم ينحو بعد ذلك نحو تقليد نظائره فى تفوقهم عليه، وتميزهم عنه. يشرئب بمستوياته نحو أبطال آماله وأحلامه ونحو من يعجب بهم ويقرأ عنهم. وهكذا يتأثر فى نموه الخلقى بمن يقلد، وبما يفعل.

وقديما ذهب بعض علماء النفس إلى أن السلوك الاجتماعى الخلقى يرجع فى جوهره إلى التقليد، وانتهى بتحليله العلمى للسلوك الاجتماعى إلى أنه عدوى تنتقل من فرد لآخر، ودللوا على ذلك بحالات الفزع التى تنتاب الجماعات نتيجة فزع أحد أفرادها ثم استطرد فى تحليله حتى وصل إلى إرجاع السلوك الاجتماعى عامة إلى التقليد.

ومهما يكن من أهمية التقليد فى تعديل سلوك الفرد فإنه ليس وحده العامل الأساسى فى تكوين المظاهر الخلقية للسلوك.

٣ - **التفكير التأملى**: يتأثر النمو الخلقى بتفكير الفرد وتأملاته وبصيرته القوية، التى تهدف إلى تحليل المواقف المختلفة، ورسم خطوطها الأساسية، للوصول بها إلى



المثل العليا الصحيحة التى تساير أهداف الفرد والجماعة والنوع الإنسانى ومعارج الفضيلة السامية ومدارج العدالة العليا.

العلاقة بين النمو الخلقى والنمو الاجتماعى فى مرحلة المراهقة:

يرتبط النمو الخلقى ارتباطًا عاليا بالنمو الاجتماعى، ويخضع تطوره لمدى علاقة الفرد بالمعايير والقيم السائدة. ويرتبط من ناحية أخرى بالنمو الدينى، وبمدى علاقة الفرد بالشعائر الدينية، وبمدى استجابته لمستويات الخير والشر. ويعتمد إدراك الفرد للأفراد الآخرين وتقديره لهم ومودته إياهم، وأمانته على ما يؤتمن وولائه لمن ينتمى إليه، على مدى تحققه من أثرته ومدى عطفه على جماعته، وإيمانه بمبادئه. وقديما قال ابن المقفع: «من جهل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل» ولقد ألمح الجاحظ فى بعض كتاباته عن الخلق الطيب بقوله «اللهم إنا نعوذ بك من التكلف لما لانحسن كما نعوذ بك من العُجب بما نحسن» وهو بهذا يؤكد سجية التواضع إرضاء لاستقامة العلاقات الاجتماعية فى مجتمع يأبى على أفراده المغالاة فى أنانيتهم، والجنوح بالفردية عن مستوى الجماعة.

وللقيم الخلقية أهمية فى التطور الاجتماعى للفرد وللجماعة ولمستقبل النوع الإنسانى والحضارة القائمة، ما يؤكد أن المراهق فى عصرنا هذا، يحيا فى عالم تضطرب فيه الحقائق العلمية العقلية، وتتباين تباينا شديدا فى اتصالها المباشر وغير المباشر بالقيم الخلقية والمثل العليا الإنسانية: ولهذا يحاول الفرد أن يزاوج بين عقل أجدبت عاطفته، وعاطفة تأخرت عن عقله، وينادى فى مسالكه لحضارة كادت أن تسمو بالعقل إلى أوج ذروته، وعاشت ناعمة فى ظلال التطور المادى المعاصر، ولم تستطع أن ترقى بأخلاقها إلى هذا المستوى العلمى الذى بلغته. ولن تستقيم أمور هذا العالم إلا عندما يدرك حاجته إلى التقدم الخلقى العالمى، كما أدرك حاجته إلى التقدم العلمى الراهن. لقد أطلق المادة من عقالها، وصنع لنفسه عملاقا جديدا، وآن له أن يسمو بأهدافه وغاياته إلى المستوى الذى يستطيع به أن يخضع هذا العملاق لمعايير الخير العليا العالمية، وللمثل الإنسانية الخالدة.

وهكذا يخضع المراهق من قريب وبعيد لمحنة الحضارة الراهنة، فى حروبها وإفكها وترهاتها، ويحيا بين قوم يقبلون على الدنيا ويذمونها، ويرشونها صبرا لينتصروا على آلامها ويثورون فى وجهها عندما تثقل عليهم بجورها وظلمها، فيحاول أن يدرأ عن نفسه الشبهات، وأن يؤالف بين عقله وقلبه، وبين علمه وخلقه حتى تتناقض مذاهبه، ولا تتنافر مسالكه، وحتى يطمئن إلى بيئته ويأمن على نفسه بين أرجائها فيحارب من



نازعه، ويسالم من وادعه، ويستطرد بحياة متناسقة لا مرسلة بددا، ومتناظمة لا طرائق قددا، فتستقيم فلسفته عن الحياة، ويقى نفسه شرور هذا العالم المتوقع تفاقمها مع القرن الحادى والعشرين.

وآية ذلك كله أن الحياة نفسها تنحو بالمراهق نحو العالم الذى يهدف إلى المعرفة، والمثل العليا التى تعمل على إقامة صرح المجتمع وعلاقاته الفردية والجماعية.

معنى الخلق وطبيعته النفسية:

يكاد علماء النفس يجمعون على أن الخلق مركب اجتماعى مكتسب يقوم فى جوهره على فضائل وسجايا تقرها الجماعة وترضاها لنفسها، فهو بذلك إحدى الدعائم الرئيسة للشخصية الإنسانية.

ويعرف الخلق بأنه تكامل للعادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا، بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل.

والسجية الخلقية فى جوهرها النفسى مظهر من مظاهر الخلق تبدو عند طائفة من الناس بين طائفة من السلوك. وهكذا يقترب هذا التقسيم فى تنظيمه العلمى من التنظيم العقلى المعرفى، ويقترب أيضا من التنظيم المزاجى.

هذا، وتتلخص أهم المؤشرات الخاصة بتأكيد السجايا الخلقية إلى مايلى:

١ ـ **سجايا اجتماعية:** وتبدو فى احترام الفرد لحقوق الآخرين، وفى مدى ثقة الناس به، وفى عدالته الاجتماعية.

٢ ـ **سجايا المرونة:** وتبدو فى مقدرة الفرد على الاندماج فى الجماعة أو تجنبها.

٣ ـ **سجايا السيادة:** وتبدو فى مدى ثقة الفرد بنفسه، ورغبته فى اكتساب حب الناس الآخرين، وقدرته على تهذيبهم وإصلاحهم ورعايتهم وحبهم.

٤ ـ **سجايا الطموح:** وتبدو فى مدى طموح الفرد للتفوق بمثله العليا وصفاته الطيبة على أقرانه، وفى قدرته الابتكارية على اختيار نواحى الإصلاح الجديدة والسير بها قدما نحو غاياتها ومثلها العليا.

ومهما يكن من أمر هذا الكتاب، فإنه قد يبين بوضوح الطرق العلمية لدراسة الخلق، وبيِّن أيضا أهمية رعاية النشء وبناء المجتمع، وتكوين الخلق. والخلق يقوم فى جوهره على السجايا التالية:



١ ـ **الولاء**: للجماعة والفرد، وللنواحى المعنوية التى يدين بها المراهق.

٢ ـ **الشجاعة الأدبية**: وتبدو فى دفاع المراهق عن الفكرة التى يدين بها.

٣ ـ **الأمانة**: وتبدو فى النواحى العلمية والاجتماعية والمالية، وغير ذلك من المظاهر المختلفة.

٤ ـ **تحمل المسئولية**: وتبدو فى ثقة الفرد بنفسه وفى قيامه بواجباته الخلقية الاجتماعية.

٥ ـ **المودة**: وتبدو فى الصداقة والمؤاخاة. ولقد ألمح «الكندى» إلى أهمية هذه الناحية بقوله «الصديق إنسان هو أنت إلا أنه غيرك» وفطن «ابن المعتز» إلى أهمية المودة فى التقارب النفسى فذهب إلى أن «القريب بعداوته بعيد، والبعيد بمودته قريب».

مستويات النمو الخلقى:

يتصل الفرد فى طفولته اتصالا قويا بالسلطة القائمة فى أسرته ويكتسب بذلك ضميره. ثم يتطور به النمو فيستجيب لنداء هذا الضمير ويدين بالولاء لمعايير الأسرة وقيمها الخلقية، فيحاول أن يرضى الأهل والأصدقاء، ثم يتطور فى مراهقته فيسمو بمستوياته حتى يتصل من قريب بالمثل العليا الإنسانية، وبالعدالة الاجتماعية. وهكذا يتخفف المراهق من ولائه الشديد لبيئته الأولى، ليستطرد من ذلك إلى الولاء للمجتمع الكبير الذى يحيا فى إطاره، وقد يتخفف من هذا أيضا ليدين بالولاء للنوع الإنسانى كله، وتلك أعلى مدارك السمو الخلقى.

مستويات النمو الدينى:

سنتناول هنا تطور مستويات النمو الدينى فى مرحلة المراهقة، ما يطرأ على ممارسة العبادات المختلفة من تغير خلال المراهقة، ثم نحلل نشأة الشك الدينى ووظيفته فى تعميق المفاهيم الدينية التى كان الفرد يتقبلها بقبول شكلى فى مرحلة الطفولة. وأثر هذا التطور الجديد من أطوار النمو على النضج الدينى للفرد.

فى هذه المرحلة نقل نسبة ممارسة الفرد للعبادات المختلفة، لكنه ما يلبث أن يعود إلى عبادته عندما تمر به أزمة حادة قاسية، وعندما تنتهى الأزمة تفتر صلاته، وتبدأ رغبته الشديدة فى الصلاة، والعبادات الأخرى.

يتقبل الطفل الاتجاهات الدينية فى أسرته ومجتمعه، لكنه يشك فيها فى أوائل



مراهقته، وخاصة فيـما بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من عـمره، وذلك عندما يعجز عن إدراك الشعائر الدينية العميقة، فيقف بقلبه وعقله فى عمق الشعائر الدينية ويقعد به عجزه عن فهم الأبدية، ويحاول أن يخـضع هذا الملكوت لأفكاره عن الزمن الموضوعى والذاتى، ثم يتخفف بعد ذلك من هذا الشك فى أواخر مراهقته.

وتدل أبحاث «كول» Cole على أن السنة السادسة عشرة تقريبا من حياة المراهق تعتبـر مرحلة تحول فى سلوكـه وإيمانه الدينى، ذلك لأن الـثقة الدينية بيـن المراهقين، ترتفع عندئذ إلى ما يقترب من ٦٠٪ وإلى ما يقرب من ٦٥٪ عند المراهقات ولذا تسمى مرحلة المراهقـة أحيانا بمرحلة اليقظة، لأن الفـرد يبدأ فيها جداله الديـنى الحاد العنيف، فيناقش فـكرته عن الجنة والنار، والذنب والتـوبة، والبعث والخلود، والقـضاء والقدر، والحرية الفردية والجبـرية. هذا، وتزداد ضراوة هذه اليقظة الدينية، وما يتـبعها من إثارة المشكلات والشكوك المختـلفة عندما يواجه المراهق أحداث الموت وهـى تصيب أصدقاءه وأقرباءه، وعندما يفطن لقسوة الفراق، ومرارة الأحداث المحيطة به.

ويتطور الشك الدينى عند المراهق من العبادات إلى العقيدة ذاتها، وهو فى شكه هذا يراجع نفسه، ويراجع علاقته بالقيم السائدة والمعايير القائمة وعلاقته بالكون كله.

ثم تبدأ حدة هذا الشك وذلك عندما يقترب الفرد من الرشد، فيتحول الشك إلى الشعور بالذنب، ويتطور به النمو إلى معالجة مشكلاته الدينية بروح موضوعية صحيحة.

وهكذا يقترب الفرد اقـترابا واضحا من شعائره الدينية حـتى يصبح قادرا على أن يميز الخـبيث من الطيب ولا يتعدى حـدوده، ويتحول الشعور بالخوف مـن العقاب إلى الشعور بـالمتعة الروحيـة الخالصة العميـقة، ويصبح أكثـر تسامحا فى عـلاقاته بالأديان الأخرى.



الفصل الثالث

آداب العلاقات الأسرية الإسلامية بين الآباء والأبناء

تمهيد:

تحدد المعاملات في الشرع الحنيف، آداب التعامل والعلاقات الأسرية، في مسارات أوضحها كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي أوضح تعاليمها وتعاملها سيد الخلق أجمعين، في سنته المباركة التي ترك من خلالها أمة الإسلام على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

وهذا الفصل يوضح آداب التعامل والعلاقات الأسرية، حيث يتناول في مباحثه التالية:

المبحث التاسع: آداب العلاقات الأسرية بين الزوجين

المبحث العاشر: آداب العلاقات الأسرية وحقوق الوالدين

المبحث الحادي عشر: آداب العلاقات وحقوق الأبناء والإخوة والأخوات.

المبحث التاسع

آداب العلاقات الأسرية بين الزوجين

الحياة الأسرية المستقرة، وحقوق الآباء والأمهات وكيفية التعامل بينهما فى الوسط الأسرى، وحقوق الأبناء عند تعامل الآباء معهم، والعلاقات بين الأبناء وآبائهم، والعلاقات بين الأبناء بعضهم مع بعض، كل هذا تؤكده الآيات البينات فى الذكر الحكيم، وفى السنة النبوية المطهرة..

وفيما يلى ما يحدد العلاقات بين الأبوين فى المحيط الأسرى.

العلاقات الأسرية والحقوق المتبادلة بين الزوجين:

يعترف المسلم بالآداب المتبادلة بين الزوج وزوجته وهى حقوق كل منهما على صاحبه، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة:٢٢٨) فهذه الآية الكريمة قد أثبتت لكل من الزوجين حقوقا على صاحبه، وخصت الرجل لمزيد درجة لاعتبارات خاصة، قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع **«إلا أن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا»**(١) غير أن هذه الحقوق بعضها مشترك بين كل من الزوجين، وبعضها خاص بكل منهما على حدة.

فالحقوق المشتركة هى:

١ ـ الأمانة، إذ يجب على كل من الزوجين أن يكون أمينا مع صاحبه فلا يخونه فى قليل ولا كثير، إذ الزوجان أشبه بشريكين فلا بد من توافر الأمانة، والنصح والصدق والإخلاص بينهما فى كل شأن من شئون حياتهما الخاصة والعامة.

٢ ـ المودة والرحمة بحيث يحمل كل منهما لصاحبة أكبر قدر من المودة الخالصة، والرحمة الشاملة يتبادلانها بينهما طيلة الحياة مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم:٢١). وتحقيقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام «من لا يرحم لا يرحم»(٢).

---

(١) رواه اصحاب السنن وصححه الترمذى.

(٢) الطبرانى بسند صحيح.



٣ ـ الثقة المتبادلة بينهما بحيث يكون كل منهما واثقا فى الآخر ولا يخامره أدنى شك فى صدقة ونصحه وإخلاصه له وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠) وقول الرسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [١] والرابطة الزوجية لا تزيد أخوة الإيمان إلا توثيقا وتوكيدا وتقوية.

وبذلك يشعر كل من الزوجين أنه هو عين الآخر وذاته، وكيف لا يثق الإنسان فى نفسه ولا ينصح لها؟ أو كيف يغش المرء نفسه ويخدعها؟

٤ ـ الآداب العامة من رفق فى المعاملة، وطلاقة وجه كريم قولا وتقديرا واحتراما، وهى المعاشرة بالمعروف التى أمر الله بها فى قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩) وهى الاستيصاء بالخير الذى أمر به الرسول ﷺ فى قوله: «**واستوصوا بالنساء خيرا**» [٢] فهذه جملة من الآداب المشتركة بين الزوجين، والتى ينبغى أن يتبادلاها بينهما عملا بالميثاق الغليظ الذى أشير إليه فى قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١) وطاعة الله القائل سبحانه: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

أما الحقوق المختصة، والآداب التى يلزم كلا من الزوجين أن يقوم بها وحده نحو زوجه فهى:

حقوق الزوجة على الزوج:

يجب على الزوج إزاء زوجته القيام بالآداب التالية:

١ ـ ان يعاشرها بالمعروف لقوله تعالى: ﴿وعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، فيطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ويؤدبها إذا خاف نشوزها بما أمر الله أن يؤدب النساء، بأن يعظها فى غير سب ولا شتم ولا تقبيح، فإن أطاعت وإلا هجرها فى الفراش، فإن أطاعت وإلا ضربها فى غير الوجه ضربا غير مبرح، فلا يسيل دما ولا يشين جارحة أو يعطل عمل عضو من الأعضاء عن أداء وظيفته لقوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ

(١) الشيخان وغيرهما.
(٢) مسلم.



سَبِيلاً﴾ (النساء:٣٤). ولقول الرسول عليه الصلاة والسلام للذى قال له ما حق زوجة أحدنا عليه؟ فقال: «أن تطعمها إن طعمت، وتكسوها إن اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت» (١) وقوله «ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن» وقوله عليه الصلاة والسلام «لا يفرك مؤمن مؤمنة ـ أى لا يبغضها ـ إن كره منها خلقا رضى آخر».

٢ ـ أن يعلمها الضرورى من أمور دينها إن كانت لا تعلم ذلك، أو يأذن لها أن تحضر مجالس العلم لتتعلم ذلك، إذ حاجتها لإصلاح دينها وتزكية روحها ليست أقل من حاجتها إلى الطعام والشراب الواجب بذلهما وذلك لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم:٦). والمرأة من الأهل ووقايتها من النار بالإيمان والعمل الصالح، والعمل الصالح لابد له من العلم والمعرفة حتى يمكن أداؤه والقيام به على الوجه المطلوب شرعا، ولقوله ﷺ: «ألا واستوصوا بالنساء خير فإنما هن عوان ـ أى أسيرات ـ عندكم»(٢) ومن الاستيصاء بها خيرا أن تعلم ما تصلح به دينها وأن تؤدب بما يكفل لها الاستقامة وصلاح الشأن.

٣ ـ أن يلزمها بتعاليم الإسلام وآدابه وأن يأخذها بذلك أخذا فيمنعها أن تسفر أو تتبرج، ويحول بينها وبين الاختلاط بغير محارمها من الرجال، كما عليه أن يوفر لها حصانة كافية ورعاية وافية، فلا يسمح لها أن تفسد فى خلق أو دين، ولا يفسح لها المجال أن تفسق عن أوامر الله ورسوله أو تفجر، إذ هو الراعى المسئول عنها والمكلف بحفظها وصيانتها لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء:٣٤)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته».

٤ ـ أن يعدل بينها وبين ضرتها، إن كان لها ضرة، يعدل بينهما فى الطعام والشراب واللباس، والسكن والمبيت فى الفراش، وأن لا يحيف ذلك فى قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء: ٣) والرسول ﷺ وصى بهن الخير فقال «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى»(٣).

---

(١) أبو داود باسناد حسن.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.



٥ ـ أن لا يفشى سرها، وألا يذكر عيبا فيها، إذ هو الأمين عليها، والمطالب برعايتها والذود عنها لقوله ﷺ: «**إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها**»(١).

حقوق الزوج على الزوجة:

يجب على الزوجة نحو زوجها القيام بالحقوق والآداب الآتية:

١ ـ طاعته فى غير معصية الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ (النساء: ٣٤) وقول رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»(٢). وقوله: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»(٣).

٢ ـ صيانة عرض الزوج والمحافظة على شرفها، ورعاية ماله وولده وسائر شئون منزله لقوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾(النساء: ٣٤). وقول الرسل ﷺ «**والمرأة راعية على بيت زوجها وولده**» (٤). وقوله «**فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون**».

٣ ـ لزوم بين زوجها فلا تخرج منه إلا بإذنه ورضاه وغض طرفها ـ عينها ـ وخفض صوتها، وكف يدها عن السوء، ولسانها عن النطق بالفحش والبذاء، ومعاملة أقاربه بالإحسان الذى يعاملهم هو به، إذ ما أحسنت إلى زوجها من أساءت إلى والديه أو أقاربه، وذلك لقوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ (الأحزاب: ٣٣). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾(الأحزاب: ٣٢). وقوله: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (النساء: ١٤٨). وقوله: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ

---

(١) الطبرانى باسناد حسن.
(٢) مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) أبو داود والحاكم وصححه الترمذى.



مِنْهَا﴾ (النور: ٣١). وقوله ﷺ: «خير النساء التى إذا نظرت إليها سرتك وإذا امرتها أطاعتك، وإذا غبت عليها حفظتك فى نفسها ومالك»[١]. وقوله: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وإذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها»[٢]. وقوله: «ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد»[٣].

(١) متفق عليه.

(٢) الطبرانى باسناد صحيح.

(٣) مسلم وأحمد.



المبحث العاشر

آداب العلاقات الأسرية وحقوق الوالدين

حقوق الوالدين:

يؤمن المسلم بحق الوالدين عليه وواجب برهما وطاعتهما والإحسان إليهما لا لكونهما سبب وجوده فحسب، أو لكونهما قدما له من الجميل والمعروف ما وجب معه مكافأتهما بالمثل، بل لأن الله عز وجل أوجب طاعتهما، وكتب على الولد برهما والإحسان إليهما حتى قرن ذلك بحقه الواجب له من عبادته وحده دون غيره، فقال عز من قائل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣ - ٢٤). وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤). وقال الرسول ﷺ للرجل الذى سأله قائلا: «من أحق بحسن صحبتى؟ فقال أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك»(١). وقال ﷺ: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنع وهات ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(٢). وقال ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قال أبو بكر، قلت ليته سكن»(٣) وقال عليه السلام: «**لا يجزى ولد والدا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه**»(٤). وقال عبدالله

(١) مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى.

(٢) قضى: أمر.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليهما.



بن مسعود رضى الله عنه «سألت النبى ﷺ أى العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: بر الوالدين، قلت ثم أى؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله» وجاء رجل إليه عليه الصلاة والسلام يستأذنه فى الجهاد فقال: «أحى والداك؟ قال نعم، قال ففيهما فجاهد»(١).

وجاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله بقى على شىء من بر أبوى بعد موتهما أبرهما؟ قال: نعم، «**خصال أربع: الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلها، فهو الذى بقى عليك من برهما بعد موتهما**(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام «**إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى**»(٣).

والمسلم إذ يعترف بهذا الحق لوالديه ويؤديه كاملا طاعة لله تعالى وتنفيذا لوصيته فإنه يلتزم كذلك إزاء الوالدين بالآداب الآتية:

١ ـ طاعتهما فى كل ما يأمران به، أو ينهيان عنه مما ليس فيه معصية لله تعالى ومخالفة لشريعته إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولقوله تعالى: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ (لقمان: ١٥). وقول الرسول ﷺ «**إنما الطاعة فى المعروف**» وقوله ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**».

٢ ـ توقيرهما وتعظيم شأنهما، وخفض الجناح لهما، وتكريمهما بالقول وبالفعل فلا ينهرهما، ولا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يمشى أمامهما، ولا يؤثر عليهما زوجة ولا ولدا، ولا يدعهما باسمهما، بل بيا أبى ويا أمى، ولا يسافر إلا بإذنهما وبرضاهما.

٣ ـ برهما بكل ما تصل إليه يداه، وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان، كإطعامهما وكسوتهما، وعلاج مريضهما، ودفع الأذى عنهما، وتقديم النفس فداء لهما.

٤ ـ صلة الرحم التى لا رحم له إلا من قبلهما والدعاء والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما.

---

(١) متفق عليهما.

(٢) متفق عليهما.

(٣) متفق عليه.



المبحث الحادى عشر

آداب العلاقات الأسرية وحقوق الأبناء والإخوة والأخوات

حقوق الأبناء:

المسلم يعترف بأن للولد حقوقا على والده يجب عليه أداؤها له وآدابا يلزمه القيام بها نحوه، وهى تتمثل فى اختيار والدته وحسن تسميته، وذبح العقيقة عنه يوم سابعه، وختانه ورحمته والرفق به، والنفقة عليه، وحسن تربيته، والاهتمام بتثقيفه وتأديبه وأخذه بتعاليم الإسلام، وتمرينه على أداء فرائضه وسننه وآدابه، حتى إذا بلغ زوّجه، ثم خيره بين أن يبقى تحت رعايته، وبين أن يستقل بنفسه، ويبنى مجده بيده وذلك لأدلة الكتاب والسنة التالية:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٣٣) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦)

ففى هذه الآية الأمر بوقاية الأهل من النار وذلك بطاعة الله تعالى: وطاعته تعالى تستلزم معرفة ما يجب لله تعالى أن يطاع فيه، وهذا لا يتأتى بغير التعلم، ولما كان الولد من جملة أهل الرجل كانت الآية دليلا على وجوب تعليم الوالد لولده وتربيته وإرشاده وحمله على الخير والطاعة لله ولرسوله، وتجنبه الكفر والمعاصى والمفاسد والشرور ليقيه بذلك عذاب النار.

كما أن الآية الأولى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾ الآية دليل وجوب نفقة الولد على الوالد، إذ النفقة الواجبة للمرضعة كانت بسبب إرضاعها الولد، وقال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ (الإسراء:٣١).

٢ ـ قوله ﷺ لما سئل عن أعظم الذنوب «أن تجعل لله ندا وهو خلقك، وأن



تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، أو تزنى بحليلة جارك»[1]، فالمنع من قتل الأولاد مستلزم لرحمتهم والشفقة عليهم والمحافظة على أجسامهم وعقولهم وأرواحهم، وقال ﷺ فى العقيقة على الولد: «**الغلام مرتهن بعقيقة تذبح عنه يوم السابع، ويسمى فيه ويحلق رأسه**»[2]. وقال «**الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط**».[3] وقال: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم، فإن أولادكم هدية إليكم**»[4]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**ساووا بين أولادكم فى العطية، فلو كنت مفضلا أحدًا لفضلت النساء**»[5]، وقال: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم فى المضاجع**»[6]، وجاء فى الأثر من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه، وقال عمر رضى الله عنه: من حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والرماية وأن يرزقه حلالا طيبا، وروى عنه أيضا قوله: تزوجوا فى الحجر الصالح، فإن العرق دساس، وقد امتن أعرابى على أولاده باختيار أمهم فقال:

وأول إحسانى إليكم تخيّرى

لما جدة الأعراق باد عفافها

حقوق الإخوة والأخوات:

المسلم يرى أن الأدب مع الإخوة كالأدب مع الآباء والأبناء سواء، فعلى الإخوة الصغار من الأدب نحو إخوتهم الكبار ما كان عليهم لآبائهم، وأن على الأخوة الكبار نحو إخوتهم الصغار ما كان لأبويهم عليهم من حقوق وواجبات وآداب، وذلك لما ورد «حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على والده»[7]. ولقول ﷺ «بر أمك وأباك، ثم أختك وأخاك، ثم أدناك فأدناك»[8].

---

(١) أبو داود.
(٢) مسلم.
(٣) فضيلة الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى (مرجع سابق) ص ص ١٢٧/ ١٢٩.
(٤) متفق عليه.
(٥) الجماعة.
(٦) الجماعة.
(٧) البيقى وهو ضعيف.
(٨) رواه الحاكم وأصله فى الصحيح والسنة.



الفصل الرابع

دور الأسرة فى المجتمع المعاصر
والتربية الإسلامية للأبناء عبر مراحل الطفولة والمراهقة

تمهيد:

من المتفق عليه أن التماسك الأسرى هو أساس التماسك الاجتماعى، كما نتفق على أن للأسرة دورها البناء، من خلال العلاقات الأسرية السليمة، من حيث إكساب الفرد الخصائص السلوكية المناسبة للتعامل فى المجتمع.

ووفق ما سبق تأكيده من قبل، فإن الأسرة هى الخلية الاجتماعية الأولى فى المجتمع، أى أنها اللبنة الأساسية فى التنظيم الاجتماعى، ودورها يتمثل فى بناء شخصيات أبنائها، كما أنها مسئولة عن تنظيم وأنماط السلوك داخل الأسرة وتشكيل الإطار الأسرى الاجتماعى، الذى يحدد سلوك أفرادها داخل الأسرة، ومن ثم السلوك العام فى المجتمع الخارجى.

لذلك كانت وما زالت الأسرة هى المرجع الأول، والأساس الاجتماعى الأول فى تشكيل وبناء شخصيات أفراد المجتمع.

ويحتوى هذا الفصل على:

المبحث الثانى عشر: الأدوار الفعالة للأسرة فى بناء شخصيات الأبناء.

المبحث الثالث عشر: الأسس الإسلامية للتربية الأسرية.

المبحث الثانى عشر

الأدوار الفعالة للأسرة فى بناء شخصيات الأبناء

من الأهميـة بمكان إيضاح دور الأسرة فى التنـمية والتنشئة الاجـتماعية السـليمة للأبناء فى مراحل العمر المختلفة، والتوجيه الذى يتم عن طريق الأسرة فى المرتبة الأولى ـ والمؤسسـات الاجتمـاعية الأخرى ـ فـى المراتب التالـية ـ حتى نهـاية مرحلة المـراهقة والدخول إلى مرحلة الرشـد حتى يكتمل بناء شخصيات الأبناء قـبل دخولهم إلى الحياة العمـلية. والهدف من ذلـك هو توجيه الآبـاء فى المجتمع الـعربى لمزيد من العـلاقات والروابط بينهم وبين أبنائهم فى أهم مراحل العمر (الطفولة والمراهقة).

وفيـما يلى أهم الأسـس التى عن طريقـها تتم الأدوار الفـعالة للأسـرة فى بناء شخصيات الآبناء وفق مراحل العمر من الرضاعة حتى نهاية مرحلة المراهقة.

مرحلة الرضاعة: (حتى سنتين من العمر)

قد يغـفل البعض الاهتـمام بهذه المرحـلة من العمـر، ولكن هناك الحاجـة الماسة للرضيـع لإشباع حاجـاته ودوافعه الفطـرية، والتى تقلل من اضـطراباته السلوكـية من مراحل العمر التالية.

فالتنشئة السـوية فى هذه المرحلة المبكرة من العمر تقوم على الإشـباعات المتعددة لاحتياجات الرضيع، حيث تكون استجابـاته الاجتماعية فى اتجاه واحد، وحيث يطلب من الأم الكثير أو ممن يقوم برعايته بل ومن يتفرغ له.

وسلوك الرضيع غير مدرك للعلاقات الاجتماعية ومحدود للغاية. وتتضمن عملية التنشـئة الاجتمـاعية فى الـعمر المبكر عـمليات الثـواب والعقاب والـتقليد، والتـوحد (التقمـص)، أو التعزيز، والانطفـاء والقابلية والقـدرة على التعاطف، وتكـوين علاقات عاطفية.

وكل هذا يحتاج من الأم والأب وباقى أفراد الأسـرة أو من يقوم برعاية الرضيع، بما يحتاجه من إتاحـة الفرص أمامه للاتصال الاجتماعى وعـدم عزله. وفى هذا ما يزيد من فهم التفاعل الاجتماعى عند الصغير. هذا بالإضافة إلى مراعاة الإيجابية فى التنشئة



الاجتماعية للطفل، بما يتفق والمعايير والقيم السائدة فى المجتمع، ويتم ذلك عن طريق إيجاد رابطة عاطفية قوية بينه وبين والديه، تتسم العلاقات فيها بالحب المتبادل والتفاعل السليم.

مرحلة الطفولة المبكرة (٢-٦ سنة)

فى هذه المرحلة يتعلم الطفل كيف يعبر عن حاجاته وكيف يعايش نفسه ويعايش العالم الذى يتفاعل معه وينمو لديه الإحساس بالثقة الذاتية والتوافق الاجتماعى، وتتسع مشاركته الاجتماعية ودائرة علاقاته وتفاعلاته الاجتماعية مع الأسرة والرفاق وخاصة ابتداء من العام الثالث من العمر.

لذلك يجب أن توفر الأسرة الجو الاجتماعى الذى يشبع حاجات الطفل إلى الرعاية والتقبل، بل من واجب الآباء الحرص على تحسين العلاقة بينهم وبين الطفل، بما يباعد بينه وبين الاضطرابات النفسية وما يزيد من مفهوم أمن الذات.

كما يحرص الآباء على تقوية الميل الاجتماعى عند الصغير، وتعليمه المعايير الاجتماعية السليمة وآداب السلوك مثل التعاون واحترام الآخرين، وتنمية الضمير الواعى القوى عند الطفل.

كما يهتم الآباء بتدريب الطفل على أدواره الاجتماعية وإكسابه عادات احترام الكبار، والدور المتبادل بينه وبينهم وتنمية الثقة بالنفس، وتشجعه على تحمل المسئولية.

ومن الأهمية بمكان أن يكون سلوك الكبار يمثل القدوة الحسنة حتى يقتدى الصغار بهم.

وفى هذه المرحلة من العمر يجب أن يحرص الآباء على عدم اتباع أساليب التربية الخاطئة، وعدم التذبذب فى معاملة الطفل، وعدم التسلط والسيطرة، وفرض النظم بالقوة على الطفل، مع الاهتمام بتنمية الضبط الذاتى والتوجيه الذاتى للسلوك، وفى هذا ما يحقق الأمن الاجتماعى للطفل.

مرحلة الطفولة الوسطى (٦-٩ سنوات)

فى هذه المرحلة يعمل الآباء على إكساب الطفل عادات تحمل المسئولية ومبادئ النظام والنظافة، وإكساب الطفل احترام الغير من الصغار والكبار، ويتم ذلك عن طريق زيادة التفاعل الاجتماعى مع الطفل حتى لا يشعر بالانفصال عن الأسرة، وحيث يمكن تنمية هذا التفاعل مع الأقارب والرفاق مع تحديد دور الطفل فى القيادة والتبعية.





إضافة إلى ذلك يجب إتاحة فرص التعرف أمام الطفل وتزويده بالخبرات الاجتماعية وتعليمه كيفية السلوك فى المواقف الاجتماعية المختلفة وفى مواقف الحياة العملية، مع إتاحة الجو النفسى الاجتماعى السليم الذى يقلل من التوتر.

ومن الأهمية بمكان فى هذا العمر، مراعاة توجيه الطفل إلى النشاط الاجتماعى والفردى، مع تمكينه من التنافس الموجه حيث يكون بين أطفال من نفس المستوى البيئى والاجتماعى، والنضج الجسمى والعقلى، حتى لا يؤدى عند تفوق الآخرين عليه إحساسه بالنقص، والذى قد يضعف من انتمائه الأسرى ويعوق علاقاته الاجتماعية.

مرحلة الطفولة المتأخرة (٩-١٢ سنة)

يراعى فى التنشئة الاجتماعية فى هذه المرحلة إيجابية الاتجاهات من أجل بناء شخصيات متماسكة من الأبناء، . . . اجتماعية ونفسية. . . بمعنى أنه لزيادة التماسك الأسرى والانتماء الاجتماعى، يجب أن نحذر من التسلط، أو ما يقابله على النقيض من الحماية الزائدة أو الإهمال أو الرفض، وما يقابله من تدليل وزيادة التصاق بالأسرة، أو ما يثير الآلام النفسية عند الصغار، أو التذبذب والتفرقة فى التعامل بين أبناء الأسرة الواحدة حيث إن فى هذا كله، من سلوك الكبار تجاه الصغار، ما يكسب الصغير الاتجاهات التى توجه سلوكه فى مستقبل حياته.



إضافة إلى ذلك يجب أن يتعلم الصغير عملية التفاعل والتعاون الاجتماعيين مع أفراد الأسرة والأصدقاء والأقارب وزملاء المدرسة، وفى هذا ما يوسع دائرة معارفه، ويعطيه الفرصة لممارسة مسئولية علاقاته الاجتماعية.

من الناحية الاجتماعية أيضا يجب أن نحرص كآباء ومربين إلى إتاحة فرص المشاركة الإيجابية من قبل الطفل لاكتساب الخبرات الاجتماعية البناءة مع الصغار والكبار، وتنمية إحساسه ومشاعره بحاجات ورغبات الآخرين وتدريبه على التوافق معهم، مع الحرص على تنمية مهاراته العقلية والنفسية والجسمية التى تمكنه من التوافق الأسرى والمدرسى والاجتماعى.

ومن ناحية الضبط الاجتماعى يجب أن نشجع الصغار على الاستقلالية ونخفف من الضغوط أو سلطة الضبط والربط، خاصة إذا شعر الآباء باستعداد الصغير إلى ضبط نفسه والتحكم فى سلوكه.

ومن أجل مزيد من التوافق الاجتماعى والروابط الأسرية والاجتماعية السليمة، يجب أن نحمى الصغار من الإهمال والرفض والقسوة والاستغلال، ونعالج أى انحراف أو شذوذ فى العلاقات الاجتماعية كالانضمام إلى الجماعات الجانحة.

هذا بالإضافة إلى أنه عند عدم توافر البيئة الاجتماعية الأسرية المناسبة، فإنه يمكن تعويض ذلك بالإمكانات المدرسية أثناء العام الدراسى والعطلات الصيفية، حيث يمكن إتاحة فرص الاستفادة أمام الصغار لاستغلال طاقاتهم ونشاطهم الاجتماعى بما يحقق لديهم - عند توافر الإشراف والتوجيه الاجتماعى السليم - الحياة الاجتماعية المستقرة الآمنة والتوافق الاجتماعى المطلوب.

مرحلة الطفولة (بصفة عامة) وإشباع الحاجات النفسية:

بصفة عامة.. إضافة إلى ما سبق ذكره.. تحتاج مرحلة الطفولة إلى إشباع متعدد للحاجات النفسية للصغار، من أجل استقرار الحياة الأسرية والانتماء الأسرى.

فالصغار فى حاجة إلى محبة الوالدين، وما يشعرهم بالإشباع العاطفى الأسرى، كما أنهم فى حاجة إلى الرعاية الوالدية والتوجيه، بما يحقق النمو السليم ويضمن أفضل مستوى من مستويات النمو الجسمى والنفسى.

وتتعدد أيضا حاجات الصغار حيث نجد أنهم فى حاجة إلى:



ـ الحرية والاستقلال والاعتماد على النفس وتحمل بعض المسئوليات التى يكلفون بها، ومن ثم تحمل المسئولية الكاملة.

ـ تعلم المعايير السلوكية تجاه الأفراد.

ـ تأكيد واحترام الذات، وفى هذا ما يؤكد أهمية انتمائه إلى المجتمع الأسرى والمدرسى والجوار والأقارب والرفاق الذين يعايشهم.

ـ اللعب.. ففى هذا ما يشبع الحاجة إلى ضرورة من ضرورات النمو فى الصغر، وخاصة إذا أتيحت للصغير فرص اللعب الموجه والترويح البناء.

وبالنسبة لموضوع ضبط السلوك عند الأبناء وتنمية طاقاتهم نحو الالتزام بالضوابط الاجتماعية وخاصة التماسك الأسرى، نوضح جانبين على صلة بهذا الموضوع هما:

أ ـ يجب الحذر عند إشباع حاجات الصغار فى مرحلة الطفولة من فرض السلطة عند إشباع هذه الحاجات حيث تختلف أنماط السلطة داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع الأصغر، فى مختلف الثقافات، فالبعض يتيح للصغار الاستقلالية منذ عمر مبكر وحرية ممارسة السلوك الذى يختاره الصغير، والبعض الآخر من الآباء والمربين يقومون بإلزام الصغار وإرغامهم على تقبل التوجيه والسلطة.

والتوسط فى معاملة الصغار من حيث فرض السلطة أو التحرر منها، أمر حيوى نحو الضوابط الأجتماعية، واحترام السلطة داخل الأسرة، ومن ثم داخل المجتمع الأكبر.

ب ـ يجب معاونة الصغار على اكتساب شعور الانتماء إلى الجماعة التى يعيشون بينها. فالفرض من قبل الكبار والإذعان للسلطة من قبل الكبار، دون مناقشة من الصغار والقهر والعقاب، كل هذا يفقد الصغار الإحساس بالأمن والطمأنينة.

والطفل فى حاجة إلى الشعور بالأمن، ففى هذا أهمية كبرى على سوية سلوكه وشعور الطفل بالأمن والانتماء، داخل الأسرة أو خارجها، حيث يتم ذلك عن طريق إشباع الحاجات التى يشعر عن طريقها الصغير بالارتياح وعدم الخوف أو الشعور بالتهديد الخارجى، مما قد ينجم عنه أساليب سلوكية غير مرغوب فيها.



مرحلة البلوغ والمراهقة المبكرة (١٢ - ١٤ سنة)

فى هذه المرحلة الحاسمة من العمر، يمكن توجيه العناية بالتربية الاجتماعية داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع الأكبر، واتباع أساليب التوجيه والإرشاد النفسى، فى معاونة المراهق على تخطى الاضطرابات التى تحدث خلال هذه المرحلة من العمر.

كما يتم الاهتمام بإكساب المراهق القيم الخلقية والمعايير السلوكية المتوافقة مع المجتمع، وتشجيعه على التعاون والاستجابة لروح الجماعة داخل الأسرة والمدرسة والمنظمات الاجتماعية الأخرى.

إضافة إلى ذلك يمكن أن نترك للمراهق حرية التحكم فى تصرفاته والتحرر والاستقلال، فيمكن توجيهه إلى الاختيار السليم، لرفاقه وأصدقائه ومراقبة سلوك الجماعات التى ينتمى إليها، وحتى لا ينحرف سلوكه، ومناقشته عند إبداء آرائه مع تجنب توجيه اللوم والتعنيف، واللامبالاة فيما يبديه من ملاحظات أو آراء حول أمور حياته حتى يمكن كسب ثقته.

المراهقة الوسطى (١٥ - ١٧):

يعنينا فى هذه المرحلة تنمية ميل المراهق إلى فهم الآخرين ومساعدته وتدريبه على القيادة، وإتاحة فرص زيادة تقبله للمسئولية الاجتماعية وإشعاره بالانتماء الأسرى الكامل، ومن ثم إشعاره بالمواطنة والمكانة الاجتماعية والثقة بالنفس.

ومن أجل معاونة المراهق على النمو السوى للذات، والتوحد مع الجماعة التى يعيش فيها. . ومفهوم الذات لديه، يمكن أن يتم ذلك عن طريق العلاقات الأسرية والمدرسية القوية المثمرة المستمرة والتى تتميز بالفهم المتبادل بين المراهق ومن يتعاملون معه.

المراهقة المتأخرة (١٨ - ٢١سنة):

عندما يقترب المراهق من الرشد، وفى هذه المرحلة بالذات على الآباء والمربين ضرورة مراعاة النمو، والتوافق الاجتماعى، والذى يقوم على التخفف من ممارسات الضبط والتنظيم والسلطة مع المراهق.

هذا مع العمل على تقليل الفجوة بين جيل الآباء وجيل الأبناء، ومعاونة المراهق على فهم ذاته وتنمية القيم السائدة الصالحة فى المجتمع لتوثيق الصلة بالمجتمع الذى



يعيش فيه، حتى يمكن إعداده لتحمل المسئولية الاجتماعية واحترام الضبط والتنظيم والسلطة فى المجتمع والقيام بأعبائه ومسئولياته فى بناء المجتمع.

ومن المسئوليات المتعددة التى يمكن إعطاؤها للمراهق:

- حرية التصرف والسعى نحو الاستقلال.

- الاحترام المتبادل والثقة بالوالدين.

- حق تعزيز ذاته وإيجابية مفهوم الذات.

وبالنسبة للحاجات النفسية بصفة عامة فى فترة المراهقة، يعنينا أن نولى الاهتمام الأكبر بالحاجة إلى الأمن والشعور بالأمن الداخلى، والشعور بالانتماء الأسرى والحياة الأسرية الآمنة المستقرة، والشعور بالحماية ضد العوائق والأخطار والحرمان العاطفى الأسرى، والشعور بالاستقلال والاعتماد على النفس.

هذا، وإن إشباع الحاجات النفسية التى ذكرنا بعضها خلال فترة المراهقة تحقق الضبط النفسى والأمن النفسى، وتقلل من انحرافات المراهقين وتهيئ للمراهقين توافقا سليما فى حياتهم الاجتماعية.



المبحث الثالث عشر

الأسس الإسلامية للتربية الأسرية

من المهام الرئيسة للتربية الإسلامية بناء وتكوين الشخصية المسلمة، من خلال بناء البيت المسلم، حيث ينمو الناشئة من خلال تعلم سلوك الآباء، الطرق الشرعية لتكوين الأسرة والزواج، ومن خلال الالتزام بشرائع الزواج وبواجباته والتزاماته ومسئولياته، ومن خلال مراعاة اختيار الزوج والزوجة ليكون كل منهما صالحا وأهلا للزوجية، وليكون الزوج صالحا للأبوة والزوجة صالحة للأمومة خلقا وروحا وعقلا وعلما وصحة. إذ من أصلابهما ومن دمائهما يجيء الطفل ومعه مورثات واستعدادات، ومنهما تتكون بيئة الأسرة التى يجد فيها الطفل عالمه ومقومات عقيدته وسلوكه وشخصيته، فلا يقع سمعه أول ما يقع إلا على ما يصدر منهما، ولا يشاهد أول ما يشاهد إلا صورتهما، ولا يستقى أول ما يستقى من قيم واتجاهات إلا من معين روحهما وفكرهما، وقديما قال بعض السلف: (لولا المربى ما عرفت ربى)، ولهذا حث الإسلام على حسن اختيار المرء لزوجته لأن الولد فرع لها، وللفرع حكم الأصل، وبأصله يطيب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١).

كما يحث على أن يأكل المسلم من الحلال، ويطعم زوجته من الحلال أيضا، لأن النطفة تنشأ من الدم والدم من الغذاء، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، وهناك من يعمل عمل أهل النار، ولا تربية حينئذ تفلح ولا تهذيب ينفع، ولما كان اسم المرء له إيحاءاته وأثره على دينه وسلوكه وخلقه، فقد حرص الرسول ﷺ أن يتسمى أبناء المسلمين بأسماء جميلة ومعبرة عن عقائد الإسلام وقيمه، فكان عليه السلام يغير الاسم القبيح.

الإسلام وتنمية الصحة النفسية للأبناء:

يهتم الإسلام بتهيئة الجو الصحى لنفسية الطفل، لينشأ عضوا صالحا قويا وشخصية سليمة خالية من العقد النفسية والحقد والكراهية، يحب الخير لكل الناس،



فمـا وضع من شرائع وعـلاقات الزوجيـة والأبوة والأمومة يـحقق هذا المناخ الـصحى النفسى، من ذلك:

١ ـ سلامة المناخ العائلى من الخصومات المستمرة بين الأبوين:

فإن الخصومات المستمرة بين الأبوين تؤثر تأثيرا كبيرا فى نفسية الطفل، فإذا أحس أحد الوالدين أو كلاهما بأن الحياة الزوجية أصبحت لا تطاق لأى سبب من الأسباب، فهذا الشعور يؤدى إلـى السخط والضيق من الحياة المنزلية، الذى يـمنع من إضفاء حنان الأبوة أو الأمومة وعـواطفها على جو البـيت. عندئذ لا يجد الأبناء حبـا ولا عطفا بل يشعرون بالنبذ والإهـمال والسخط، فيتكون لديهم شعور بالحـرمان من عاطفة الأبوة أو الأمومة، وهذا الشعور قد يتسبب فى الاضطرابات النفسية التى تنشأ عنها الشخصية غير السوية.

٢ ـ تحقيق الحاجات النفسية الأساسية للأبناء:

ومن أهم هذه الحـاجات.. الشعـور بالأمن.. الذى يتمـثله الأبناء فى العـاطفة الدائبة من قبل الآباء واسـتقرار تعاملهم مع الأبناء. وفى حال عدم تحـقيق هذه العاطفة واستـشعـارها من قبـل الأبناء، تحدث الانـحرافات فـى المجتمـع، وسوء التـوافق مع الآخرين، وعدم الـتعاون أو تقديم الخـدمات والتضحيـات. وقد ينمو الأبناء ويـفقدون الرحمة مع أبنائهم فيما بعد، وقد لا يحسنون معاشرة زوجاتهم، وقد يسيئون لجيرانهم، وقد لا يصـبحون مواطنين صـالحين يؤدون أعمالـهم بأمانة وإخلاص. ولقـد ضرب لنا رسول الله ﷺ مـثلا على محبـة الأطفال ورحمتـهم والصبر على مـداعبتهم فـقد كان رسول الـله ﷺ يأخذ أسـامة بن زيد فـيقعـده على فخـذه ويقعد الحـسن على فـخذه الأخرى، ثم يضمهما ويقول: «**اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما**».

وقال أبو هريـرة رضى الله عنه: أن رسول الـله ﷺ قبَّل الحسن بـن على وعنده الأقرع بن حابس التـميمى جالسا فقـال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قـبَّلت منهم أحد فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يرحم لا يرحم**».

وعن عائشـة رضى الله عنهـا قالت: جاء أعرابى إلـى النبى ﷺ فقال: تـقبِّلون الصبـيان؟ فما نقـبلهم، فقـال النبى ﷺ: «**أو أمـلك لـك أن نـزع الله الـرحـمـة مـن قلبك**»(صحيح البخارى).

وقد روى البخـارى فى صحيحه بسنـده قال: حدث أبو قتاده قال: خـرج علينا



النبى ﷺ، وأمامة بنت أبى العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها.

وهذه الأحاديث النبوية نستقى منها ما يأتى:

١ ـ تعنيف الرسول ﷺ لكل أبوين لا يقبِّلان أولادهما ولا يرحمانهم ولا يعطفان عليهم، وقد اتهمهم رسول الله ﷺ بانتزاع الرحمة من قلوبهم، كما هددهم بأن لا يرحمهم الله يوم القيامة (من لا يرحم لا يرحم).

٢ ـ وأن الرسول ﷺ لم يفرق فى ذلك بين الذكور والإناث.

٣ ـ وأن الرسول ﷺ لم يكن يفرق بين أسامة بن زيد وحفيده من صلبه (الحسن ابن على) وكان يضع كل واحد منهما على أحد فخذيه ويضمهما، وهذا يشمل الأيتام، والذين مرضت أمهاتهم أو غاب آباؤهم فى الجهاد أو السفر وأبناء الزوج وأبناء الزوجة إذ يجب العدل فى الحب والمعاملة وهذا واجب إنسانى قبل أى شىء آخر.

ومن المؤسف أن نجد زوجة الأب كثيرا ما تقسو على أبناء زوجها، بل تحاول بث الكراهية مع الأب فى أبنائه، وكذلك بالنسبة لزوج الأم، وهذه من أعقد المشاكل الاجتماعية التى تعانى منها كل المجتمعات. ولا حل لهذه المشكلة إلا بإصلاح النفس الإنسانية وتقويمها عن طريق تربيتها تربية سوية إسلامية، مما لايحدث خللا فى توازن النفس الإنسانية فتنمى فيها الحب والخير وتجعلهما يغلبان على نوازع الحقد والشر فى النفس البشرية.

التربية الإسلامية الأسرية ودور الأم:

إن العطف على الأبناء لا يقتصر على الرضَّع، بل يشمل من هو هم أكبر، أى يشمل الناشئة من الأبناء، لأن حاجتهم إلى العطف لا تقتصر على سن معينة من طفولتهم، بل تشمل معظم مراحل الطفولة والمراهقة. وقد أيدت التجارب العلمية هذا المبدأ التربوى، فقد ثبت أن الطفل الرضيع لا ينمو على الغذاء فحسب، بل على عطف الأم الذى لا يقل أهمية عن الغذاء، بل هو أهم منه فى تربية شخصية الناشئ، وإن قوام الأسرة هو الحب المتبادل، حتى إذا شب الطفل استطاع نقل هذا الحب معه إلى خارج الأسرة إلى المجتمع الإسلامى، فيتراحم المسلمون ويتحاب المجتمع، ولهذا نجد الإسلام حرص بصورة خاصة على بقاء المرأة فى بيتها، فكان قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾



(الأحزاب:٣٣)، فالأم العاملة تكـون خارج بيتها ساعات طويلة، فـى حين يكون أبناؤها فى حاجة إلى وجودها إلى جانبهم حتى ولو كانوا فى دور الرضاعة، فلا المرضعات ولا دور الحضانة تغنيان عـن الأم الحقيقية، فالطفل المولود الذى لم يكـتمل عنده نمو حواسه بعد أسابيع، والذى لا يـستطيع التمييز نجده يمـيز أمه عن غيرها من نبضـات قلبها. ما أعظم الخالق إذ جعل هذا المخلوق الضعيف الذى لا يدرك شيئا فى هذه الدنيا بهذه الدقة المتناهية فى التمييز، فنحن الكبـار الراشدون الذين نمت عندنا كل الحواس واكتملت هل نستطيع أن نتعرف على الأشخاص بنبضات قـلوبهم؟؟ إن العلم الحديث بأجهزته الدقيقة الحساسة. . . . هل تستطيع أجهزته أن تقول لك هذا فلان عندما تحس نبضات قلبه؟؟؟.

ومن الخطأ أن تترك الأمهات الأطفال الرضع أو غـير الرضع للمرضات والمربيات ودور الحضانة، من أجل العمل التكسبى ما لم تكن هناك ضرورة اقتصادية ملحة، ومن الخطأ بل من عدم الرحمة بالأبناء أن تخرج الأمهات للزيارات وحضور الحفلات والسهر حتى وقـت متأخر، ويتـركن أطفالهن الـرضع يبكون وينامـون وهم يشعرون بالحـرمان وفقدان الحنان.

إن مجرد وضع الأم يدها على مولودها أو ضمه إلى صدرها يشعر المولود بالأمان والاطمئنان. كما أن أبناء هـذا الجيل يختلفون عن أبناء الأجيال السابقـة، فهم يتصفون بالعصبيـة، وكثير منهم لافتقارهم الحـنان الأبوى يمرضون بأمراض نفسيـة ويتأففون من آبائهم وأمهـاتهم ويرفعون أصواتهـم عليهم، وكل هذا ناتج من أخطاء تـربوية ارتكبت وهم فى المهد كحرمـان الطفل من رعاية الأم، وشعوره بأنه غير مرغـوب فيه أو منبوذ، أو أنه ليس مهمًا بالنسبة للأم،وعدم تحقيق رغـباته،والتهديد المستمر بالطرد من البيت أو عقابه للأمور التافهة مما يسبب. . . .

بعض الحالات المرضية التى نجدها عند بعض الأطفال مثل الثورة والعناد والعدوان والخروج على النظام.

ولكن للـحب والحنان والعطف الأبـوى حدود، إذ يجب الاتزان فى هـذا العطاء وعدم الإفراط فيه لدرجـة تجعل الأباء يتساهلون ويصفحون، ولا يعـاقبون الأبناء عندما يجب العقاب. فهذا الإسراف والتدليل يؤديان إلى عدم النضج الانفعالى للأبناء، وعدم أخذ الأمور بجدية، وتحملهم نتائج الفشل فى الحياة، لأنهم ينتظرون من الغير أن يكونوا كالوالدين فى الصفح وعدم العقاب والحساب.



الفصل الخامس

المشكلات والمعوقات التى تواجه الأسرة فى المجتمع المعاصر

تمهيد:

تواجه الأسرة فى المجتمع المعاصر مشكلات ومعوقات وتحديات عديدة، من جراء تعقد الحياة المعاصرة، ومواجهة متطلبات واحتياجات لم تكن موجودة من قبل.

والواقع الاجتماعى فى أى مجتمع من المجتمعات، أساسه البناء الأسرى، فالأسرة هى الخلية الاجتماعية الأولى التى يتكون من مجموعها المجتمع الأكبر. وتقصير الآباء تجاه الأبناء من شأنه، تنمية أفراد غير متراحمين مع الآباء وغير متوافقين مع بعضهم، وقد يمتد الخلاف والشقاق بينهم عند رحيل الآباء،و من شأن هذا سوء التكيف وبعد الشقة بين الأشقاء.

وليس من أسرة إلا ولها مشكلات ومعوقات تواجهها، والأمر مختلف، فبعض الأسر تواجه هذه المشكلات والتحديات بتماسك وقلوب مليئة بالإيمان، وتبحث عن وسائل وسبل للتغلب على صعاب الحياة. وعلى طرف آخر هناك الأسرة التى يتصارع أفرادها فلا يوقر الصغير الكبير، ويبطش الكبير بالصغير، ويتنازع الجميع، وربما تكون المشكلات والمعوقات ليست بالكم أو الكيف الذى يجعل من أصحابها ضعافا أمام التحديات التى يمكن التغلب عليها بالتبصر وبالتمسك بالعقيدة الصحيحة، والوقوف بقوة وتراحم وتآلف وترابط، وتماسك للعلاقات الأسرية فى مساراتها الصحيحة، وبذل حقوق كل فرد تجاه الآخر، فلا قصور ولا عقوق، وإيضاح للتربية الإسلامية الصحيحة، وإنماء وتزكية للجوانب الروحية بين أفراد الأسرة لتزكية العقيدة الصحيحة، وتنمية التمسك بالشرع الحنيف قولا وعملا وسلوكا فى كل مواقف الحياة، ومن ثم تصبح الخلية الأولى فى المجتمع متماسكة بين أعضائها، وفى هذا ما يحقق تماسك الأفراد وتوافقهم فى الحياة الأسرية داخل الأسرة وفى المجتمع.

وفى هذا الفصل، نعرض ما يأتى:

المبحث الرابع عشر: المشكلات الخاصة بالعلاقات الأسرية.

المبحث الخامس عشر: المشكلات الخاصة بالاضطرابات والاختلالات السلوكية داخل الأسرة فى المجتمع المعاصر

المبحث السادس عشر: انتحار الأطفال والأسرة

المبحث السابع عشر: المشكلات الخاصة بالاختلالات الخلقية بين الأبناء داخل الأسرة.

المبحث الثامن عشر: الزوجة (الأم) العاملة وآثار العمل على العلاقات الأسرية.

المبحث التاسع عشر: المسنون ومشكلات الشيخوخة مع الأسرة فى المجتمع المعاصر.

المبحث العشرون: بدائل الأمهات والمربيات والآثار على الحياة الأسرية.

المبحث الرابع عشر

المشكلات الخاصة بالعلاقات الأسرية

تتأثر العلاقات الأسرية بعوامل مختلفة تكون لها آثار إيجابية أو سلبية فى الوسط الأسرى، بل تكون هذه العوامل سببا فى خلق وإيجاد العديد من المشكلات والمعوقات والتحديات ذات الأثر الهام فى الحياة الأسرية.

ومن هذه العوامل ما يأتى:

١ ـ حجم الأسرة (عدد أفراد الأسرة).

٢ ـ الجنس.

٣ ـ المستوى الاقتصادى.

٤ ـ المستوى الثقافى.

٥ ـ التحضر والتمدن.

٦ ـ الأعمار الزمنية لأفراد الأسرة.

٧ ـ الوضع المهنى والوظيفى.

وفيما يلى إيضاح ما يتعلق بهذه العوامل:

حجم الأسرة (عدد أفراد الأسرة):

المعروف أنه كلما زاد عدد أفراد الأسرة، زادت درجة تعقيد العلاقات الأسرية. بل أدى ذلك إلى تفارق وعدم تقارب، وخاصة عند ارتفاع عدد أفراد الأسرة إلى ثمانية أو أكثر. وفى العادة عند وجود الأبناء الذكور بعدد أكبر من عدد الإناث تكثر المشاكل وتتعقد العلاقات الأسرية بين الأبناء وبعضهم البعض، وبينهم وبين آبائهم وبينهم وبين شقيقاتهم من الإناث. كما أن بدائل الآباء أو الأمهات فى حال غياب الأب أو الأم، له أثره فى العلاقات الأسرية؛ فالأسرة المكونة من زوج وزوجة، فقط تختلف العلاقات فيها بين كل من الزوجين، فإما أن يكون التطابق الأسرى متكاملا أو منعدما فى حال عدم الوفاق الزواجى. وهذه الأسرة تختلف عن الأسرة المكونة من أب وأم وابن وحيد أو



عدة أبناء ذكور مع أنثى واحدة، أو ابن ذكر مع إناث، وهـذه التراكيب الأسرية المختلفة من شأنها إيجاد علاقات متشابكة تختلف من أسرة إلى أخرى، فالعلاقات المتبادلة بين الأب والأم، وعلاقة الأب من ناحية الأبناء الذكور والبنات، وعلاقة الأم مع أبنائها الذكور أيضا وبناتها، والعلاقة المتبادلة بين الذكور من الأبناء مع بعضهم البعض ومع الإناث، وعلاقة الأبناء ذكورا وإناثا مع الأبناء، كل هذه العلاقات المتبادلة تزداد تعقيدا فى حالة زيادة عدد أفراد الأسرة الواحدة وخاصة بين سكان المدن، وحيث يختلف الوضع أيضا فى مجتمعات البادية أو المجتمعات الريفية أو الصناعية أو الصحراوية.

وقد أظهرت نتائج دراسات معينة، أنه حال زيادة عدد الأفراد داخل الأسرة الواحدة، يقل التطابق الأسرى وتضعف العلاقات الأسرية بينما يزداد التطابق الأسرى عندما يقل عدد الأفراد داخل الأسرة الواحدة، حيث يكون الوئام والترابط والتماسك أكثر من التفكك وعدم التماسك الأسرى.

وتشير البحوث إلى أنه بكبر حجم الأسرة وزيادة فارق العمر بين الوالدين وقلة الفاصل الزمنى بين الإخوة ينخفض الذكاء لدى الأطفال ومع زيادة حجم الأسرة وكبر عمر الوالد ينخفض مفهوم الذات لدى الابن ومع زيادة حجم الأسرة يرتفع مستوى الخوف لدى الطفل وكذا الغيرة، وعموما فإن تراوح حجم الأسرة بين ٤ إلى ٥ أفراد يكون معه أفضل تكوين نفسى للطفل على اعتبار أن حجم الأسرة هو الأب والأم والإخوة والأخوات.

الجنس ودوره فى العلاقات الأسرية:

فى حال تفوق عدد الذكور عن الإناث أو العكس، يوجد اختلاف العلاقات الأسرية داخل الأسرة الواحدة. وما زال فى مجتمعاتنا العربية سيطرة الذكور على الإناث داخل الأسرة الواحدة، وقد تكون هذه السيطرة بقصد التوجيه والتنظيم والضبط، وقد تكون على العكس من ذلك فيها استبداد أو تسلط وتقييد للحرية. وفى الوضع الأخير كثيرًا ما يوجد تفكك أسرى وعدم تماسك اجتماعى بين أفراد الأسرة الواحدة.

هذا بالإضافة إلى أن الأبناء من الذكور فى مجتمعاتنا العربية فى العواصم العربية تتاح لهم فرص أكبر من حيث:

أ ـ حرية التعبير عن مشاعرهم.

ب ـ استقلالية أكثر داخل الحياة الأسرية.

ج ـ علاقات أكثر اتساعا مع رفاقهم خارج الأسرة.



كل هذا بدوره يـؤثر على طبـيعة الحـياة الأسرية، وعـلى عدم التطـابق الأسرى خاصة بين الأبناء الذكور وأبنائهم من جهـة، وبينهم وبين شقيقاتهم من الإناث، ممن لا تتاح لهن نفس الظروف المعيـشية فى مجتمعاتنا العربية، حيـث الالتزام والضبط وفقا لما تحدده الشريعة الإسلامـية السمحة من الحجاب وعدم الخروج إلا بصـحبة محرم، وعدم الاختلاط إلا مع محارم فـقط، وغير هذا من حدود الشريعة الإسلاميـة فى التعامل مع النساء.

وكلما توافرت الظروف الاقـتصادية المناسبة من مسكن وملـبس وإمكانيات مادية مناسبة، ضيق ذلك فى أعم الأحوال من الخلافات الأسرية، وزاد من الروابط والعلاقات الأسرية وخاصة إذا كـان الإنفاق المادى داخل الأسرة غير مقيـد، أو لم يكن هناك إيثار لبعض الأبناء على البعض الآخر.

وليســت هذه قاعدة عـامة، فقد يـكون ارتفاع المسـتوى الاقتصـادى وزيادة دخل الأسرة عاملا من عوامل تفكك العلاقـات بين أبناء الأسرة الواحدة، خاصة إذا لم يدرك الأبناء ترشيـد الإنفاق واستغلال الموارد الماليـة فيما يعم بالنفع علـى أفراد الأسرة. وقد يتـرتب عن ذلك انفـصالـية بين الأبـناء، وعدم توافـق أسرى بل خـلل فى العـلاقات والروابط الأسريـة. والعكس من ذلك أنه كلمـا كان المستـوى الاقتصادى غيـر مناسب للأسـرة ـ حتى عنـد صغر حـجم الأسرة ـ عـوق ذلك من إشـباع احتـياجـات الأفراد وتعارض إشباع الحاجات الأساسية بصفة خاصة مع الإمكانات المادية، وفى هذا ما يوجد عدم اسـتقرار نفـسى داخل الأسرة الواحـدة، بل قد يؤدى ذلك إلـى تنافر وانحـرافات سلوكية داخل الأسرة وخارج البيئة الأسرية.

المستوى الثقافى للأسرة:

والملاحظ عـلى كثيـر من الأبناء من المـراهقين بل والأطفـال إبداء الميل والرغـبة المتزايدة نحو الثقافة الغربية وبالذات الأمريكية فى ظل انحسار الهوية الذى نعانى منه مع تيار الـتغريب، وأصـبحنا نسـمع عن جمـاعات «عبـدة الشيطان» و«إدمـان المخدرات» وغيرها.

وتؤثر على العلاقـات الأسرية بين أفراد الأسرة الواحدة، الـبيئة الثقافيـة، فكلما ارتفع المستوى الثقافى وزاد الوعـى والإدراك بين أفراد الأسرة الواحدة، زادت العلاقات الأسرية تعقيدا، فحيـث تبتعد الأمية وتزداد المعرفة ويرتفع مستوى الـتعليم والثقافة بين أفراد الأسـرة الواحدة، وتتوافـر الإمكانات الثقـافية من مـواد إعلاميـة داخل الأسرة أو



خارجها (كتب، جرائد، مجلات، إذاعة، تليفزيون، مكتبات عامة، نواد)، فإن توافر هذه الإمكانات الثقافية يعمل على إيجاد وسط ثقافى متميز، وخاصة فى المدن والعواصم الكبرى، وكل هذا من شأنه أن يؤثر على العلاقات الأسرية فى مسارها السوى أو اللا سوى بين أفراد الأسرة الواحدة.

وعادة كلما ارتفع المستوى التعليمى والثقافى بين أبناء الأسرة وخاصة عندما يتعامل الآباء مع أبنائهم بطريقة تسامحية، ويتناقشون معهم فى أمور حياتهم، وما قد يتبع ذلك من التمسك بالرأى من قبل الأبناء، وخاصة المراهقين والمراهقات، وصعوبة الإقناع فى المسائل والشئون الأسرية والعلاقات الأسرية الداخلية والعلاقات الخارجية، مع الأقران والأقارب والجيران ومجتمع الحى ومجتمع المدينة، كل هذا من شأنه أن يقلل من التطابق الأسرى ويزيد العلاقات الأسرية تعقيدا وتشابكا.

هذا بالإضافة إلى أنه عند توافر البيئة الثقافية المناسبة ووجود التسلط من الآباء على الأبناء. ما قد يترتب عنه الفرقة والتباعد والتنافر بين الآباء والأبناء، وما يزيد من المشاكل الأسرية. ويُفتت العلاقات الأسرية السليمة، وفى هذا ما ينطرح على سوء التوافق وعدم التكيف فى العلاقات الاجتماعية الخارجية عند تعامل الآباء أو الأبناء مع أفراد المجتمع الخارجى.

هذان العاملان المشار إليهما من قبل وهما العامل الاقتصادى والعامل الثقافى لهما أثرهما الواضح من ناحية حجم الأسرة والعلاقات الأسرية المتبادلة بين أعضاء الأسرة الواحدة، ولعل فى هذا ما يشير إلى أن المستوى الاقتصادى والمستوى الثقافى، لهما أثرهما على العلاقات الأسرية.

التحضر والتمدن وأثره على الأسرة:

من المعروف أن مجتمع المدينة تختلف العلاقات والروابط الأسرية فيه عن مجتمع القرية أو البادية، حيث إن مجتمع المدينة مجتمع مفتوح تتوافر فيه الإمكانيات المادية والثقافية والحضارية والاجتماعية، مما يعقد العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة وبينهم وبين أفراد مجتمع المدينة. وعادة ما يكون مجتمع القرية محدودا مغلقا تتوحد فيه العلاقات لحد ما، ويحدث عادة التماسك الأسرى بدرجة أكبر، وتتقارب الاتجاهات والقيم والمعايير ويزداد تماسك الأفراد بالقيم الخلقية والروابط الأسرية ويرتفع مستوى دافعية الإنجاز لدى أطفال القرية، مما هو عليه الحال فى مجتمع المدينة والحضر،



بمعنى أن التماسك الأسرى فى مجتمع المدينة عادة ما يكون أقل فى كمه وكيفه عن التماسك الأسرى فى مجتمع القرية.

هذا بالإضافة إلى أن مجتمع الحضر ومجتمع البادية فى عصرنا الحاضر يتسمان بعدم التقاء بين تكيف جيل الماضى من الإمكانيات الحاضرة، وجيل الحاضر الذى لم يواجه نفس الظروف التى واجهها جيل الآباء، مما يباعد بين اتجاهات الأبناء، وما يترتب عن ذلك من تماسك أو تفرق أسرى. وأشارت نتائج المسح الديموجرافى الصحى فى مصر الذى يرعاه المجلس الدولى للسكان حتى عام ١٩٩٩ أن ٢٣,٢٪ من المتزوجات فى سن أقل من ٢٠ سنة تسربن من التعليم بالريف وإن ٣٩٪ يتزوجن من أقاربهن.

الأعمار الزمنية لأفراد الأسرة:

عندما يكون عدد الأفراد فى الأسرة الواحدة دون العشرين من مجموع الأفراد داخل الأسرة، فإن هذه السن (دون العشرين) تمثل ذروة عدم التوافق الأسرى فى العلاقات.. حيث يكون الأبناء من الذكور والإناث دون العشرين (فترة المراهقة) فى صراع نفسى دائب نتيجة للاضطرابات النفسية والجسمية والجنسية والعقلية، وتعارض الكثير من إشباع الحاجات الأساسية فى هذا العمر، مع عدم توافر الإمكانيات الأسرية أو الاجتماعية أو الاقتصادية المناسبة. ونتيجة لعدم توافر التوافق النفسى بين الأبناء فى محيط علاقاتهم الأسرية، ينخفض معدل التطابق الأسرى لوجود العديد من المشاكل ووجود الفوارق الفكرية بين جيل الآباء وجيل الأبناء.

وعلى طرف آخر نجد أنه عندما يزداد عدد الكبار فى الأسرة الواحدة، وهذا العدد من الأفراد يمثل نمط الجيل القديم من أبناء الأمة العربية. والظروف التى عاشها هذا الجيل فى الماضى، والنهضة الحاضرة التى يعيشونها تجعل تكيفهم مع الواقع الحاضر أمرا ليس بالسهل، بل إن الكثير من أبناء الجيل الماضى من الآباء، يحاولون قدر المستطاع دفع أبنائهم على التمسك بالمبادئ والقيم التى عايشوها من قبل، والتى قد لا تتفق وتطلعات الأبناء الذين يعاصرون إمكانيات حضارية متقدمة للغاية، تجعل تقبلهم لمحاولات الآباء من الأمور المستحيلة. ويكون أفضل تكوين نفسى للأطفال، وخاصة حينا تكون أعمارهم فيما بين ٨ ـ ١٢ سنة عندما يكون عمر الأب يتراوح بين ٤١ ـ ٤٦ سنة وعمر الأم يتراوح بين ٣٦ ـ ٤٣ سنة والفرق بين عمر الوالدين يتراوح بين ٥ ـ ٧ سنوات أى أن هؤلاء الأطفال يكون مولدهم مع أب عمره ٣٦ سنة وأم عمرها ٢٨ سنة تقريبا. مع العلم بأن ٢٨٪ من السيدات يتزوجن فى عمر أقل من ٢٠ سنة.





الوضع المهنى والوظيفى فى الأسرة:

تتنوع المكانة الاجتماعية والمستوى الثقافى فى المجموع العام للأسر فى المجتمع المعاصر، وتتأثر العلاقات الأسرية بالظروف الاجتماعية والثقافية أى البيئة الاجتماعية والثقافية، وكلما كانت البيئة الاجتماعية والثقافية فى الأسرة مناسبة، أدى ذلك إلى تقارب وتماسك العلاقات بين أفراد الأسرة. وعادة عند استطلاع الرأى حول الوضع المهنى أو الوظيفى لرب الأسرة أو الأم العاملة نجد عدم رغبة البعض فى مجتمعاتنا العربية ذكر المهنة باعتبارها من خصوصيات الفرد، فهى فى نظره قد لا تمثل المستوى المناسب، وبالتالى يخجل من ذكرها، أو أنه من الناحية الاجتماعية قد يجد غضاضة فى الإفصاح عنها هذه ظاهرة شائعة فى مجتمعاتنا العربية، أو أنه يخاف الإفصاح عن المهنة متصورا بأن فى هذا ما قد يورطه أو يوقعه فى مشاكل، أو يخاف عند ذكر المهنة - إذا كانت من المهن - ما يجلب الحسد له ولأسرته، ومثل هذه المعتقدات والأفكار مازالت قائمة حتى عند المثقفين، بل إن مثل هذه المعتقدات والأفكار ما زالت من سمات سلوك البعض فى مجتمعنا العربى،وخاصة عندما يفتقد الفرد تقييم ذاته.

هذا، وتجد الإشارة فى هذا الصدد إلى أن المكانة الاجتماعية والأدوار التى يمثلها الآباء والأبناء فى الحياة وأعباء المسئوليات فى العمل والوسط الاجتماعى المميز لرب الأسرة وبين الأقارب والجوار، كل هذا ما يؤثر بدوره على العلاقات الأسرية إما بالإيجاب أو بالسلب فى العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة الواحدة.

هذه العوامل هى التى تؤثر على العلاقات الأسرية، والتى يجب أن نضعها موضع الاعتبار فى دراسات قادمة عن الأسرة فى المجتمع العربى.



المبحث الخامس عشر

المشكلات الخاصة بالاضطرابات والاختلالات السلوكية داخل الأسرة فى المجتمع المعاصر

تتسم الحياة الأسرية بحدة المشكلات التى تواجه.. الأبناء خاصة، وباقى أفراد الأسرة، نتيجة للرهافة والحساسية وعدم الضبط الانفعالى، وقلة الخبرة لمواجهة مواقف الحياة، والنظرة الذاتية والتسلطية من قبل الآباء فى الحكم على تصرفات وسلوك الأبناء، والذى قد لا يتوافق ورغبات الآباء فى التنشئة الصالحة والمتوافقة للأبناء.

لذلك هناك مسئولية الآباء والمربين فى تهيئة المناخ المناسب فى البيئة الأسرية والمدرسية والمجتمع للحد والتقليل - ما أمكن من المشكلات التى تكون سببا وراء الاضطرابات والاختلالات التى تواجه الأبناء فى الحياة الأسرية المتوافقة، والتى تساعد الأبناء على تجاوز هذه المشكلات. وتنحصر المشكلات الخاصة داخل الأسرة فيما يلى:

١ - المشكلات الأسرية.

٢ - المشكلات التعليمية.

٣ - المشكلات الاجتماعية.

وفيما يلى الإيضاحات الخاصة بهذه المشكلات:

مدخل:

تتسم مرحلة المراهقة، والشباب بصفة خاصة، ومرحلة الطفولة وخاصة مرحلة الطفولة المتأخرة قبل البلوغ، بحدة المشكلات التى تواجه الأبناء داخل الأسرة، نتيجة للرهافة والحساسية وعدم الضبط الانفعالى، وقلة الخبرة لمواجهة مواقف الحياة، والنظرة الذاتية فى الحكم على ما يواجه الأبناء من مواقف تتناقض مع قيم المجتمع، الأمر الذى تبدو معه أهمية مسئولية الآباء والمربين فى تهيئة المناخ المناسب فى تهيئة البيئة الأسرية والمدرسية والمجتمع، للحد والتقليل - ما أمكن - من المشكلات التى تواجه الشباب ومساعدتهم على تجاوزها.



وفيما يلى أهم التحديات والمشكلات التى تواجه الأبناء فى المجتمع المعاصر، والتى يتمثل قدر كبير منها فى بلادنا العربية والإسلامية.

المشكلات الأسرية:

يواجه الأبناء أنماطا متعددة من المشكلات الأسرية، قد تكون فوق طاقاتهم فى مواجهتها، وقد يترتب عنها اضطرابات نفسية حادة أو تمزق فى الروابط بين الأبناء والآباء.

ومرجع هذه المشكلات أسباب عديدة منها:

١ ـ ضعف الروابط الأسرية نتيجة التفكك الأسرى الناجم عن الهجر بين الزوجين، أو الطلاق أو تعدد الزوجات وإيثار بعض الأبناء على الآخرين، أو الوفاة أو الخلافات المستمرة بين الوالدين.

٢ ـ التسلط الأبوى أو التراخى فى التعامل، وحيث ينجم عن ذلك سوء التربية وضعف التنشئة الاجتماعية. فقد يكون هناك الحرمان من الرعاية الأبوية تجاه الأبناء، أو التقصير فى إشباع الحاجات الأساسية، أو الإفراط فى التدليل والإفساد وما يتبع ذلك من الاتكالية التى يتصف بها الأبناء، أو التسلط والقوة الزائدة وما يتبعها من عدوانية.

٣ ـ ضعف الرقابة الوالدية أو اللامبالاة من قبل الوالدين فى التوجيه والإرشاد والنصح وانعدام الرقابة والمسئولية التى ترشد الشباب إلى سوية السلوك وتوضح لهم نوازع الخير والشر.

٤ ـ البعد الاجتماعى والنفسى بين الوالدين والأبناء، وما يظهر من عدم احترام الحرية الشخصية للشباب والتعبير عن آرائه، أو السخرية والازدراء أمام الإخوة الصغار أو الكبار، مما يتبعه نفور من الأبناء.

٥ ـ الإغراق على الأبناء بالماديات والإسراع إلى تلبية طلباتهم فى شراء السيارات أو السفر بمفردهم إلى خارج البلاد، وحيث يتم ذلك كتعويض عن الإهمال غير المتعمد خاصة عند انشغال الوالدين عن الأسرة.

٦ ـ ترك مهمة التربية والتوجيه للخدم والمربيات.

٧ ـ عدم الاهتمام أو متابعة السير الدراسى وانتظام الأبناء فى الدراسة وحيث يترتب عن ذلك إعراض من قبل الأبناء عن تحمل المسئولية ومواصلة التعليم.



ومن أهم المشكلات الأسرية التى تواجه الشباب نتيجة للأسباب آنفة الذ التمرد على الأسرة والرغبة فى التحرر من التبعية الطفولية، والرغبة فى تحقيق الذات وتحقيق الاستقلال العاطفى، خاصة عند الاقتراب من النضج واكتمال النمو، وحيث يدل ذلك على تأكيد الذات ومقاومة السلطة الوالدية فى إصدار الأوامر والنواهى التى يستلزم طاعتها دائما.

والأبناء - آنئذ - لا يعنيهم مصدر السلطة حتى لو كانت من أقرب الناس إليهم وأكثرهم رعاية لهم وحنانا وعطفا.

ومن صور التمرد على الأسرة الرفض الدائب لتوجيهات الآباء، والإصرار على عدم الإجابة، التى تمثل العصيان ومخالفة رأى الآباء أو قد يكون فى الصمت ما يفيد التمرد السلبى.

ومن أمثلة التمرد على السلطة الوالدية:

١ - رفض مواصلة التعليم، أو عدم طاعة الوالدين عند اختيار توجيه علمى معين، أو تخصص معين عند إتمام للمرحلة المتوسطة أو الثانوية، حتى لو كان التخصص مرموقا أو فى مصلحة الابن، أو أن مجموعه يؤهله لذلك، وقد يحدث تمرد الابن رغبة منه فى تأكيد وإثبات الذات.

٢ - قد يكون الرفض لنوع معين من الطعام أو عدم الرغبة فى مشاركة الأسرة فى تناول الطعام أو الاحتجاج على موعد تناول الطعام، حتى يؤكد ذاته وأهميته بين أفراد الأسرة.

٣ - قد يكون الرفض نتيجة متابعة السير الدراسى، وأن يطلب من الابن الاستذكار بطريقة معينة أو يكون نتيجة سهره خارج المنزل لوقت متأخر أو اللعب فى الشارع أو الإكثار من مشاهدة التلفزيون أو الفيديو، أو الاستخدام المتواصل، أو مصادقة رفاق مارقين أو متخلفين أو ليسوا على علاقات طيبة مع أفراد أسرهم.

ومن مظاهر التمرد على السلطة الوالدية، ظاهرة الهرب من الأسرة تعبيرا عن الضيق والضجر من رقابة الوالدين، والرغبة فى التطلع إلى التحرر والاستقلال.

ويكشف الهرب من الأسرة عن تناقض عاطفى فى حياة الشباب، حيث يحقق له ذلك النمط من السلوك غرضين: الابتعاد عن الضغط والسلطة - محاولة إثبات الذات - وما يتبع ذلك من المخاطر.



وقد ينـجم عن ذلك العديد مـن المشكلات الاجتمـاعية التى يـواجهها المجـتمع المحلى. وفيـما يتعلق بـأوضاع الشباب فى الأسـرة العربية، فـإن الشباب يلقـون رعاية كافية، رغم ميلهم إلى الاستقلال، حيث تحـتضن الأسرة أبناءها وتسيطر عليهم وتفرض عليهم نوعا معينا من التعليم، وتتكفل الإنفاق عليهم حتى ينتهوا من دراستهم الجامعية، وتساعدهم ماديًا عند الزواج.

وفى بعض المـدن فى الدول العربـية والإسلاميـة وفى الدول الأخرى ذات الـقيم المتماسكة يستمر الشباب فى بيت العائلة هو وزوجته وأبناؤه.

ورغم ذلك تغيرت أوضاع الأسرة فى الآونة الأخـيرة، إلى الاستقلال فى المسكن والمعيشة، وترتب على ذلك نتائج سلبية من بينها:

١ ـ الاتجاه نحو الفردية والمصالح الخاصة.

٢ ـ الصراع بين أعضاء الأسرة الواحدة.

٣ ـ زيادة حالات الطلاق والانفصال.

وكل ذلك أضـعف التمـاسك الاجتـماعى بيـن الأفراد، وأثر بالـتالى على قـيم الشباب واستقراره، ورغم الوفرة المادية فى بعض الدول النامية حيث ساعدت الثروة فى بعض الأمم وقلة حجم السكان على ارتفاع الدخول الفردية، فقد أتاح ذلك سيولة مادية وقدرة شرائية أمام الشباب، مما جعله يستسلـم للميول الاستهلاكية ودفعته إلى الإسراف فى الإنفـاق والإغراق فى المـاديات والابتـعاد عن الحـياة الجادة ـ فـى بعض الأحـيان ـ كالتفوق فى التعليم وتحمل المسئولية.

وحسبما أشرنا من قبل أن السيطرة والتداخل فى حياة الشباب يعطل النمو النفسى والاجتماعى ويعوق الخـبرة المباشرة مع الواقع، ويعانى كثيـر من الشباب من نظرة الآباء لهم بأنهم مازالوا صغارا، وإحاطتهم بالرعاية الزائدة وتوجيه سلوكهم كما يريدون لهم، وكما يـرغبون أنفسـهم ويكون من نتـيجة ذلك الإحبـاط والألم والقلق لمصـادرة حرية التصرف وإعاقة الشعور بتقدير الـذات. ومن الأمثلة المتكررة من الأسر فى الدول النامية التدخل لإجبـار الشباب لتحقيـق مستقبل أفضل عن طـريق مهنة معينة أو تعلـيم معين لتعويض ما فات الآباء أنفسهم، وقد ينسحـب ذلك إلى أمور أكثر حساسية عن الشباب كاختيار الزوجة. وعادة ما تتحمل الإناث ضغوطا أكثر من الذكور وقد يتعدى ذلك إلى اختيار الأصدقاء للأبناء.



هذا بالإضافة إلى مشكلات التمييز بين الأبناء الذكور عن الإناث، والكبار عن الصغار، كل ذلك من شأنه يخلق التوتر والقلق والاضطراب فى العلاقات الأسرية، ويعوق النمو والتوافق الاجتماعى لدى الشباب.

المشكلات التعليمية:

من المشكلات التعليمية التى تواجه الأبناء داخل الأسرة العربية والإسلامية فى المجتمع المعاصر ما يأتى:

١ ـ عدم الرغبة أو الإقبال على التحصيل الدراسى.

٢ ـ الغياب المتكرر دون رقابة من الأسرة أو متابعة السير الدراسى من قبل الوالدين.

٣ ـ عدم الانتباه داخل الفصل الدراسى، وما يتبعه من تأخر دراسى، قد لا يتابعه المنزل.

٤ ـ التأخر الدراسى فى مواد معينة أو التأخر الدراسى العام والرسوب المتكرر.

٥ ـ الهروب من المدرسة أثناء اليوم الدراسى.

٦ ـ ظاهرة الغش فى الامتحانات.

٧ ـ الضعف العام للتوجيه التربوى والمهنى.

ورغم اختلاف الدور الرئيسى لمسئولية الوالدين، فإن المدرسة تعتبر امتدادا لسلطة الوالدين. فالأسرة من مهامها الرئيسة التنشئة الاجتماعية، والمدرسة من وظائفها التربية والتعليم.

وقد تكون المدرسة ممثلة فى سلطتها سببا من أسباب التمرد والعصيان من الشباب، من حيث القيود التى تفرض على الشباب ممثلة فى الواجبات المدرسية المطلوبة بانتظام، ومراقبة الحضور والانصراف والتغيب عن الدراسة والانتظام داخل الفصول، وسلطة وأوامر المعلمين ومدراء المدارس. ومن شأن ذلك شعور الشباب بالخضوع والاستسلام والنقص تجاه سلطة لا تقبل المناقشة، وخاصة فى مرحلة المراهقة، والتى يتأكد فيها إثبات الذات، والرغبة فى التمرد والاستقلال.

ومن مظاهر الخروج على سلطة المدرسة، والتمرد من قبل الأبناء تجاه الكيان المدرسى ما يأتى:



١ ـ الإهمال فى أداء الواجبات المدرسية.

٢ ـ عدم التحصيل الدراسى والرسوب المتعمد نتيجة اللامبالاة.

٣ ـ عدم التقيد بالزى المدرسى.

٤ ـ التأخر والتثاقل فى دخول الفصول الدراسية.

٥ ـ تخريب الأدوات والمرافق داخل المدرسة، وكسر الأبواب والأسوار.

٦ ـ الاعتداء بالضرب على التلاميذ.

٧ ـ الهروب المتكرر.

٨ ـ محاولة إهانة المدرس أو إظهاره بالضعف أمام التلاميذ أو تخريب ممتلكاته (أوراق أو دفاتر التحضير أو سيارته).

٩ ـ تزعم عصابات الإخلال بالنظام.

١٠ ـ التسابق بالسيارات بعنف أو التفحيط (كما يطلق عليه فى الخليج) عند انتهاء اليوم الدراسى والخروج من المدرسة.

ويواجه الشباب فى الدول النامية ضغوطا يمثلها نظام تعليمى يتعرض له الشباب، ومن هذه الضغوط:

١ ـ تحدد المدرسة حقوق الأبناء والتزاماتهم، على أساس ما تضعه من لوائح ونظم يزن تصرفات الشباب وفق معايير وملكات قد تكون شكلية، ومن نتائج ذلك شعور الشباب نحو المدرسة بالسلطة التى تضغط على رغباته، وتؤدى إلى علاقات يسودها الصراع والتوتر.

٢ ـ لا تزال المناهج الدراسية والأنشطة المدرسية لتقييم الطلبة تتركز على المهارات العقلية، مع إغفال النمو العضوى والارتقاء النفسى والاجتماعى، والذى لا يواكب التربية والتقدم والتطور فى عالم متجدد باستمرار يحتاج إلى وجود التوجيه والإرشاد والمعلومات الصحيحة التى تضطر الأبناء للحصول عليها من مصادر مشيرة يكون من نتاجها اضطرابات سلوكية، هذا بالإضافة إلى عدم ربط المناهج الأخرى بموضوعات متصلة بالحياة مما يفصل التعليم عن المجتمع.

٣ ـ قد لا تتيح المدرسة أو الجامعة الفرصة للنمو الحيوى والاجتماعى ونضج



الشخصية واكتساب المهارات والخبرات للتعامل فى الحياة، كما لا يجد الشباب ما يناسبهم وفق استعداداتهم وقدراتهم، بل قد يتعارض معها، كما أن برامج التعليم لا تطرح الواقع للمناقشة بل أحيانا تدافع عن هذا الواقع بنواقضه.

٤ ـ تباين المستويات التعليمية باختلاف المناطق الجغرافية (ريف ـ حضر) داخل الدولة الواحدة، بل قد يكون التباين داخل المدينة الواحدة (مناطق نموذجية مقابل محدودى الدخل) حيث قد تتوزع المدارس وكفاية المرافق المدرسية فى مناطق على حساب مناطق أخرى، حيث تتكرس فيها الفصول والتلاميذ وتقل التجهيزات والمعامل وكفاءة المدرسين. وفى هذا ما يزيد أو يقلل من إقبال التلاميذ على التعليم كلما زاد أو نقص مستوى الخدمات التعليمية، أو مستوى المناطق وساكنيها.

٥ ـ قد تكون المشاكل التعليمية خاصة بتوافق هيئة التدريس وتكيفها ورضاها عن العمل وما يشكله ذلك من ردود فعل الطلبة. فمهنة التدريس شاقة وعائدها قليل فى العالم العربى. ومع تزايد أعباء الحياة تنعكس ذلك على عطاء وبذل المدرسين، وقد يضطر البعض إلى دفع الطلبة للحصول على دروس خصوصية تثقل كاهل التلاميذ.

٦ ـ من المشاكل الأخرى اعتماد بعض الدول النامية على المعلم الوافد وما قد يتبعه من أسلوب فى التعليم، قد يختلف عن البلد المضيف له، وحيث قد لا يناسب هذا الأسلوب مع البيئة الجديدة مما يصعب معه التكيف أو التغير الذى يفضل أن يتم من هذا المعلم.

هذا بالإضافة إلى متاعب الغربة لدى المعلم وأثرها على تفرغه وتفانيه فى العمل.

ومن المشاكل التعليمية التي يواجهها الأبناء فى الوطن العربى خاصة والدول النامية عامة مشكلة التأخر الدراسى.

والتأخر الدراسى يمثل مشكلة تربوية اجتماعية نفسية، ويعبر عنه بانخفاض معدل التحصيل دون المستوى العادى والمتوسط.

والتأخر الدراسى نوعان: نوع يرجع إلى انخفاض معدل الذكاء عن المتوسط العام للذكاء لتلاميذ مرحلة دراسية معينة لعمر زمنى معين. ونوع يرجع إلى نقص القدرة فى مادة دراسية معينة، وللتأخر الدراسى أساب متعددة منها:

(أ) أسباب جسمية: فقد يكون تأخر النمو العضوى وضعف الحواس والبنية بوجه عام واضطراب الكلام.



(ب) أسباب عقلية: مثل الضعف العقلى ونقص القدرات العقلية وضعف الذاكرة والنسيان.

(ج) أسباب اجتماعية اقتصادية: مثل انخفاض المستوى التعليمى للوالدين وكبر حجم الأسرة وسوء حالة المسكن وسوء التوافق الأسرى والتفكك العائلى والتربية الخاطئة وقلة الدخل أو انعدامه أحيانا كتعطل الأب.

(د) أسباب انفعالية: مثل اضطراب الجو الأسرى وضعف الثقة بالذات وسوء الحالة النفسية للابن والإحباط والقلق والاضطراب العصبى وكراهة مادة معينة أو أكثر.

(هـ) أسباب أخرى: مثل سوء التوافق المدرسى وعدم مناسبة المناهج وطرق التدريس وتعقد نظام الامتحانات وكثرة الغياب، والهروب من المدرسة وانعدام الإرشاد التربوى، وانعدام الدافعية أو المثابرة، والاعتماد الزائد على الغير فى الدروس الخصوصية.

هذا، بالإضافة إلى أن مصادر اللهو المتعددة فى الوقت الحاضر، تشغل التلاميذ عن الاستذكار الجيد، كما أن طموح الآباء ورغبتهم فى حصول أبنائهم على معدلات مرتفعة قد تتعارض مع قدرات التلاميذ مما يؤدى إلى إخفاقهم نتيجة الضغوط التى يتعرضون لها.

المشكلات الاجتماعية:

من المشكلات الاجتماعية التى تواجه أبناء المجتمع العربى والإسلامى فى الوقت المعاصر:

١ ـ الانضمام إلى رفاق السوء، حيث هناك ما يعرف بسوء اختيار الرفيق والصحبة.

٢ ـ ضعف وقلة فرص وقت الفراغ وخاصة فى العطلات الصيفية بالنسبة للتلاميذ، أو الفراغ الذى يعطل الشباب وهم فى حاجة ماسة لاستغلال وقت الفراغ الذى يسبب الملل والضجر والقلق.

٣ ـ التسكع فى الطرقات ومصاحبة الأشرار.

٤ ـ عدم تمثل قيم الجماعة.

٥ ـ السلوك المضاد لعادات وتقاليد المجتمع.



٦ ـ عدم توافر القدوة الحسنة وتضارب الأفكار.

٧ ـ الصراع الاجتماعى، ورغم ما قد توفره بعض الدول أمام المواطنين من كافة الخدمات المجانية فى التعليم والصحة والاشتغال بالمهن والأعمال التى تتيح فرص الارتقاء من النواحى المادية والمعنوية.

وقد يترتب على الضغوط التى يمارسها المجتمع، التمرد عند الشباب وحيث يظهر ذلك فى سلوك الشباب المتمثل فى عدم قبول ومقاومة النظام العام، وعدم التكيف مع العادات والقيم والشعور بالاضطهاد من المجتمع، وعدم الإحساس بالاستقلالية، وحرية التعبير. هذا التمرد والعصيان من قبل الشباب تجاه المجتمع فى:

١ ـ عدم الالتزام بالعادات والتقاليد، ويظهر ذلك فى نظام اللبس أو قيادة السيارات، أو اختلاف أسباب واهية للعراك والعنف الزائد.

٢ ـ الانضمام إلى جماعات مناهضة أو تنظيمات دينية متطرفة.

٣ ـ الانسحاب من المشاركة فى الأعمال والأنشطة الاجتماعية، وإيثار العزلة لعدم التكيف مع الواقع.

ومن المشكلات الاجتماعية الرئيسة التى يعانى منها الشباب فى المجتمع العربى بصفة عامة:

(أ) الاغتراب:

وهو من الناحية الاجتماعية تتعدد مفاهيمه والتى منها انعدام السلطة والانفصال عن الذات. والعداء وانعدام مغزى الحياة، وانعدام المعايير الاجتماعية المطلوبة لضبط سلوك الأفراد. ومن المعانى الشائعة للاغتراب أيضا العزلة أى الانفصال عن المجتمع وثقافته، وحيث يعيش الأفراد فى عزلة عن المجتمع، إذ يرون أنه ليست ثمة أهمية أو قيمة للأهداف التى يقدرها المجتمع، وحيث لا يشارك هؤلاء الأفراد بقية الناس فى المجتمع فى البرامج والأنشطة، كما أن هناك مفهوما آخر للاغتراب عن النفس، وهو ينطوى على شعور الفرد بانفصاله عن ذاته.

ومن المعروف أن الاغتراب كمشكلة اجتماعية، تعانى منها مجتمعات كثيرة فى العالم المعاصر، ويمكن مواجهته لإتاحة الفرص أمام الشباب للتغلب عليه عن طريق:

١ ـ إتاحة الفرص أمام الشباب لتنمية جوانب الشخصية لديهم، عن طريق السماح لهم بالإسهام فى فعاليات منتجة هادفة تؤكد الثقة بالنفس.



٢ ـ أن تكون الأعمال التى يكلف بها الأفراد، تتضمن عناصر تساعد على التعبير عن الذات لتحقيق الرضا والأمن النفسى.

٣ ـ ألا تكون الأعمال مفروضة من آخرين، بل تتميز بالتلقائية والرضا العاطفى والقبول العقلى.

٤ ـ أن يتعلم الشباب الأخذ والعطاء. فعند تحقيق المصالح الذاتية دون اعتبار للآخرين وحاجاتهم يفشل الفرد فى إقامة علاقات معهم ويحدث النكوص والاغتراب.

٥ ـ يحدث الاغتراب العاطفى عندما يركز الفرد على الجانب المادى دون المعنوى؛ إذ إن الجانب الاجتماعى والقائم على القيم فى السعى فى مناكب الأرض يؤدى إلى رابطة اجتماعية قوية بين الأفراد.

٦ ـ الفاعلية واشتراك الفرد مع الآخرين فى القيم والمبادئ والممارسات هو السبيل لتحقيق التضامن الاجتماعى بين الفرد وأفراد المجتمع، وحيث لا يشعر الفرد بالاغتراب.

٧ ـ من وظائف التنشئة الاجتماعية إعداد الفرد منذ الطفولة ليوائم بين سلوكه ومعايير المجتمع فإذا أخفق ـ وهو الاستثناء ـ فإن الشعور بالانفصال والاغتراب هو البديل.

٨ ـ تتكامل الشخصية عندما يكون الفرد فى حالة من الاعتماد والاتحاد مع الآخرين ويتم ذلك عندما يتمسك الفرد ويخضع نظرته إلى نفسه وإلى محيطه الاجتماعى وبذلك لا يعانى من الاغتراب.

ويواجه الشباب العربى فى وقتنا المعاصر مجموعة من الظروف الاجتماعية والحضارية تختلف أحيانا وتتناقض مع ما يواجه جيل الآباء أو ظروف العمل، وغير ذلك من العوامل التى تؤثر سلبيا على التوافق الشخصى والاجتماعى، الأمر الذى يتبعه الشعور بالاغتراب عن المجتمع الذى يعيش فيه، لبعد الواقع عن طموحاته وتطلعاته.

كما أن التحديث الذى دخل إلى دول نامية فى الشرق والغرب منذ الخمسينيات بعد الحرب العالمية الثانية وما تبعه من معدلات كبيرة فى الدخول الاقتصادية والمادية، لم يتبعه مواكبة للقيم والعادات من قبل الشباب، وكان من أثر التفاوت فى ملاحق التحديث ردود فعل عكسية تجاه معايشة الأحداث، وعدم توافق، كان من أثره تصرفات من الشباب لا يقبلها المجتمع، وصفت بتمرد وعصيان الشباب على الأوضاع القائمة.



كما أن الاهتمام من الدول النامية بالتعليم والتوسع الأفقى والرأسى فيه أدى إلى ضغوط كثيرة لم يكن يتوقعها الشباب أو لم تكن تناسب ميوله واستعداداته. وكان من نتائج ذلك الشعور بالاغتراب وعدم مواصلة التعليم، الاضطرار إلى التوجيه إلى العمل الذى قد يزيد من مشاكل الشباب ولا يساعده على الشعور بالمسئولية والانتماء. كما كان من نتائج التقدم التقنى فى المواصلات، وفى الاستخدام الواسع للصحافة والإعلام المرئى والسمعى، مع جعل الصراع العالمى للعديد من القضايا والأفكار والسياسات يثير اهتمام الشباب، وحيث ترتب عن ذلك أن وجد البعض منهم نفسه ينقاد إلى اتجاهات قد تخالف الشرع الحنيف، دون وعى منه أو إرادة فى الاختيار وترتب على ذلك اضرابات سلوكية فى بعض الأوطان بها. أضف إلى ذلك أن الانتقال الفجائى من حياة الريف إلى المدن، نتيجة التعليم أو التجارة أو العمل، أدى إلى عدم التآلف بين التعود على النشئة الأولى والحياة الجديدة، وظهرت الانعزالية والفردية والشعور بالسخط وعدم الرضا عند البعض.

كل هذه مشاكل اجتماعية ساعدت على ظهورها المتناقضات التى واجهت الشباب، والتى كان من آثارها السلبية والأنانية والعزلة الاجتماعية وعدم وضوح القيم الأخلاقية، وضعف التأثير من قبل مؤسسات الضبط الاجتماعى التربوى أو الرسمية والأمنية، مما أدى إلى صراعات حادة واجهها الشباب، واستسلم البعض منهم لها من موقع الخذلان والضعف، وتمرد الآخر بالعنف والعدوانية.

(ب) صراع الأجيال:

من المشاكل الاجتماعية التى يتعذر إيجاد حلول سريعة لها، ما يعانيه الشباب والكبار ما يعرف بصراع الأجيال. فالكبار تتسم نظرتهم للصغار والشباب بالتوجس والريبة وفقدان الثقة. ويعيبون على الشباب خاصة الاندفاع والتهور وقلة الخبرة والسطحية فى التفكير فى حل المواقف المعقدة، بل منهم من يحكم على الشباب بالغفلة، نلمس ذلك على مستوى الدراسة الجامعية حيث نجد الصراع بين الطالب الجامعى والأستاذ الجامعى، وحيث تتباعد المسافة الاجتماعية بينهما. كما يحدث ذلك بين الآباء والأبناء وبين شباب الموظفين وكبار الموظفين.

هذا الصراع يتواجد مع واقع التباين فى المواقف ووجهات النظر وتحليل الأمور، وقد يشتد الصراع لدرجة تفكك العلاقات وما يعقب ذلك من مشكلات اجتماعية.



(جـ) أزمة هوية الذات:

من ناحية أن الشباب العربى يعيش العدد الأكبر منه فى الريف حيث التقاليد والعادات، وأنماط السلوك المحافظة ثم عند الانتقال إلى المدن لاستكمال التعليم أو العمل، هذا الانتقال من شأنه إيجاد هوة شاسعة بين ما تعود عليه الشباب وبين ما يواجهه فى المدن من حياة مختلفة تماما من حيث التقاليد والعادات والضغوط والممارسات التى قد تفقد البعض من الشباب الحرية الفردية.

بل إن هذا من شأنه أن يفرض عليه الانعزالية وما يتبعها من فقدان الشخصية أو أزمة هوية الذات. هذا بالإضافة إلى أن التنشئة الاجتماعية فى معظم البلدان العربية عامة والنامية خاصة يحدث الانفصام النفسى للأبناء، وحيث يُنظر إلى الأبناء على أنهم قُصَّر وفى حاجة دائمة لحماية الكبار ووصايتهم، وأنهم مهما تقدموا فى العمر لم يتخطوا مرحلة الانتماء إلى الشباب الراشد. وفى هذا ما يجعل الشباب فى حيرة مع الذات، ويخلق لديهم أزمة هوية الذات، وما يتبعها من قلق وتوتر من شأنه إيجاد الصراع بين الواقع والمفروض، وحيث يكون من نتائج ذلك التمرد والعصيان والعدوان.

كما أن أزمة هوية الذات عند الشباب، تُشعر الأبناء بالعجز عن تحمل المسئولية، والحيرة وعدم الاستقرار، والاتكالية والاعتماد الدائم على الغير وسوء التوافق النفسى والاجتماعى.



المبحث السادس عشر

انتحار الأطفال والأسرة

الطفل منذ نعومة أظافره يصرخ أحيانا، ويبتسم أحيانا، ونجد ذهنه يتجه بصورة واقعية إلى حدما وذلك إلى مايحيط به . . . ونقول حين يشرد ذهنه أنه غارق فى أحلام اليقظة، أو أنه يسبح فى خيالاته، وننسى ماوراء هذا كله من نواحى الألم والقلق والخوف والتوتر وما إلى ذلك . . يبدو أن خلف الأمر ضغوطا من نوع ما.

إن الطفل ينمو فى حماية والديه وأسرته ورعايتها، ويرغب فى الاتصال بالعالم من حوله فى الروضة والمدرسة والمسجد، وهو إذ يفعل ذلك يريد أن يكتشف العالم، ويقف على أسراره، ويريد أن يكسب القوة التى توسع المدى الذى يستعمل فيه هذه القوة . وهو بهذا يكتسب ثقة فى نفسه، وفيما يحوطه من أشياء وأشخاص. ولكن هذا كله لايتم فى سهولة ويسر، فيعترضه أبوه، أو يعترضه المدرس، أو يعترضه أخوه، أو يشجعوه، أويدفعوه بأكثر مما تتحمل قواه وقدراته. وخلال الاعتراض والمنع والتشجيع والدفع تتعثر خطاه أو بعض خطاه ويرى نفسه يتعثر ويتألم ويمكنه أحيانا أن يعبر عن ألمه، ويضطر أحيانا إلى كبت هذا التعبير مما يزيد المواقف شدة وتعقيدا.

فنجد الأطفال فى مشكلات أو أزمات أو ضغوط عند المرض المزمن أو عند وقوع الحوادث أو عند فشلهم الدراسى أو عند اقترافهم جرائم ضخمة من وجهة نظرهم أو هى كذلك.

والطفولة ليست كلها صفاء وشموسا مشرفة وليست حياة منعمة، ولكنها عهد يقابل فيه الطفل مواقف جديدة وربما صعبة، وتتطلب منه أن يتصرف فيها أو يتخذ منها موقفا، وبطبيعة الحال يصحب ذلك شعور بالقلق والحيرة، وربما كانت هذه الصعوبات متخطية حدود الاستطاعة والقدرة العادية فتهز الشعور كله، وتهدر الكيان النفسى لدرجة أن بعض الأطفال يمرضون منها وربما أدى بهم الأمر إلى حزن شديد أو إلى اكتئاب وربما فكر بعضهم فى الانتحار.

وانتحار الأطفال والمراهقين ظهرت فى بلادنا . . وعلماء النفس يحذرون ويؤكدون أن حالة انتحار طفل واحدة تساوى آثار ظاهرة بأكملها.



وإذا كان من المؤكد أن التعليم ليس وحده المتهم بانتحار الأطفال . . فإن التساؤل الذى تحركه كل قصة جزئية لانتحار طفل: هل امتدت ضغوط الحياة إلى الأطفال لتدفعهم إلى التخلص من الحياة؟ أم أن إدراكهم الصغير لايستوعب هذا الفعل المخيف الذى قد يفكر فيه الإنسان البالغ أكثر من ألف مرة قبل أن يقدم عليه؟

إن كل أصابع الاتهام تشير إلى الأسرة ـ لقد أثار حديث دلال العطوى بجريدة الأهرام فى ٩٩/٧/٩ القضية المخيفة.

فمع مقدم شهر يوليو وفي حادث مأساوى، انتحر تلميذ بالصف الأول الإعدادى بسبب رسوبه فى مادة الرياضيات وكتب رسالة لوالديه يعتذر فيها عن رسوبه الذى جعله يقرر الانتحار بإلقاء نفسه من سطح العمارة المجاورة لمنزله!!

وفى مأساة وقعت أحداثها بالاسكندرية ومع أوائل صيف ١٩٩٩ حاول طفل عمره عشر سنوات وشقيقتاه التوءم وعمرهما ثمانى سنوات الانتحار بتناول سم الفئران بعد وضعه فى اللبن، لرفض والدهم الذى يعمل نقاشا أن يعيد والدتهم إلى المنزل بسبب الخلافات المستمرة بينهما وعدم السماح لهم بزيارتها، وقد تم نقل الأطفال الثلاثة إلى مركز السموم بالمستشفى الجامعى لإسعافهم!!

وفى شهر مارس ١٩٩٩ حاول طفلان الانتحار لأنهما ـ كما قالا بعد إسعافهما ـ يعيشان عيشة فقيرة معدمة داخل بير سلم فى عمارة متهالكة، ولايستطيع الأب توفير مكان مناسب لهما وهما علي حد قولهما «قرفنا من عيشتنا» فنحن نعيش حياة قاسية فقيرة معدمة قد يكون بالتأكيد الموت أفضل منها!!

وفى شهر فبراير ١٩٩٩ شنق طفل نفسه، بمركز المنشأة بمحافظة سوهاج، لرسوبه فى امتحان نصف العام بالصف الخامس الابتدائى وتم نقل جثته إلى المستشفى!!

وفى طنطا، وفى حادث درامى مؤسف، اتفق ثلاثة تلاميذ بالابتدائى على الانتحار، خوفا من عقاب مدرس الحساب لهم لعجزهم عن حفظ جدول الضرب!! فتناولوا كمية كبيرة من سم الفئران بعد أن اختبأوا فى مكان منعزل بمقابر القرية، ولقى أحدهم مصرعه وأصيب الآخران بتسمم شديد وكان قد تم العثور عليهم فاقدى النطق!!

ووسط كل هذه الأخبار المؤسفة عن انتحار الأطفال فى مصر . . ومحاولاتهم خلال عام واحد فقط، هذا بخلاف انتحار بعض المراهقين والشباب وآخرهم طالب بكلية الحقوق الذى انتحر فى النيل لرسوبه فى ٩أغسطس ١٩٩٩ بجريدة الأهرام أيضا



.. كيف تهـون الحياة على هذه البراعـم الصغيرة؟ وكيـف واتتهم الشجاعـة على إنهاء حياتهم بتلك الصور القاسية التى قد لايتحملها الكبار؟؟

ويرى علماء النفس والاجتماع أن الإنسان ينتحر لأنه يكون على وعى بأحاسيسه، يستطيع أن يدركها بشكل مباشر وأيضا يستطيع أن يدرك ماحوله أى الحياة بأكملها، فقد يشعر الإنسان باليـأس والتعاسة بمعنى أنه لا أمل فى أى شيء، وهنا تهـون عليه حياته لأن الموت يخلصه من تلك المشاعر اليائـسة المؤلمة، أو يدرك أن ماحوله عبث وأن الحياة لاقيمة لـها ولاتستحق أن نحيـاها وبالتالى تهون علـيه الحياة، وفى كلا الأمريـن يشعر الإنسان بألم شـديد .. والطفل مثل الكـبار تماما يشعـر بالألم والتعاسة حـتى أن كتب الطب النفسى لاتصف طفلا مكتئبا، إنما تصف طفلا تعيسا، فنحن أمام طفل يشعر بألم نفسى شـديد من نتيجتـه أو مدرسته أو من أصدقـائه، فهذا هو عالـم الطفل، الأسرة، المدرسة، والأصدقاء، فهو قد لايقوى على تحمل الضغوط الشديدة التي يتعرض لها من مدرس يهينه أو مناهج دراسية صعبة جدا أو صديق يرفضه، وبالتالى يرى بعقله الصغير أن يسمع ذلك من الكبار أن المـوت راحة كما يشاهده فى الأفلام، وتبقى حقـيقة مهمة جدا أن الطفل يصـاب بمرض الاكتئاب مثل الكبـار تماما، وقد يقدم على الانتـحار يأسا وألما وتعاسة ..

«عندما يقدم الأطفال على الانتحار، فهـذا يعنى أن كل السبل قد انغلقت أمامهم وليس هناك أمل فى الغد وأن السبيل الوحيد هو إنهاء الحياة للخروج من المأزق!!»

إن هؤلاء الأطفال قد تعرضوا لضغوط نفسـية شديدة جدا وتعرضوا أيضا لمواقف صعبة لم يكن سهلا عليهم كأطفال أن يجدوا لها حلا، وبالتالى فضلوا أن ينهوا حياتهم بسهولة؟!

إن الانتحار لم يصـل إلى حد الظاهرة ولكن من الممكن أن تساوى حـالة انتحار فردية آثار ظاهرة بأكملها، نتيجة لبشاعة العـمل نفسه من طفل صغير متفتح ومقبل على الحياة، بدلا من أن يستمتع بحلاوة طفولته، ينهى حياته القصيرة فجأة!!

ولكن ماهى نوعية الضغوط التى يمكن أن يتعرض لها الأطفال؟

إنها كثيرة فهناك ضغوط نفسـية يتعرض لها من البيت سواء من الأم أو الأب، أو ضغوط حياتية ناتجـة من إنه غير قادر على الاستمتاع بالدنيا ومـباهجها، أو هى ضغوط اقتصادية تمارس قوتها على الطفل بحيث لايقدر على تحملها، أما الضغط الأساسى فهو



الضغط الشديد الذى يتعرض له الطفل فى مجال التعليم والبيت يشارك أيضا فى زيادة الضغوط على الطفل فالبيت يفكر دائما أن التعليم هو نهاية المطاف.

إن فى مجتمعنا اليوم وخاصة فى الطبقات المتوسطة والدنيا، المفهوم الأساسى لديهم هو أن الشهادة أصبحت هى المنفذ الوحيد للطفل لكى يبدأ حياته وإنه إذا فشل فى التعليم فهذا معناه أنه سوف يفشل في الدنيا كلها، مع أن الدنيا واسعة وهناك مجال للتفوق والتميز بعيدا عن التعليم والشهادة!! كذلك الأزمات الاقتصادية تركت في نفوس الأهل حقيقة غريبة وهي أن الشهادة أهم من النقود لأن النقد تفقد قيمتها والأهل لم تقدر علي تحقيق أية طموحات مادية، فيعتقدون أن أضعف الإيمان أن يتركوا أطفالهم متسحلين بالشهادة التعليمية لتسندهم في الحياة!! وبذلك وبدون وعي من الوالدين، يمارسان على أولادهما منتهي القسوة حتي يهتموا بمذاكرتهم طوال الوقت، غير عابئين باحتياجات الطفل للترفيه واللعب والاسترخاء كما تطالبهم به سنوات عمرهم القليلة.

ونجد أن معظم الأسر تطارد أطفالها وتمنعهم من ممارسة حياتهم العادية كأطفال بل تنهرهم وتأمرهم دائما بالمذاكرة كما لو كان التعليم هو العصا السحرية التي تحل جميع المشاكل، مع أن الطفل إذا اهتم والده بمهاراته وهواياته يمكن بسهولة جدا أن يحقق التميز والشهرة والنجاحات الكبيرة بعيدا عن التعليم إذا كانت قدراته تعوقه من استمراره في التعليم!!! مثل نجوم الكرة والاسكواش والفن.

إن خوف وقلق الأهل ينتقل بدون وعي إلى الأولاد، ويشكل لهم ضغوطا نفسية قوية جدا بصرف النظر عن إمكانياتهم أو استعداداتهم أو ميولهم.. ويعتقد الطفل أنه إذا رسب في مادة أو في الامتحان كله أنها الكارثة الكبري.

بصرف النظر عن البرامج التعليمية المتاحة وعن مدى ملاءمتها لإمكانيات الطفل وقدراته ومواهبه.. والطفل اليوم بين نارين، نار رغبته في إرضاء أهله، ونار المقررات الطويلة والمعذبة، ونار افتقاده الاستمتاع بطفولته نتيجة ضياع كل جهده ووقته في تحصيل الدرس الذي لا ينتهى.

هذا بالإضافة إلى أن تربيتنا تحمل الأطفال إحساسا كبيرا بالذنب من أنه إذا ارتكب خطأ فهو خطأ فادح لا يغفره إلا الموت وكأن الإنسان مفروض ألا يفشل أو يخطئ أبدا.. ولذلك فعندما يفشل الطفل يعتبر على الفور أن فشله هذا شيء مفزع يجب أن ينهى حياته من أجله.



إننا للأسف الشديد نقوم بتربية أولادنا بطريقة تبث فيهم التفكير الانفعالي الذي يجعل الطفل يحمل كميات إحساس رهيب بالذنب ولا يجد في الانتحار إلا السبيل السهل لإنهاء موقف تعرض له ولم يقو علي تحمله وتحمل مواجهة أهله له. . يجب علينا كأهل أن نبث في أطفالنا التفكير العقلاني ويجب أيضا أن نعلم أولادنا المناقشة بحرية وبدون خوف وأن الفشل مرة ليس معناه الفشل طوال الوقت وأن هناك أيضا مجالات للتميز غير مجالات التعليم، إذا هم أخفقوا فيه أو كانت قدراتهم أقل من تحصيل العلم تحصيلا جيدا.

إن لحظة إعدام النفس هى لحظة اللاوعى ينتهى فيها الإحساس بكل ماهو موجود فى الدنيا من قيم دينية أو حضارية أو حتى قيم إجرامية، هى لحظة انعدام الوزن ويكون اليأس قد بلغ أشده بحيث هانت عليه الدنيا ومافيها ولايخشى شيئا ولايهتم إلا بإنهاء حياته والموقف الصعب الذى لم يقدر على تحمله ومواجهته!!

وهى لحظة ظلام دامس شديد الظلمة، يختفى فيها عند المنتحر الوعى واللاوعى لذلك هى لحظة يسهل فيها على الإنسان أن ينهى حياته.

وتتمثل الخطورة فى نشر هذه الحوادث الانتحارية التى يقدم عليها بعض الأطفال، لأن الطفل من طبيعته أن يقلد، فقيمه الأخلاقية وجهاز الاخلاقيات لديه ضعيف وكذلك جهاز مقاومة السلوكيات المضادة وبالتالى سهل على الطفل التقليد بشكل سريع خاصة السلوكيات التى تتصف بالخطورة . . والطفل فى هذا العمر إما أن يكون متفوقا أصلا ورسوبه أحدث له صدمة نفسية فجائية سريعة جعلته فى حالة انفعال حاد وفى لحظة فقدانه الوعى أقدم على الانتحار، ولو كان هذا الطفل فكر لبعض الوقت لكان سلوكه قد تغير فإقدامه على الانتحار كان نتيجة لحظة انفعالية شديدة صدمة نفسية لايقدر الطفل الصغير على تحملها مثل الإنسان البالغ فهو أضعف لأن جهازه العصبى والنفسى لايزال ضعيفا.

أما السبب الثانى للانتحار فهو الخوف من الأهل من كثرة ما وصل إليه من حالة خوف مروعة من مواجهة الأهل هانت عليه نفسه فيبدو أن الطفل تعود من أهله الثورة الدائمة والعقاب الشديد عندما يفشل فهم يشعرونه بعدم الثقة فى النفس والعقاب يكون إما عقابا جسمانيا بالضرب مثلا أو الحرمان من أشياء يحبها ويحب ممارستها . . ولذلك فهو يفكر فى الانتحار خوفا من مواجهة أهله بفشله ومواجهته نفسه أيضا لأن المجتمع للأسف الشديد ينظر فى أحيان كثيرة للفاشل أو الراسب على أنه شىء صغير فهو يشعر



بأنه إنسان فقد المجتمع ثقته فيه وأنه يمكن أن يلومه أو ينظر إليه نظرة فيها تدن أو ازدراء وهو غير قادر على تحمل تلك النظرة من المجتمع . .

إنه على الرغم من أن طبيعة الحياة النجاح والفشل إلا أن الفشل مؤلم ويمثل مرحلة مؤلمة يكره الإنسان الخوض فيها أو الشعور بها والفشل يمكن إيلامه للطفل الحساس الذى اعتاد النجاح ويكون أكثر من إيلامه للإنسان البالغ فهو لايقدر على تحمل مرارة الفشل لذلك فهو يقدم على الانتحار بدون تفكير.

إن الأسرة عليها أن تنشىء أطفالها على شيء من الحرمان وإلى عدم استجابتها لكل مطالبهم حتى لايتعودوا على الحياة السهلة وهذا أيضا من أجل ترويضهم على قوة الاحتمال وعلى تعلم أنهم يمكن أن يفشلوا فى رحلة الحياة وأن الفشل وارد فى أية لحظة، ولكن عند الفشل عليهم القيام بعمل وجهد زائد وإضافى للتغلب على الفشل . . كما يجب ألا ننشئهم على الضعف والانهيار أمام الفشل أو عند مواجهة أية عقبة تعترض طريق نجاحهم . . يجب أن يتعلم صغارنا أن الفشل حالة مؤقتة وليست حالة دائمة وإنه من السهل جدا تخطى مرحلة الفشل والتغلب عليها . . وهو ألا تنهار الأسرة عند فشل الأبناء أو رسوبهم فانهيار الأهل لرسوب أطفالهم يعنى على الفور تحطيم قدرتهم وإمكانياتهم على المقاومة . . فعندما يفشل الأبناء، يجب على الأهل التحلى بالصبر والشجاعة وقوة الاحتمال لمؤازرتهم الفشل معا لتفاديه في المرة المقبلة فيصبح الأهل هنا منبعا للحنان والتعاطف والأضواء بدلا من أن يمثلوا فى انهيارهم النفسى، ضغوطا شديدا لايقوى الطفل على مواجهتها فيختار بغير إرادة إنهاء حياته بالانتحار حتى يتفادى مواجهتهم والتعايش معهم فى ثورتهم عليه.

ومن الضرورى أن يتمتع الطفل بطفولته، فيجب أن ننشىء أولادنا على أن الفشل فى نقطة لايعنى الفشل فى كل النقاط، فهو يمكن أن يصاحبه نجاحات فى مجالات أخرى، كذلك يجب أن نربى أولادنا على الضمير المرن المتسامح فأقسى شىء على الإنسان أن يخاصم نفسه، فخصام النفس معناه عدم تقبل الذات أو كرهها، وإذا كره الإنسان نفسه، يمكن بسهولة جدا إيذاؤها بالانتحار وإذا لم يقدم على الانتحار، فكيف لنا أن نتخيل مايمكننا الحصول عليه من إنسان كاره لذاته . . كيف يفيد مجتمعه بعد ذلك إذا كان هو بداية يكره نفسه . . فهل سيحب مجتمعه؟؟ يجب أن نعلم أولادنا أن يتسامحوا مع أنفسهم لتحقيق التوازن النفسي المطلوب لديهم . . كذلك يجب تعليمهم



الجرعات الـدينية التى لاتضـخم الإحساس بالذنب، وننـشىء صغارنا على تـعلم الدين التسامحى حتـى لايصابوا بالذعر والفزع، وإذا كنا نعلمهم أن اللـه غفور رحيم، فكيف لايكون الأهل كذلك فى كل الأحوال . . .؟!!

أما الأسـئلة النى تـطرح نفسـها وبإلحـاح فهى: هل آن الأوان أن نظـلل أولادنا الصغـار بمظلة الحب والتفـاهم والأمان، والتسـامح والاهتمام والـرعاية، حتى لايبـعد أطفالنا بأحاسيسهم بعيدا عنا، ليعيشوا حياة قاسية كلها اغتراب ووحدة وخوف وقلق؟؟

هل غابت قيم تربوية وخلقية وغابت اهتـمامات الآباء بالتنشئة الدينية . .؟ أم أن المسألة فيها أيضـا نوع من التقليد لما ينشر فى وسائل الإعلام المسمـوعة والمرئية ومايظهر فى بعض الصحف والمجلات؟

وهل لسهولة وصول سلوكيات الغرب إلى منازلنا الآن عبر القنوات الفضائية دور فى تعويد الأطفال التعرف على نماذج لاأخلاقية تتنافى مع الدين والأخلاق؟!



المبحث السابع عشر

المشكلات الخاصة بالاختلالات الخُلقية بين الأبناء داخل الأسرة

تعددت فى الحياة الحديثة نتيجة لانتـشار التقنيات المعاصرة، التى نقلت إلى الأبناء داخل الأسر فى شتى بقاع الأرض، أنماط سلوكيـة، جذبت العديد من الأبناء إلى اتباع أخلاقيات، كان من آثارها اضطرابات وسوء توافق فى الحياة الاجتماعية والأسرية.

والاختلالات الخُلقية تتمثل فى السلوك الذى يوصف بخرق القانون الخُلقى السائد فى المجتمع.

ومن الاختلالات الخُلقية التى تؤثر على الحياة الأسرية ما يأتى:

١ ـ الاستجابات المضادة والمناهضة للمجتمع.

٢ ـ استجابات الانفصال عن المجتمع.

٣ ـ الإدمان.

٤ ـ الانحرافات الجنسية.

وفيما يلى السلوكيات الخاصة بكل من هذه الاختلالات الخُلقية:

١ ـ الاستجابات المضادة أو المناهضة للمجتمع:

الأفراد من هذا الصنف نجدهم فى خلاف دائم مـع السلطات ولا يمكن الاعتماد عليهم وهم أفراد يعجزون عن الارتباط بـالآخرين على أى درجة من العمق، ولهم عدة ملامح مـحدودة وتميز هـذا النوع من اختلال الخُـلق وحيث يتـسم السلوك بالخـصائص التالية:

(أ) قلة النضج وانعدام روح المسئولية.

(ب) سوء القـدرة على الحكم وإدراك الأمور، والعـجز عن الإفادة من الخـبرات السابقة.

(جـ) العجز عن أرجاء المتعة، والإخلاص الظاهرى، ولكن من غير عمق.



(د) الشعـور نحو الآخريـن ضعيف إلى حـد ملحوظ، وقـلة الدافع إلى تنمـية المواهب والمهارات.

(هـ) الاعتقاد الراسخ بأنهم فى حصانة ومنعة من القوانين.

والسلوك الظاهـر للشخص الذى من هذا الصـنف يحسن مخالـطة الناس، وهو جذاب يلتمس الناس لقاءه والتحدث إليه. وكثـير من الناس ينخدعون فيه. لكنه عندما يُقترب منه أكثر يظهر قلة نضجه وسطحيته وعجزه المزمن عن أن ينجح فى حياته، فيفقد بسرعة الانطباع الطيب الذى كان قد تركه بسهولة لدى الآخرين.

وهذا الشخص إذا واجـهته بسوء سلـوكه بدا عليه من الإخـلاص الزائف والندم الظاهر ما يجدد الأمل ويحيى الثقة بين المهتمين به والمتشككين فيه.

٢ ـ استجابات الانفصال عن المجتمع:

هذا النوع من الأفراد شـبيه فى جوهره بالفرد المـضاد للمجتمع، فيـما عدا أن له القدرة على أن يرتبط بجماعة من الجماعات ارتباطًا قائما على الولاء الشديد والإخلاص لها. ثم يتشكل سلوكه بعد ذلك بانتمائه لهـذه الجماعة. وكثير منهم يفلحون فى تجنب الاصطدام بالقانون، ولكن بعضه يتوحد ويرتبط بعصابات الإجرام، ويتبنون قواعدها أو قوانينها. والشخص المنفصل عن المجتمـع قد يرتبط بجماعات فردية، مثل (الخنافس)، أو جماعة مـتعاطى العقاقير المخـدرة، ثم ينزلق إلى أسلوب حياة غير خُـلقى بعزلة عن المجتمع الأغلبية أو المجتمع الشائع.

٣ ـ الإدمان:

يحدث الإدمان فـى عالم الخمور والمسكـرات والمخدرات والعقاقيـر المخدرة، وله آثاره ومضاعفاته الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والصحية، وتتحدد مخاطره بتنوع المادة والعقار المستخدم، والجرعات التى يتناولهـا المدمن وتأخير العلاج، وعدم وجود معينات الوقاية والرعاية الطبية والاجتماعية التى توقف التدهور الذى ينتاب المدمن.

وهذه الثقافة العقاقيرية اختلفت الآراء فى ضررها، حيث الرأى الأعم فى الحكم عليها أن الأفراد المتعاطين للعقاقير يظهرون بصورة غير طيبة، ويتمركزون حول ذواتهم، وهم مضطربون نفسيا ويختل سلوكهـم، وليس ثمة مبرر صحى أو نفسى لكثرة وتداول وتعاطى هذه العقاقير.



وهناك اتجاهات لتفسير ظاهرة إدمان المخدرات والعقاقير المخدرة عن الواقع الغير منطقى والغير شرعى، وهى اتجاهات غير واقعية مقنعة، وتقحم الدين فى التمادى فى تعاطى العقاقير وتبرر أن المشاعر الدينية تزداد عند تناول العقاقير، والدين فى الواقع برىء من هذا، إذ هو وسيلة الإنسان إلى الاستقامة وإلى ربط الإنسان بواقعه الفعال وحياته اليومية التى تحتاج إلى صفاء الذهن ونقاء النفس، والتى لا يتم وجودها فى وجود المغيبات الذهنية التى تحملها المسكرات والمخدرات والعقاقير المخدرة والاستخدام غير الطبى للعقاقير.

ومع الاحتفال باليوم العالمى لمكافحة الإدمان، أظهرت نتائج دراسة - أجرتها الأمم المتحدة بالتعاون مع وزارة الصحة فى مصر - أن أصدقاء السوء هم من أهم أسباب انتشار المخدرات بين الأبناء.

إن علاقات الصداقة أو الزمالة أو الجيره مع الأقران المتقاربين فى العمر قد تلعب دوراً خطيراً فى دفع الأبناء نحو الانحراف بأشكاله وعلى رأسها الإدمان وذلك طبقًا «لنظرية المخالطة» التى وضعها العالم الأمريكى Suther Land والتى بمقتضاها نجد أن العلاقة التى تسود بين جماعات الأولاد ينتج عنها احترام القانون إذا غلب عليها الأفراد الأسوياء.

ولكن إذا كان فيهم من لديه ميل نحو الخروج على القانون والدين، فإنه يستطيع التأثير فى الآخرين، وخاصة إذا كان يتمتع بشخصية قيادته قادرة على التأثير فيمن حوله خاصة إذا كان مَنْ حوله هامشيين ولديهم الاستعداد للانقياد أو الميل إلى التجربة والمغامرة

والسمات الشخصية للفرد المدمن تكون فى صورة:

(أ) عدم النضج: حيث لا يستطيع الفرد الاعتماد على نفسه والاستقلال عن غيره وخاصة الأبوين ويفتقر إلى تكوين علاقات ثابتة وهادفة مع أفراد الأسرة.

(ب) الضعف الجنسى: حيث يعانى الضعف الجنسى والخجل الشديد من الجنس الآخر، أو قد يكون مصابا بالشذوذ الجنسى (الجنسية المثلية لكثرة تردده على حانات الخمور أو وجوده مع الذكور بصفة دائمة، وقد يكون المدمن ممن يخفى أفكاره الجنسية الشاذة بإفراطه فى تناول الخمر أو العقاقير المخدرة).

(جـ) التمركز حول الذات: حيث يكون سلوكه قائما على إشباع رغبته فى الحال



وغير مستقر وغير صبور. وحمايته الزائدة وهو صغير تجعله باستمرار فى حاجة إلى من يلجأ إليه واستمرار شعوره كطفل فى شخصيته بعد كبره.

(د) عدم الاستقرار والعدوانية: حيث يشعر المدمن بالقلق الزائد عند عدم قدرته على التعبير عند الغضب، وقد يجد فى الخمر ضالته أو فى العقاقير المخدرة، كى يعبر عن غضبه بطبيعة عنيفة فى بعض الأحيان.

(هـ) الاضطراب الزائد: حيث يكون المدمن قلقا ومتوتراً بصورة زائدة، وحيث يلجأ إلى الخمور والمسكرات والعقاقير لتسكين القلق مما يؤدى إلى الإدمان.

وقد تبين أن الإدمان بين المراهقين من الأفيون ومشتقاته، ويرجع إلى أن الأفيون مادة فعالة فى تسكين المشاعر الجنسية والعدوانية، التى يعانى منها الكثير من المراهقين نتيجة الرفاق والأصدقاء. كما تبين أن تعاطى العقاقير يرجع إلى زيادة القلق، وخاصة عند الإفراط فى تناول الحشيش والمنومات والمنشطات والمهدئات والمستنشقات، كما تظهر عوارض نفسية أخرى عند المدمنين هى الاتكالية والاكتئاب.

وأهم ما يعنينا فى مشكلات الشباب من ناحية الإدمان، الأعمار فى فئات المدمنين حيث:

(أ) تتراوح أعمار الذكور بين المدمنين فى متوسطها فى حدود الأربعينات (حوالى ٤٤ سنة) وفى الإناث تصل أعمار المدمنات (٤٥ سنة).

(ب) بالنسبة للأحداث المنحرفين تبين أن الخمر هى العقاقير المفضلة، وينتشر التعاطى بصورة غير عادية فى أعمار ١٣ ـ ١٩ سنة.

(جـ) من المعروف أن علاج الإدمان فى الأعمار المبكرة ـ المراهقين والشباب ـ أصعب بكثير من العلاج عند المتقدمين فى أعمارهم.

أما من ناحية نوعية العقاقير، فقد وجد أن:

(أ) متوسطى الأعمار والمسنين: يتعاطون ويدمنون العقاقير التى يتم تعاطيها عن طريق الفم كالمنومات والمنشطات.

(ب) المراهقين والشباب: يُقبلون على تعاطى الأفيون ومشتقاته، كما ينتشر تعاطى الحشيش حيث يمثل العقار المفضل عند الشباب، بعد تجريب التبغ والخمر.

(جـ) البالغين ومتوسطى الأعمار: يُقبلون على تعاطى الحشيش، وينتشر تعاطيه بين نسبة كبيرة من شباب الجامعات فى الدول الأجنبية.



* مشكلات المهنة والعمل:

من مشكلات المهنة والعمل التى تواجه الشباب عدم وجُود برامج خاصة بالتوجيه التعليمى ونقص الإرشاد المهنى، والتوجيه الخاطىء للآباء للتخصصات التى لا تناسب ميول الشباب وعدم وجود فرص كافية للعمل أو مناسبة أمام خريجى المعاهد العلمية أو المهنية. هذا بالإضافة إلى ما قد يواجهه بعض الشباب من نقص الخبرة والتدريب فى مجال العمل.

وفى الواقع أن مشكلات الشباب فى مجال العمل؛ تتركز فى عدم وجود بدائل للتوجيه المهنى، والتى تتناسب مع قدرات الشباب واستعداداتهم وعدم وجود معلومات كافية تمكنهم من الاختيار. وما يحدث فى غالب الأمر هو توزيع الشباب على فرص العمل دون الالتزام بتخصصهم. بل إنه من المشكلات الرئيسية ما يواجهه الشباب فى بيئة العمل بواقع يُبعد كثيراً عما تلقوه من أهمية العمل والتفانى فى بذل الجهد. وقد يضطر الشباب إلى مجاراة المواقف السلبية تحت دعاوى الواقع، وحيث تعجز الوحدات الإدارية فى مجتمعنا العربى عن التخطيط والاستفادة من طاقات الشباب بسبب التعقيدات التى يتم بها كم وكيف العمل فى بلادنا العربية، وافتقار المناخ العلمى الذى يشجع على الابتكارية والتجديد فى العمل، وانتشار اتجاهات سلبية كالمجاملة أو الوساطة أو القرابة وكلها عوامل محبطة لطاقات الشباب وقدرته على الإنجاز.

والعائد الوطنى من العمالة ـ فى ضوء هذه الأوضاع ـ يُعتبر إهداراً للقوى البشرية وضياعاً للوقت والمال، فى زمن يحتاج إلى ترشيد العمل والإنتاج وإلى مسايرة التقدم العالمى.



المبحث الثامن عشر

الزوجة (الأم) العاملة وآثار العمل على العلاقات الأسرية

تعمل المرأة دائمـا أيّا كان موقعها، ولـكن يختلف هذا لعمل بـاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها. فـالمرأة الريفية والمرأة الحضرية تسهمان فى الإنعاش الاقتصادى لأسرتيهما، ولكن لكل منهما طريقتها الخاصة المميزة.

وقد أتاح المجتـمع الصناعى الحديث والتقنـية الحديثة للمرة الأولى الـفرصة أمام المرأة للالتحاق بالعمل والمساواة بالرجل والحصـول على أجر نظير هذا العمل. وبالتالى المشاركة الإيجابية فى ميزانية الأسرة.

وتتأثر الحياة الزوجية والعلاقات الأسرية بعمل الزوجة فى العصر الحديث. وهناك أسئلة عـديدة تظهر دائمـاً عندما تلتـحق الزوجة بالعـمل مثل: ما هى آثـار عمل المرأة المتزوجـة على تغيـر حال الأسرة؟ هل الـتحاق الزوجـة بالعمل يـكون لتعاسـة الأسرة واحتـمال وقوع الـطلاق بين الزوجـين؟ هل يتعـرض الأطفال الذيـن تعمل أمـهم إلى الانحراف أو المشاكل الشخصية؟ وما هى طبيعة العلاقات الداخلية بين أفراد الأسرة التى تكون الأم فيها عاملة؟.

آثار عمل المرأة والعلاقات الأسرية:

يلاحظ أن غالـبية الأسر التـى تكون الزوجة فيـها عاملة يـرحبون بهذا الـعمل، ويعتبـرونه مصدراً هامًا وأساسـيًا فى زيادة دخل الأسرة، ورفع مـستوى المعيشة فـيها. وتؤكد معظم الأسر التى تعمل فيها الزوجات عدم وجود أى دليل على أن عمل الزوجة (الأم) يكون له أثر سـيئ على الأطفال، أو عـلى العلاقة بيـن الأم وأولادها. حيث إن الزوجات العاملات يلجأن إلى طرق متعددة لرعـاية أطفالهن أثناء غيابهن فى العمل مثل الاستعـانة بأم الزوجة أو حمـاتها أو خادمة أميـنة أو إلحاق الطفل بإحدى دور الحـضانة حتى يصـل إلى السن التى تمكنـه من الالتحاق بالمـدرسة. وهذا ينطبق عـلى الأسر فى الفئات المـتعلمة التى تعـيش فى المناطق الحضريـة، أما الزوجات العاملات فـى الفئات الفقيرة والريفية، فإن الدافع الأول لالتحاقهن بالعمل هو ظروفهن الاقتصادية المنخفضة، والحاجـة الملحة إلى المـساعدة فى إعـالة أسرهن، وهـن فى العادة لا يجـدن أى إرضاء



للذات أو سعادة فى عملهن، حيث إن الزوجات اللائى يقررن أن ذهابهن للعمل يكون لإرضاء الذات وتحقيق الشخصية ينحصرن فى الفئة الحاصلة على درجة عالية من التعليم. أما مسألة مساواة المرأة بالرجل نتيجة التحاقها بالعمل، فلم تنظر إليها أسرة واحدة باعتبارها السبب الذى من أجله تلتحق الزوجات بالعمل ولكنها قد تكون عاملا جانبيا.

أى أن الحقيقة التى تستطيع البيانات الخاصة المتوافرة والتى تؤكدها البحوث أن العامل المادى هو السبب الرئيسى الذى يدفع الزوجات إلى الالتحاق بالعمل، حيث يبرز الأزواج الذين يوافقون على هذا الرأى بما يلى:

(أ) المرأة العاملة قادرة عل تحمل المسئولية ومواجهة الصعاب.

(ب) المرأة العاملة أقدر على مساعدة زوجها فى الإنفاق على الأسرة.

(جـ) إن عمل المرأة يساعد على رفع مستوى معيشة الأسرة.

(د) العمل حق لكل مواطن بما فى ذلك المرأة.

(هـ) تعمل المرأة لتشغل وقت فراغها.

(و) عمل الزوجة ضمان لمستقبل الأسرة والأولاد.

وعموما فإن جميع الأزواج الذين يفضلون أن تعمل زوجاتهم، تكون الزوجة فى نظره قادرة على تحمل المسئولية ومواجهة الصعاب (وفى هذا تقدير كبير للزوجة العاملة) إلى جانب المشاركة الفعالة فى نفقات الأسرة، وحتى لو كان فى إمكان الزوج النهوض بجميع متطلبات أسرته، فإن عمل الزوجة يؤدى إلى رفع مستوى المعيشة ويكون ضماناً لمستقبل الأسرة.

ويؤيد ذلك أن التغير التقنى، وما أتاحه من أدوات وإمكانيات، عاون الأسرة على التغلب فى الوقت والجهد فى إدارة الشئون المنزلية، الأمر الذى خلق ظروفا ملائمة لقيام المرأة بعمل مستقل عن عمل زوجها خارج المنزل. وهناك اعتقاد بأنه لو أتيحت للزوجات غير العاملات فى فئات الأسر المختلفة نفس الظروف التى أتيحت لمن يعملن، لما ترددن فى الإقبال على العمل، ومعنى هذا أن تغير الأسرة بتأثير التكنولوجيا وفى ظروف ملائمة سوف يؤدى إلى اتساع نطاق عمل المرأة ليصبح ظاهرة فى المجتمع، وإذا وسعنا مفهوم العمل ليشمل القيام بأى عمل إنتاجى أو له طبيعة اقتصادية من زاوية الأسرة، فإن كل الزوجات هن عاملات بالفعل.



موقف الأزواج من عمل الزوجة:

كان من الطبيعى استكمال لتحليل موقف الأزواج من عمل الزوجة، أن نظن على وجه التحديد وعن طريق متغيرات متعددة الأسباب التى تكمن وراء عدم الترحيب بعمل الزوجة. وقد تبين أن السبب الرئيسى هو رغبة الزوج فى أن تتفرغ الزوجة لرعاية الزوج والمنزل والأولاد، بينما يرى البعض أن حالتهم المالية طيبة ولا يحتاجون لمساعدة الزوجة المالية بالتحاقها بالعمل.

هذا، ويلاحظ أن نسبة كبيرة من الأزواج الذين لا يرحبون بعمل الزوجة كانوا يعبرون عن موقف متميز يعبر عن موقف نظرى أو يبدون مجرد رأى، وخاصة أن زوجاتهم لسن من الخبرة أو ليس لديهن المؤهلات التى عن طريقها يُمكن أن يلتحقن بأعمال ملائمة من وجهة نظرهم، وربما اختلف الرأى لو كان الوضع غير ذلك. كما أن كثيرا من الأزواج ممن تعمل زوجاتهم بالفعل قد لا يوافقون من حيث «الرأى والمعتقد» بعمل الزوجة وإنما يخضعون للأمر الواقع أو لضغط ظروف المعيشة، أو بمعنى آخر يكشف كثير من الأزواج عن اتجاه محافظ واضح إزاء عمل الزوجة بصفة عامة.

هكذا يظهر مدى مقاومة الأزواج لنتائج التغير الاجتماعى والتقنى ونوع المعوقات التى يضعونها تبريراً لعدم ترحيبهم بعمل المرأة. ولكن تأثير التغير يظهر بوضوح فى مدى استجابة المرأة للتغير فى صورة ترحيبها كزوجة بالعمل ورضاها عنه وتمسكها به. وخاصة فى حالة حصول المرأة على مؤهل علمى مناسب.

وبالنسبة لهذه الفئة نستطيع أن نقول أن التغيرات الاجتماعية والتقنية أتاحت للمرأة أن تقوم بدور فعال فى جميع مجالات العمل، حيث أظهرت كفاءة عالية، ويرجع ذلك إلى زيادة الاهتمام بتعليم المرأة وإعطائها فرصة مساوية للرجل. فقد حول عصر الصناعة أنظار الناس إلى العمل، فأصبحوا ينظرون إلى العمل على أنه نشاط ضرورى فى حد ذاته لنمو الشخصية إلا أن عدم التحاق المرأة بالعمل، ما زال يعتبر شيئاً مقبولا (بعكس الرجال) لأنها إذا لم تعمل خارج المنزل، فيكفى أنها تقوم على رعاية شئون أسرتها. ومع ذلك فالعمل خارج المنزل أصبح جزءا هاماً فى حياة كثير من الزوجات حتى لو تحملن إلى جانبه القيام بأعمال المنزل، وقد فتح التحاق المرأة بالعمل أمامها مجالات واسعة من النشاط الاجتماعى وأحدث تغييرات هامة فى مكانتها فى المجتمع.

وفى نفس الوقت حدثت تغييرات فى حياة الأسرة عندما زاد اضطلاع المرأة بمسئوليات كانت من قبل من مسئوليات الرجل. وبالرغم من التغيرات فى مركز المرأة



الذى صاحب التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية إلا أن ذلك لم يكن فى صالحها على طول الخط.

مدى تمسك المرأة العاملة بالعمل:

يظهر بوضوح مدى تمسك المرأة (الزوجة) بالعمل وعدم ترحيبها بتركه، حتى لو لم يكن العمل من أجل عوامل اقتصادية، ذلك أن التغير الذى طرأ على المجتمع بوجه عام قد سوى بين الرجل والمرأة فى الحقوق المدنية وأتاح لها فرصة متساوية للتعليم والعمل حتى أعلى مستوياته المتخصصة، قد جعل من الممكن للزوجة القادرة على العمل أن تطالب به تأكيداً لذاتها من ناحية، وتأكيداً لمساواتها بالرجل من ناحية أخرى . . وقد ساعدها على ذلك من غير شك ما طرحته التكنولوجيا المعاصرة من أدوات جعلت المرأة تتخفف من العمل المنزلى ولا تكون أسيرة له، كما أن تنظيم الأسرة فى بعض المجتمعات دعم مركز المرأة التى تتجاوب مع الرغبة فى تقليل الإنجاب، وأسقط كثيراً من حجج الرجال فى إنجاب عدد أكبر، تلك الحجج التى كانت تجد آذاناً صاغية فى عصر سيطر فيه نمط الأسرة الممتدة.

وخلاصة القول أن الأسرة النواة غير المنعزلة يمكن أن تكون سبباً فى ازدياد عمل المرأة من حيث معدله، والذى يمكن أن يكون نتيجة لتعليم المرأة واشتغالها واستقلالها الاقتصادى.

ومن أجل التوفيق بين العمل فى الخارج وأعباء الأسرة ورعاية الزوج والأطفال تلجأ الزوجات العاملات إلى وسائل متعددة، ولكن ذلك يختلف باختلاف الفئة التى تنتمى إليها الزوجة. وقد تبين أن غالبية الزوجات العاملات يلجأن إلى تنظيم الوقت بدقة والاستعانة بالخدم، واستخدام الأدوات المنزلية الحديثة، وإرسال الأولاد إلى دور الحضانة والمدارس، وقد ظهرت أهمية وضرورة الأدوات المنزلية الحديثة بشكل واضح كوسيلة رئيسية تساعد الزوجة فى التوفيق بين الالتحاق بالعمل ورعاية شئون الأسرة. والملاحظة الهامة أن معظم الزوجات العاملات ينظرن إلى هذه الأدوات باعتبارها عاملاً رئيسياً، يمكنهن من التوفيق بين العمل ورعاية شئون الأسرة، إلا أن هذه الأدوات مازالت غير متوافرة عند كثير من الأسر لارتفاع أسعارها وانخفاض المستوى الاقتصادى للأسرة.

نتائج عمل الزوجة ومركزها فى الأسرة:

نستطيع أن نصل إلى النتائج التالية بالنسبة لعمل الزوجة ومركزها فى الأسرة:



١ ـ أن الزوجة كامرأة قد أتيح لها نظرياً وعملياً أن تتعلم وأن تعمل وأن تستقل اقتصادياً، وأن تتمسك بعملها وأن تشارك فى مسئولية رعاية الأسرة داخلياً وخارجياً. وما أتاحته الأدوات التكنولوجية من إمكانيات، استطاعت المرأة عن طريقها أن تجد من الوقت ما تستغله إما فى نشاط إنتاجى داخل الأسرة أو عمل له طابع اقتصادى خارجها. ومع أن نسبة الزوجات العاملات ما زالت نسبة ضئيلة بالقياس إلى مجموع الزوجات فى المجتمع، فإن هؤلاء يعملن بصورة أو بأخرى وزادت مسئولياتهن داخل المنزل بشكل لم يكن موجوداً فى الأسرة الممتدة.

٢ ـ كان من المتوقع نتيجة إقبال بعض الأسر على تنظيم النسل واستخدام الأدوات التقنية واشتغال الزوجة، أن تتناقص مسئولية المرأة داخل الأسرة وخاصة فيما يتعلق بالشئون المنزلية، حيث كان شائعاً أن المرأة العاملة تصرف من الوقت والجهد على حساب رعايتها للوحدة الأسرية. ولكن تبين أن الزوجة ما زالت تحمل مسئولية إدارة المنزل إلى جانب تحمل مسئولية الوظيفة، كما تشرف فى نفس الوقت على رعاية الأطفال ومراقبة سلوكهم، فكأن عمل المرأة فى هذه الحالة لم يقلل أو ينقص من المسئوليات التقليدية التى كانت تضطلع بها الزوجة فى تاريخ الأسرة الإنسانية.

٣ ـ لا نستطيع أن ننكر أن العلاقات الأسرية فى الأسرة التى تعمل فيها الزوجة قد تأثرت بعمق، وإن كانت نتائج ذلك تختلف من فئة لأخرى، ويعكس هذا الاختلاف المستويات الاقتصادية والثقافية والميول، ومن أبرز جوانب التأثر ذلك الصراع الظاهر أو المستتر بين الزوج والزوجة على السيادة والميزانية والادخار ومعاملة الأطفال والصلة بالنسق القرابى وتمضية وقت الفراغ وغير ذلك من المسائل التى طرحها وأفزها التغير الاجتماعى بوجه عام، ومن المتوقع ازدياد هذه المؤثرات على العلاقات الأسرية، ولكن ليس إلى الدرجة التى تسبب انهيار الأسرة، كما تميل إلى تأكيد ذلك النظريات ذات الطابع التشاؤمى.

٤ ـ ومع أن وسائل التقنية الحديثة، قد أتاحت للمرأة وخاصة المتعلمة، فرصاً عديدة للعمل وقضاء وقت الفراغ بصورة متنوعة، إلا أنه من غير شك، ونظراً لعدم ارتياح الرجال إلى أى تخفف من جانب المرأة من حيث مسئولياتها كامرأة وكزوجة، فإن العبء الملقى على الزوجة فى هذه الحالة أصبح عبئاً مضاعفاً، مما يسبب لكثير من الزوجات الإرهاق والإحساس الدائم بالتعب، وربما فقدان الصفات المميزة للأنوثة التى يُفضلها الرجال نتيجة لتعرضها لما يطلق عليه صراع الأدوار.







المبحث التاسع عشر

المسنون ومشكلات الشيخوخة مع الأسرة في المجتمع المعاصر

لا تخلو أسرة وخاصة فى المجتمعات الإسلامية والعربية إلا وفيها من المسنين ومن الشيوخ من الأجداد من الذكور والإناث، وما يترتب على ذلك من علاقات بين الأبناء والأحفاد، مع من يحتاجون من المسنين إلى رعاية دائمة وتواصل فى تقديم الخدمات التى تقدم لهم طواعية أو كراهية، رغم ما يكفل ديننا الحنيف من الاهتمام التام بهم، كلما تقدمت أعمارهم.

مشكلات المسنين والشيوخ:

تمثل مشكلة المسنين فى المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء، أبرز المشكلات الاجتماعية فى العالم المعاصر، نتيجة لعمليات التغير الاجتماعى التى تواجه المجتمعات أيًّا كان نسقها أو تحضرها.

وقد أسهمت عوامل كثيرة فى زيادة عدد مشاكل المسنين فى العالم المعاصر، نظراً لتحسين الشروط الصحية وازدياد معدلات العمل المتوسط فى معظم المجتمعات نتيجة عمليات التغير الاجتماعى التى طرأت على المجتمعات، وما رافق ذلك من التطور الصناعى والتقنى، وما تبع ذلك من تغير نمط معيشة الناس، وحيث أصبح المسن يجد نفسه أحياناً وحيداً بعد زواج الأبناء وتكوينهم أسراً مستقلة.

ولقد كان نتاج هذا التصور آثاراً نفسية واجتماعية على المسنين، حيث يفتقد البعض منهم أولاده فى الوقت الذين هم يحتاجون إليه، ليس فقط من حيث الاحتياج المادى من طعام وشراب وكساء، بل كذلك من الناحية النفسية، وحيث الحاجة العامة من قبل المسنين للرعاية الاجتماعية من قبل الأبناء، والشعور بالأمن والاطمئنان والانتماء والتقدير والاحترام، وحيث تزداد الحاجة إلى هذه المشاعر عند التقدم فى العمر بدلاً من الشعور بالنبذ.

ونعرض فيما يلى بعض المشكلات الصحية والنفسية والاجتماعية للشيخوخة، والتى تحتاج إلى رعاية القائمين على شئون الشيوخ والمسنين، داخل الأسرة من الأبناء والأحفاد أو من المسئولين فى المجتمع.



المشكلات الصحية:

نتيجة للتغيرات العضوية وما يصاحبها من تغيرات حيوية ووظيفية عند الشيوخ والمسنين، نجد أن المشكلات الصحية التى يعانى منها الشيوخ تصل إلى ضعف أو ثلاث مرات حجم المشكلات الاجتماعية لهم. وبطبيعة الحال تلقى هذه المشكلات عبئاً على الأجهزة والأفراد الذين يعايشون المشكلات الصحية بوجه عام.

ومن المظاهر العامة للمشكلات الصحية للشيخوخة ما يأتى:

١ ـ لا يصاب الشيوخ بمرض واحد، بل إن أجسامهم تصاب بعدة أمراض فى نفس الوقت.

٢ ـ قد يُصاب الشيوخ بأمراض ليس لها أعراض.

٣ ـ ترتفع نسبة الإصابة بالأورام الخبيثة بين الشيوخ. وفى دراسات إحصائية عن أسباب الوفاة عند الشيوخ، وجد أن مسببات الوفاة ما يمثل النسب التالية:

٣٠٪ نتيجة لأمراض القلب والدورة الدموية.

٣٠٪ نتيجة للأورام الخبيثة.

٤٠٪ نتيجة لباقى الأمراض مجتمعة.

المشكلات الأسرية:

نتيجة للتطور الحضارى القائم فى مختلف المجتمعات فقدت الأسرة مكانتها بين أفرادها، وصاحب ذلك مشكلات عاطفية ومادية وعلاجية، وخاصة مع كبار السن الذين يتباعد أبناؤهم عنهم مما تكون له آثاره السلبية على الحياة النفسية والاجتماعية للمسنين.. فمن المشكلات والمتاعب والضغوط التى يواجهها الشيوخ والمسنون، نتيجة للعلاقات الأسرية التى لا تكون فى مسارها الطبيعى:

١ ـ الشعور بالفراغ والوحدة، وخاصة عند أحد الزوجين المسنين.

٢ ـ القلق بسبب التحول فى المكانة الاجتماعية داخل الأسرة.

٣ ـ رتابة الحياة، وخاصة عند التوقف عن العمل أو انكماش الأعباء المنزلية أو الأسرية.

٤ ـ الحساسية الناجمة عن الشعور بافتقاد اهتمام الأهل والأقارب.

٥ ـ المشكلات النفسية التى قد تتحول إلى حالات مرضية.

٦ ـ المشكلات الصحية أو المادية.



المشكلات الجنسية:

فى حال بقاء الزوجين معاً فى مرحلة الشيخوخة قد يكون هناك عنَّة أو نقص فى المقدرة الجنسية أو نقص فى الرغبة الجنسية أو ما يُعرف بالنفور الجَنسى Sexual Aversion أو الاهتمام الجنسى، وما يترتب على ذلك من مشكلات نفسية واجتماعية.

بل قد تكون هناك فروق فى السن والحاجات الجنسية بين الزوجين، اللذين يكون أحدهما فى الشيخوخة، والآخر ما زال فى مرحلة الرشد أو الشباب، أو عند حدوث الترمل أوالطلاق أو العنوسة، وحيث يتبع ذلك الكبت والرغبة الجنسية الشديدة، أو اللجوء إلى بدائل قد تضفى المتاعب العضوية والنفسية.

وفى حال الزواج من جديد، قد يصر الشيوخ على الزواج من زوجات أصغر سنًّا، وقد يسبب ذلك مشكلات عدم التوافق النفسى والاجتماعى والجنسى إن عاجلا أو آجلاً.

وقد تسبب المشكلات الجنسية مشكلات وتغيرات انفعالية وعاطفية نتيجة لضعف الطاقة الجنسية أو التشبث بها، إذ قد يتصابى الشيخ عندما يتزوج من فتاة تصغره فى العمر، وإذا ما ضعف جنسيا قد يلقى اللوم عليها ويبدأ فى الشكوك والأوهام.

وقد تكون هناك العجوز المتصابية، وحيث يكون هناك بعض المتقدمين فى العمر من الذكور والإناث، ممن يأتون سلوكاً لا يستحسن، ولا يوقرون شيبهم، نتيجة لما يعرف بالشيخوخة الصبية Agerasi .

وقد ظهر مؤخرا علاجات فى مجال الطب، وهى علاجات مؤقتة أو وقتيه تكلف البعض الكثير اقتصاديا وصحيا مثل الحبوب التى يطلق عليها «ڤياجرا» وقد لجأ إليها الكثير من المسنين.

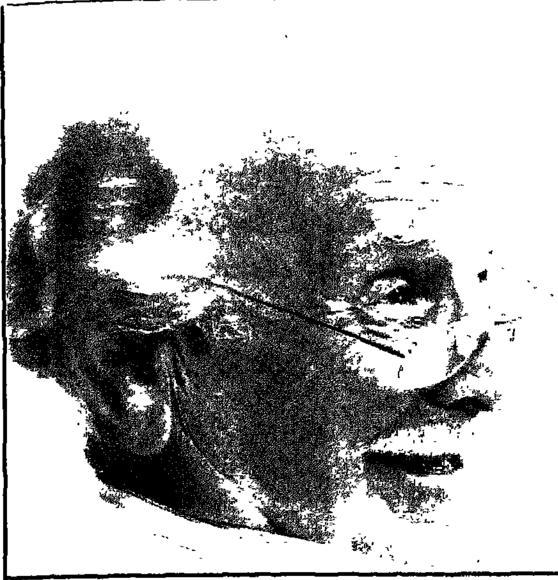
مشكلات التقاعد:

حيث كان هناك العمل والمكانة الاجتماعية وتقدير الذات والقوة والعلاقات الاجتماعية مع الرؤساء والمروسين. وبعد أن كان الفرد ملء السمع والبصر، يصبح متقاعداً بلا عمل أو كيان اجتماعى.

والتقاعد المفاجئ، يُوجد الفراغ والملل، حيث لا تتوافر فرص العمل وتضعف المكانة الاجتماعية، وقد يلجأ الشيوخ إلى التجوال فى الشوارع دون هدف محدد، أو الجلوس على قارعة الطريق ينظر للغادى والرائح، أو الجلوس على المقاهى وتمضية الوقت فى لعب النرد والنميمة عند البعض.

وقد يتسبب نقص الدخل الشعور بالضيق والقلق الدائب وعدم تقدير الذات بل





تحقير الذات (ذل النفس) Self Abasement لذلـك من النـاحيـة النفسية، لا تمثل مشكلة التقاعد عن العـمـل فقـط، بل تمـثل مـشكـلة عضوية نفسية، حيث يصاحبها ـ فى الأعم ـ التوتر والقلق والخوف، بل قد يترتـب عنها الانهيار الـعصبى، وحيث يبـدو التقاعد وكأنـه «تقاعد عن الحياة» وقد يحـكم الشيخ على نفسه بالانعزال التام وعلى أنه طريقه إلى النهاية والممات.

والواقع أن التقاعـد يُعتبر من المشكلات التى أوجدها الإنسان. إذ إن التقاعـد قد يؤدى إلى البطالة، رغـم أن الشيخ ما زال قادراً علـى العمل، وإذا أراد الشيخ العمـل بعد التقاعد فإنه قـد يواجه بعض المشكلات، إذ إن فرص العـمل المناسبة والمتاحة أقل، كما أن جـهات العمل ترغب فى قيادة الشباب نتـيجة أن الاتجاه السائد أن الشيـوخ أقل إنتاجـية، وأكثـر عُرضة للحـوادث مما يرفع معـدل المخاطر والخسارة فى العمل، هذا بالإضـافة إلى أن التقدم العلمى الـتكنولوجى المعاصر، يجعـل من الشيوخ فريقاً متخلفاً من النواحى الفنية والتكنولوجية عن التقدم العلمى المعاصر.

ومما يزيد من مشـكلة التقاعد، أن من مضـاعفاته الانهيار العصـبى، وخاصة إذا فُرضت على الشيخ بعد التقاعد الفجـائى، أسلوباً جديداً من السلوك لم يألفه من قبل، ولا يجد فى نفسه المرونة الكافية لسرعة التوافق معه، وخاصة إذ لم تتح فرص الاستعداد لهذا التغيير. أو أن التغيير تم فجـأة، أو إذا أشعره الناس بأنه قد أصبح لا فائدة منه بعد أن كان نفعه ظاهراً لكل الناس.

مشكلات وقت الفراغ:

يترتب على عدم وجود ما يشغل الوقت الضائع عن الشيوخ أو العمل المناسب أو التقاعد وفقدان العـمل أو فقدان الرفقة Mates أو عدم القدرة على اختـيار قرائن جدد Mate Choice أو تقـلص الدور الاجـتـمـاعى Social Role فى الحـيـاة الأسـرية والاجتماعية، أو عـدم القدرة على استغلال الطاقة والاهتمامـات، يترتب على هذا كله مشكلات تؤثر على الحياة النفسية والاجتماعية عند الشيوخ والمسنين.



مشكلات الشيخوخة المبكرة عند النساء:

يُعتبر سن اليأس بداية الشيخوخة عند النساء عندما يبدأ انقطاع الدورة الشهرية، حيث يعتبر نشاط المبيضين من دلائل سن الشباب عند المرأة.

ويتراوح سن اليأس فى الأعمار ما بين ٤٥ ـ ٥٠ سنة. وانقطاع الطمث يتم فجائيًا أو تدريجيًا. ومن الناحية الفسيولوجية ناجم عن عجز المبيضين عن إفراز الهرمونات الخاصة بهما.

وهناك فروق فردية فى التكيف والتوائم، وتقبل الظروف الجديدة، والتكيف فى سن اليأس: فمن حيث كانت الوظيفة الطبيعية للمرأة فى الحياة هى الإنجاب، فإن توقفه يُحدث التوتر والضيق وعدم تقدير الذات عند بعض النساء، وفى هذا ما يُسبب عدم احترامها لذاتها وفقدان الثقة فى الذات Self distrust. هذا من حيث أن البعض يتقبلن حياتهن بدون اضطرابات عصبية أو عاطفية.

وهناك مجموعة أخرى من النساء تعانى من هزة عاطفية وقلق نفسى مصحوب بأرق وسهاد وارتعاش فى الأطراف. كما تشكو عامة النساء فى تلك الفترة، من إحساس بالسخونة واحمرار الوجه مع عرق بارد على الجبهة، كما أن البعض قد تصاب باكتئاب شديد يُفضى عند البعض بالإقدام على الانتحار.



وقد تعانى البعض من النساء، من زيادة ظاهرة فى الوزن بدرجة كبيرة وتصاحب هذه البدانة التهابات مزمنة بالمفاصل. وربما بفقدان القدرة على الحركة من فرط الألم، فى حين أن العظام تبدو وقد نفدت الكثير من الكالسيوم فى أوائل سن اليأس كما يظهر بعض الشعر الغامق على الذقن وحول الشفاه.

وقد تشكو الكثرة من النساء من حكة جلدية وهرش فى الأجزاء الظاهرة من الأعضاء التناسلية، وبعضهن تقاسى من جفاف فى الغشاء المخاطى للمهبل مصحوبا بألم فى التبول ونزول بعض الإفرازات.



والمريضات اللائى يعانين من سن اليأس بصورة غير طبيعية، يمكن إعطاؤهن بعض المهدئات للتخلص من الاكتئاب ولإبعادهن عن المضاعفات العصبية واللجوء إلى الاستشارات الطبية النفسية.

ومن الناحية الطبية يمكن الاستعانة بخلاصة المبيض لعلاج التغير فى هرمونات الجسم، لكن ذلك قد يؤدى إلى نتائج عكسية فى بعض الحالات.

كما يمكن أيضا علاج السمنة بالإقلال من الطعام ما أمكن وتنظيم مواعيد الأكل.

إدمان المخدرات والعقاقير المخدرة:

سلوك الإدمان قد يبدأ فى الأعمار المبكرة، فى المراهقة والرشد والشباب وقد يمتد بذلك سلوك الإدمان إلى المتقدمين فى أعمارهم، وخاصة فى الأعمار المبكرة من فئات المسنين، وحيث يُمثل الإفراط فى شرب المسكرات سبباً جوهرياً فى استمرار تعاطى المسكرات، وخاصة بين الأرامل من كلا الجنسين أو المطلقين، أو الذين يشعرون بالعزلة الاجتماعية.

والإفراط والمغالاة فى شرب المسكرات أو تناول المخدرات أو العقاقير المخدرة، غالبًا ما يؤدى إلى اختلالات عضوية ووظيفية وحيوية وقد يصاحبه زملات عصبية مخية حادة، تزداد بزيادة القصور البدنى، الأمر الذى يحتاج إلى إيداع المسن فى مستشفى خاص أو تحت العلاج الطبى والذى قد يحتاج إلى زمن طويل، والعلاج الخاص بإدمان الكحوليات يرتبط بالظروف الصحية والاجتماعية والاقتصادية للمدمن، الأمر الذى يجعل مسار العلاج يتوقف على معاونة المريض مع هيئة العلاج لمساعدته على تعديل سلوكه، وحل مشكلاته الشخصية البيئية.

وقد يكون الإدمان على العقاقير المخدرة مثل المنومات والتى قد تستخدم لتخفيف الآلام المرضية المزمنة.

أو قد يكون الإدمان على المقويات، والتى قد تحدث مضاعفات عند كبار السن، إذ إنها غالباً ما تحتوى على كحوليات أو عقاقير مخدرة.

مما سبق أوردنا بعض المشكلات النفسية والاجتماعية للشيخوخة، وهى على سبيل المثال وليست على سبيل الحصر، كما أنها لا تختص بجنس دون آخر.

ومن المعروف أن هذه المشكلات يتبعها فى بعض الأحوال اضطرابات واختلالات ذهانية وعصابية.



المبحث العشرون

بدائل الأمهات والمربيات والآثار على الحياة الأسرية

تربية ونماء الصغار - هى مسئولية الوالدين بصفة عامة ومسئولية الأم بصفة خاصة - ومن المفروض ألا توكل هذه المسئولية لأفـراد من خارج الأسرة، حيث تبين أن الطفل فى عمر ٣ - ٥ سنوات يعانى من أضرار كثيـرة، إذا قامت الأم بترك رعايته بين أقاربائها وأقرباء زوجها أو بين يدى المربيات والخادمات، وخاصة إذا كانت المربية أجنبية، ومن ثم فهى لا تتعـامل مع الطفل بلغته أو لا تـدين بالدين الحنيف، ومن هنا تظهـر مشاكل لا حصر لها فى تربية ونماء الصغير.

مرحلة الطفولة المبكرة ومسئولية الأم:

درس عدد من البـاحثين تأثيـر الافتقار إلـى رعاية الأم على أطفال المـؤسسات، وتبين أن الطفل يتأثـر فى الأسابيع الأولى من ميلاده تبدو آثار سيئـة عندما ينفصل عن الأم.

والطفل الذى لا يحس بالأمن بل يفتقده، لا يستشعر رعاية الأم وحنوها له، بل قد يسىء تفسير الأحداث من حوله.

فالسنوات الخمس الأولى مـن الطفولة المبكرة فى حياة الطفل، هى مـسئولية الأم وحدها وليـست مسئولية بدائـل الأمهات أو المربيات أو الخادمـات. ويجب على الأم - حتى فى حال عملها أن تنظم حياتها، بحيث تكون مسئولية كاملة عن صغيرها.

ورعاية الأمومة فى بـداية الطفولة، بل فى مرحلة الطفولـة المبكرة تُعد من أسس الصـحة النفـسيـة. لذلك فـإنه يجب المحـافظة على الـطفولـة، من خلال قنـاعة الأم ومسئوليتها بأمانة ورعاية لصغـارها. وانفصال الأم لمدة طويلة عن صغيرها، وإن عهدت به إلى أمها أو أم زوجها أو إلى ابنتها الكـبرى، أو إلى مربية أو خادمة، خلال السنوات الأولى من عمر الطـفل، يُعتبر من أهم الأسبـاب فى تكوين شخصيتـه. وفى إحساسه ببعد الأم عنه، وقرب بدائل الأمهات أو المربيات أو الخادمات فى حياة الطفل.



المربيات وآثار تعاملهن مع الصغار:

ازدادت الرغبة فى السنوات الأخيرة فى استقدام المربيات والخادمات والعاملين فى البيوت كسائقين لأبناء الأسرة. وترتب على ذلك مشكلات عديدة كان لها آثارها السلبية فى المجتمع العربى بصفة عامة.

وحتى نتبين دور الأسرة فى المجتمع الحديث، علينا أن نولى هذا الموضوع اهتمامنا من خلال ما نؤكده من اعتبار البيئة المنزلية عاملاً هاماً فى تربية الطفل وتلقينه قيم المجتمع والقيم العادية وإكسابه أنماط رد الفعل التى يرضى عنها المجتمع، فالأسرة عامل رئيسى فى جنوح الأحداث وهى أساس المجتمع وتؤدى وظائفها الحيوية التى تكفل استمرار المجتمع فهى تقوم بإشباع الدافع الجنسى لدى الأفراد كما تقوم بإنجاب وتنشئة الأعضاء الجدد بالمجتمع وإشباع حاجة الأفراد إلى الأمن والطمأنينة. فالأسرة هى الخلية الأولى للجميع فمسئوليتها إذن مسئولية كبيرة.

كما أن تطور المجتمع اقتصاديا واجتماعياً فى كثير من المجتمعات العربية، أدى إلى تغير بعض البنى الاجتماعية فى المجتمع. فقد أدى التطور الاقتصادى البحرينى إلى تغير نسبى فى طريقة الحياة فى الوقت الحاضر فأدى بدوره إلى التقليل من دور الأسرة نحو الأبناء. فالتطور الاقتصادى المحلى فى الدول العربية أدى إلى زيادة متطلبات الحياة، كما أن النهضة التعليمية فى البلاد ودخول المرأة بأعداد كبيرة فى سوق العمل ومشاركتها جنباً إلى جنب مع الرجل، أدى إلى الحاجة إلى رعاية الأطفال بالنسبة للأمهات العاملات، إذ تعذر قيام الأقارب بذلك بالإضافة إلى قصور خدمات رعاية الطفولة.

والمتابع للإحصائيات على مدى دخول المرأة العربية لكثير من الميادين التى كانت وما زالت لدى البعض من دول المنطقة بعيدة التحقيق، يرى أنه من الطبيعى أن يكون لهذه الظاهرة آثارها العميقة فى تغيير وتطوير المركز الاجتماعى لها وأدوارها ووظائفها فى المجتمع، كما كانت لها آثارها على العلاقات الاجتماعية التى تربطها بمختلف النشاطات التى تقوم بها. وقد ترتب على هذه الظاهرة ترك المرأة بيتها وأطفالها مستعينة بالمربية لكى تقوم بتوفير الخدمة والرعاية للبيت والأبناء أثناء ساعات العمل الرسمى الذى تتغيب فيه ربة الأسرة عن البيت.

ولا يُعتبر هذا هو السبب الوحيد فهناك أسباب أخرى أقل وضوحا وأقل أهمية فى ذلك لربة البيت والمرأة العاملة وكبر حجم الأسرة (كثرة عدد الأفراد). وقبل إيضاح تأثير المربية على كل من الأسر والأطفال يتحتم تقديم تعريف دقيق للمربية بصفة عامة.



فالمربية هى التى تقوم برعاية الجيل الجديد وإعطائه الحب والحنان وتغرس فيه قيما دينية ومجتمعية وتبنى فيه حب الوطن والانتماء إليه.

وفى بعض الدول العربية، توجد مربية أو خادمة لكل أسرتين ونصف، وهذه مسألة لا يمكن تجاهلها بأى حال من الأحوال، لأنها تتزايد يوماً بعد يوم وتتزايد معها آثارها السلبية على المجتمع الإسلامى والعربى. وهذا من شأنه أن يؤثر فى وظائف الأسرة، وبخاصة فى وظائفها الخُلقية والدينية وطبيعة التنشئة الاجتماعية والثقافية بصفة عامة.

أثر المربيات على لغة الأطفال وثقافتهم:

لو أخذنا اللغة كمثال نجد أن الكثير من الدراسات فى كل من علم النفس التعليمى والارتقائى، قد أثبت أن كلا من لهجة الأب والأم تؤثر فى مفردات الأولاد وشكل الجمل وتركيبها. فإذا عهد لمربية أجنبية أيًّا كانت جنسيتها بتربية طفل منذ نعومة أظافره، فسوف يكون مردود هذا تغيير اللسان العربى والفكر العربى، وهما من ركائز وإبداع الشخصية العربية. ونحن فى أشد الحاجة إلى تقويتها وتنميتها بدلاً من إضعافها وتفتيتها، خاصة ونحن فى هذا العصر الذى أصبحنا فيه مقلدين للثقافة الأوربية وتتبع خصائصها الواهنة، وترك خصائصها العلمية القوية، إذ إن الحصيلة اللغوية للطفل تتأثر بالمحيط الذى تنتقل إليه من خلاله، فطول فترة جلوسه مع المربية أو الخادمة ونتيجة عنايته به، يلتقط عن طريقها ألفاظها ولغتها، بل وحتى ثقافتها عن طريق الأغانى التى تسمعها له، والقصص التى تحكيها له كل هذا يكون على حساب لغتها العربية.

بالإضافة إلى ذلك تحاول بعض المربيات التكلم باللغة العربية بأسلوبهن الخاص، ونتيجة لاختلاف الألفاظ واللكنة، فإنها تعطيه لغة ركيكة أبعد ما تكون عن اللغة العربية، أما اللغة الإنجليزية فإنها تنقلها له بمفردات مشوهة، لا تعبر عن معانيها، وضحلة وغير متقيدة بقواعد اللغة.

هذا، وإن وجود المربية الأجنبية التى لا تجيد التواصل باللغة العربية، يشكل عائقاً فى سبيل النمو اللغوى عند الطفل، وفى سبيل نموه الفكرى والاجتماعى عن طريق لغته القومية. هذا بالإضافة إلى محاكاة الطفل لها فى مفردات لغتها وبناء جملها وفى هذا ما فيه من فرض قيود على النمو الفكرى للأطفال، وتقييد ألسنتهم وتعجيزهم عن التفاعل بلغتهم القومية، التى هى جزء جوهرى من بناء الشخصية وتكاملها وتفجير طاقاتها الكامنة وتحقيق الطفل لذاته.



ونتيجة لما لهذه المحيطات من خصائص تتميز بها نتيجة ثقافتها وخلفيتها الاجتماعية، فإن هذا يتضح من شخصيتها ومن معاملتها للطفل، وبين ما توصله له من قيم ومبادىء وعادات تختلف اختلافا كبيراً عن ثقافة ذويه. وهنا يعيش الطفل فى متناقضين بين ثقافة أهله وثقافة مربيته، وغالباً ما يميل إلى مربيته لإحساسه بقربها منه، وهذا يوقعه فى مآزق نفسية، ويولد لديه ألوان شتى من الصراع والاضطراب والحيرة، خاصة فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية والقيم الخُلقية والمعايير الاجتماعية.

أثر المربيات على القيم عند الأطفال:

فالأسرة هى الوسيط الأساسى فى تكوين شخصية الفرد ونشأة هويته، ففيها يكتسب الطفل القيم والأفكار والعادات والاتجاهات وأساليب التعامل والتواصل مع الآخرين، وفيها يتحول الطفل من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى له شخصيته.

وليس هناك من شك فى أن الأم لها الدور البارز فى تكوين هوية الطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة، عن طريق المعايير والقواعد التى يكونها الطفل من خلال مخالطته لها، وما ينتشر به من خلال هذه المخالطة من معتقدات وقيم وعادات ومفردات ونماذج لغوية. فالأم إذن هى النموذج الأساسى الذى يؤثر فى الطفل.

لذا فإن استخدام المربية الأجنبية وقيامها بالوظيفة التى تقوم بها الأم فى تنشئة أطفالها يمكن أن يحدث آثاراً سيئة فى تصور الطفل لذاته، وفى تصوره لأمه وأبيه، وفى تصوره للآخرين فى المجتمع. وقد يفقد الأبناء احترامهم لآبائهم وأمهاتهم، ولذلك فإن مكانة الوالدين فى نظر الطفل تنشأ من قيام كل منهما بوظائف الرعاية والحماية والضبط الاجتماعى. ولذا فإن تفويض الوالدين لمهمة التنشئة الغربية يُغير من نظرة الأبناء لهم.

ومن زاوية أخرى فقد يؤدى استخدام المربية من قبل الآباء لرعاية الأبناء إلى اتجاهات سلبية نحو الأبناء، تتسم بالإهمال واللامبالاة وعدم التعامل معهم إلا بالعنف والسيطرة. وهذا كله يُفقد الطفل توازنه النفسى ويجعله يشعر بالضياع فقد يؤدى طول فترة احتكاك الطفل بالمربية إلى «عملية التمثيل» وهى إحدى العمليات الإنشائية، حيث يتمثل فى طباعها بفضل التكيف، فيقبل ثقافتها وينكر ثقافته التى تربى عليها، إذا كان فى سن تسمح له بأخذ فكرة ولو بسيطة عن مجتمعه وتقاليده مع تعارض ثقافتها نوعاً وكيفًا. أو قد يتعرض لعملية «المحو الثقافى» وهى عملية إنشائية أيضاً عندما يتخلص الطفل من ثقافته التى لا يكون قد تعرف عليها إلا بصورة بسيطة قد تكون نتيجة انشغال والدته عنه بالإضافة إلى قربه من مربيته الغربية عن مجتمعه، فيمتص بذلك الثقافة الجديدة ... وهى ثقافة المربية.



الفصل السادس

الأسر المسببة للمرض النفسي



تمهيد:

من المعروف أن السوية ابتعاد عن المرض بدرجة أو بأخرى. وكما هو معروف فإن سواء الأفراد يتـوزع توزيعاً طبيعيًـا، وكذلك فإن سواء الأسر يتوزع طبـيعيًا أو اعتـداليًا، بحـيث تبـدو أغلب الأسر فـى الوسط وينخـفض عددها عـند أطراف المنحنى.

وليس هناك خط فـاصل واضح محدد بين الأسـر التى تعتبـر سوية والأسر التى نعتبرها غير سوية.

ويحتوى هذا الفصل على:

المبحث الحادي والعشرون: اضطرابات مناخ الأسرة.

المبحث الثانى والعشرون: عمليات لا سوية فى الأسرة.

المبحث الحادى والعشرون

اضطرابات مناخ الأسرة

يضطرب مناخ الأسرة، أو يصبح مناخاً غير سوىٍّ نتيجة لعدد من الأسباب منها المعاملة التشيؤية للفرد، وممارسة الوالدين للحب الزائف لطفلهما، ووصول الأسرة إلى النمط المنصهر أو المدمج بالإضافة إلى جمود الأدوار لبعض أفراد الأسرة.

المعاملة التشيؤية للفرد (اللا أنسنة):

ينظر الأب والأم أحيانا إلى كل ابن كشىء، وتكون معاملة الفرد من قبلهم كشىء مجرد من خصائصه، والنظر إلى الطفل كأداة لتحقيق أهداف وليس كفاية فى ذاته. وهنا نقول أن الوالدين يمارسون معاملة تشيؤية للطفل أو يمارسون لا أنسنة Dehumanizing وكثيراً ما يكون التملك Possession وراء هذا التوجه فى العلاقة بين الوالد والابن. فالشخص الذى ينظر إلى ابنه أو ابنته كشىء يمتلكه كأنه ينظر إليه نظرة مشيئة، وقد يبدو ذلك فى نظره بعض الأزواج لزوجاتهم أيضا وليس فقط فى نظرة الآباء نحو الأبناء، بحيث تطغى الروح التملكية فى العلاقات ويبررون ذلك بالحب.

إن هذا يقترب مما يوضحه أصحاب التحليل النفسى تحت النرجسية Narcissism والأمر هنا حب إلى حد التملك. فيشعر المحب إلى الابن كأنه شىء تابع له بل هو جزء منه. فيعيد الوالد أو الوالدة صياغة نفسه وحياته من خلال ابنه، ويسقط ذاته على الابن لدرجة أنه يعجب بخصائصه الطفولية Childlike والطفل يكون صريعا لهذا، ولا يعود يشعر أو يفكر لنفسه وإنما لحساب أبيه أو أمه، فهو يجاهد ويبذل قصارى جهده لتحقق أهدافهما وفعل ما يحباه أو يرغباه وليس ما يريده هو لأنه فقد قدرته على معرفة ما يريد، فهو يعرف فقط ما يريده والداه، وربما يقضى هذا الابن حياته كلها فى محاولات لإشباع رغبات والديه وأحلامهما.

وفى حالة الزوجات ربما نجد زوجة اقتربت من الأربعينيات ما زالت تقوم بدور الفتاة الصغيرة مع زوجها بسبب أن هذا السلوك كان ناجحا فى جلب السرور إلى والدها عندما كانت طفلة فى السادسة أو العاشرة.



الحب الزائف للطفل:

فى بعض الأحيان ينقص الوالدين أو أحدهما حاجات نفسية أو تكون غير مشبعة مما يؤدى إلى عدم اكتمال الاتزان النفسى، فيتخذا الطفل وسيلة لتحقيق ما ينقصهما أو ما يريدان إشباعه.

ومن بين ما يتعرض له طفل هذين الوالدين نوع من الحب الممنوح المشروط، يكشف الطفل فى معظم الحالات، أنه حب زائف أو مصطنع أو مشروط أو غير نقى وغير خالص لشخصه فهو مثلاً حب مشروط بطاعة الطفل الكاملة وإلغاء إرادته الخاصة.

والطفل فى أغلب الأحوال يقبل بهذا الحب رغم وعيه بأنه حب زائف وكاذب، وربما تظاهر أنه سعيد به، مما يوقعه فى شرك المداهنة حينما يكبر وإخفاء المشاعر وإظهار غير ما يبطن، وربما استخدم خداعه هذا فى الاحتيال على الآخرين. بعكس الطفل الذى لا يستطيع إخفاء شعوره بهذا الحب الكاذب من قبل الوالدين يكون مستعدا فى بعض المواقف على الأقل للإجهار برأيه، وهذا ما يزعج الوالدان إلى درجة كبيرة ويسبب لهما حرجاً بسبب كشف الطفل لحبهما غير الخالص، وربما توترت العلاقة بين الابن ووالديه، وبخاصة قرب مرحلة المراهقة، مما يؤثر على مناخ الأسرة. ومن وجهة النظر النسقية، فإن الطفل الذى يتعلم المشاركة بمشاعر غير ما هو فى داخله يشارك فى بقاء نسق أسرى على حال غير صحيح.

الأسرة المنصهرة أو المدمجة:

الدمج Merger أو الانصهار هو تبنى اتجاه تعليقى تملكى بين ثنائى أو ثلاثى من الأفراد أو أكثر وربما شمل الأسرة كلها.

وعندما تصل حالة الانصهار بين الطفل وأحد الوالدين فإنهما يكونان نسقاً فرعياً (طفل - والد) أو (والدة - طفل) ويسعى هذا النسق فى إبقاء النسق على حاله من قبل الجانب القوى وهو الوالد أو الوالدة، فيظل الابن طفلاً حتى وهو شاب، بينما كان من الواجب ومن الطبيعى أن يكبر. ويقاوم الجانب الأقوى اتجاه استقلال الابن فى هذه الحالة، بل ويحاول تشكيل العلاقة بينهما على نحو يشد الطفل ويقيده إلى الوالد أو الوالدة حسب النسق المتعقد، وتبوء غالباً محاولات الطفل بالفشل كى يستقل ويستكين لأحضان العلاقة الوالدية وربما نشأت علاقة تكافلية Symbiotic Relation

وقد تظهر صورة الانصهار بين زوجين، فالزوجان المنصهران يتبنيان اتجاها تعلقياً تملكياً كل منهما نحو الآخر. من خلال رسالة يرسلها كل منهما للآخر فحواها أنه لا



يستطيع الاستغناء عنه ولا العيش بدونه، ويدين كل طرف أى سلوك من الطرف الآخر نحو الاستقلال. وتصل حالة الزوجين المندمجين إلى أن يعرف ما يدور فى رأس بعضهما البعض وماذا يكون حديث الطرف الآخر. وتبدو حالة التوتر وفقدان التوازن مع افتقاد أحد الزوجين للآخر بسبب الطلاق أو بسبب الوفاة.

وقد تنصهر الأسرة بكاملها، ويوقع العقاب على أى فرد منها يحاول أن ينفصل أو يستقل. وهنا تكون الأسرة مصمته وفيها يكاد يخنق الأبناء ولا يسمح لهم باستنشاق غير عبيرها. وهذه الأسرة نسق مغلق ويعامل الاختلاف أو محاول الاستقلال باعتباره يفعل شيئاً غير شرعى.

ومن المعروف أنه فى كل تفاعل بين أفراد يكون هناك دور الفاعل (فرد يؤدى فعل) ومفعول به (فرد أو أفراد يقع عليهم الفعل) وفى حالة الأسر المنصهرة، يصعب التعرف على من هو الفاعل ومن هو المفعول به.

الأدوار الجامدة فى الأسرة:

هناك أسر تكون دور الفاعل ودور المفعول به متمايزة بوضوح وظاهرة، ولكنها غير تبادلية. فالفرد القائم بدور الفاعل مستمر كما هو ولا يسمح للفرد المفعول به أن يمارس دور الفاعل لأن الفاعل يمنعه من ذلك، وصاحب دور المفعول به ينبغى أن يكون مستعداً لعمل أى شىء يرضى الفاعل. هنا نكون أمام جمود فى الأدوار فى الأسرة. وفى ظل جمود الأدوار لن يسمح للفرد المفعول به أن ينمو غالباً. والفرد المفعول به داخل هذه الأسرة تضيق أمامه فرصة أن يكون فاعلاً فيزداد جمود دوره ويصبح ممتعاً له، وخاصة إذا كان ينال المديح من نسق هذه الأسرة، وغالباً يكون الأب أو الأم هو الفاعل والطفل أو الابن هو المفعول به. وربما الأب فاعل والأم مفعول به. وعلى الطفل أن يؤدى دوره بإخلاص حتى يحصل على لقب «طفل نموذجى» وكذلك الزوجة حتى تحصل على لقب «زوجة نموذجية».

وإذا ما ثار الابن أو الزوجة على دوره وأراد أن يكون فاعلاً حدث توتر فى النسق الأسرى.

ويبذل الآباء قصارى الجهد ويمارسون سبلاً عقابية عنيفة أحياناً حتى يتبنى الأبناء دور المفعول بهم ولا يتنازلان عن دورهما حتى مع كبر الأبناء. وهنا يحدث التوتر الأسرى، وحينما تفشل جهود الابن أو الابنة للقيام بدور المفعول به ولو فى مواقف بسيطة يشعر الأطفال بالذنب بسبب ممارستهم التى فاق فيها الوالدين أو أحدهما جهود الابن مما يؤدى إلى تقليل فى مفهوم الذات يؤثر على البناء النفسى للابن أو الابنة.



المبحث الثانى والعشرون

عمليات لا سوية فى الأسرة

هناك عمليات أو التفاعلات الخطأ من جانب الأسرة ولها انعكاساتها فى ظهور أسر لا سوية ويزداد معها ظهور اللاسواء لدى أحد الأبناء، ويمكن القول بأنها عمليات مولدة للمرض داخل الأسرة Pathogenic Family Pattern ومن هذه العمليات العلاقة التبادلية الكاذبة، وميكانزم التعمية أو ميكانزم التزييف، والمثلث غير السوى . . . . وغيرها. التى تجعل المريض يصنع ولا يولد، وأن هذه الصناعة تبدأ مع الطفولة داخل الأسرة.

العلاق التبادلية الكاذبة فى الأسرة Pseudomutuality

وهى العلاقة العائلية التى يبدو قوامها تبادل العواطف والصراحة والتفاهم على الرغم من أن العلاقات العائلية فى حقيقتها جافة وجامدة، وتقوم على تفاعل خاطىء ومنحرف، وقائمة على الكذب.

وفى التبادلية الكاذبة Pseudomutuality تكون الأسرة المتصفة بها أقرب إلى أن تكون مدمجة ولا يشعر أفرادها بالاستقلال فى الرأى والمشاعر، وتبحث مثل النسق المنغلق من الأسر عن كل مايحفظ ماتوازنها بدون تغيير، ومعتمدة على قاعدة أسطورة الأسرة Family Myth التى تميز الأسر غير السوية، وفيها تعمد هذه الأسر إلى إشاعة صورة نموذجية لقوانين وقواعد لا ينبغى أن تقترف من أحد وتقطع الطرق على أى فرد داخل الأسرة أن يفكر أو يحتج أو يبدى رأيا.

وفى أسطورة الأسرة التى تركها الزوج بدون سبب، ظلت الزوجة تصر على أن زوجها متفان لخدمة الأبناء وتغرس هذه الأفكار فى رءوس الأطفال بالأسرة . . . فالأم هنا مقتنعة بدعواها وتحاول جاهدة إقناع الأبناء حتى لو غاب الزوج عشر سنين. لأن من مكونات أسطورة الأسرة الاقتناع بأن كل أفرادها سعداء ومنسجمين ومتحابين طوال الوقت.

وقد ترتبط أسطورة سعادة الأسرة بالزوج فقط، فمادام أنه سعيد ويشعر بالسعادة فسوف يكون الأبناء والزوجة سعداء وهم غير ذلك بكثير.



ميكانزم التعمية: Mystrification

صورة من الصور المرضية لـلأسرة، تنطوى على المراوغة Evasion والإنكار De-nail وارتداء قـناع Masking ويعتـمد على استغـلال الآباء غالباً للأبناء بـخلط الأمور وأولها نسبة مشاعر معينة إلـى فرد أو أفراد فى الأسرة والإيعاز لهم بأن هذه المشاعر هى مشاعرهم الخاصة، بينما هؤلاء الأشخاص لم يشعروا بهذه المشاعر نهائياً، وذلك بهدف تغطية المشاعر الحقيقية. ويؤدى ميكانزم التعمية دوراً فى المحافظة على جمود الأدوار فى الأسرة، ويلزم كل عضو العيش فى حدود الدور المختار له.

وعلى الرغم مـن حدوث الخلط والتزييـف، فإن الشخص المعـمَّى والذى زيفت مشـاعره، ربمـا لا يشعـر بالخلـط لأن بعض الأفـراد فى الأسرة وخـاصة الأطـفال لا يتصورون أن يكونوا موضع خداع واستقلال من الوالدين أو أحدهما.

وحينمـا يقال لفرد فى الأسـرة أنه سعيد فى الـوقت الذى لا يشعر فـيه بذلك، وحينما يضطر إلى التعبير عن مشاعر لا يحسها ولا يشعر بها أو لا يخبرها، يغمر القلق نفس هذا الفرد نتيجـة الحيرة والتشويش، وتتضرر قدرته على اخـتبار الواقع بدقة، ومع طول الوقت يعتمد على الغير فى وصف وتفسـير الواقع المحيط به، ويقيم حياته على ما يراه غيره صوابا أو خطأ، والتعمية عنصر أساسى فى نشأة مرض الفصام.





عملية اتخاذ كبش فداء فى الأسرة: Scapegoating

هى عملية يزاح فيها الغضب والعدوان إلى فرد أو شخص آخر أضعف أو أقل نفوذا. وتكون التضحية بفرد فى الأسرة من أجل مصلحة النسق الأسرى بعامة.

فيظهر من الآباء والإخوة شبه إجماع على فساد أحد الأبناء، وأنه لا يمكن إصلاحه مثلاً وتقويم سلوكه وكأنه فرد فاسد. وهنا استغلال لهذا الطفل لصالح توترات الوالدين، ولتوفير حل لمشكلاتهم مع بعضهم وتفريغ شحناتهم الانفعالية نظراً لعدم تمكن الوالدين وعدم استطاعتهما تفريغ أو التعبير عن مشاعر كل منهما نحو الآخر. ولذلك فهذا الطفل (كبش الفداء) يكون الحل الذى تتجه إليه الانتقادات والمشاعر السالبة لكل والد نحو الوالد الآخر. فإذا ما تضمن الصراع غير المعلن عنه بين الوالدين نقص نجاح الزوج مثلا فإن الطفل متدنى التحصيل فى الأسرة هو الذى يكون مرشحاً لدور كبش لفداء. ومن هنا فإن نقد الأم لطفلها على الأرجح يعبر عن عدم رضاها عن حال زوجها.

واختيار كبش فداء يبدو أنه يعتمد على خصائص معينة فى لطفل تميزه عن غيره كطفل مختلف فى الأسرة، وهذا الاختلاف ليس عشوائياً لكن له معانى رمزية ترتبط مع المصدر الحقيقى للتوترات فى الأسرة.

فربما جنس الطفل أو ترتيبه الميلادى أو شكله أو وجود بعض العيوب به أمام ترشيحه لهذا الدور. فالطفل منخفض الذكاء أو صاحب المرض أو صاحب الإعاقة أو الذى لديه انقيادية وخضوع وقابلية للانسحاب وعدم الرد .... أو غيرها عرضة لأن تتخذه الأسرة كبش فداء. وفى كل الحالات تقريباً يكون لدى الطفل استعداد للقيام بهذا الدور.

إن الطفل يتدرب على أن يكون حساسا للتوترات داخل النسق الأسرى بالإضافة إلى وجود عوامل لاشعورية لديه تجعله يتحمل القسوة ويكون متسامحاً عند توجيه النقد إليه. فأفراد الأسرة قد يؤنبونه أو يعاقبونه، وبهذا ينخفض التوتر فى النسق ويعود إلى حالة الاتزان. إنه يسمح هنا لاشعوريا بخفض التوترات اللاشعورية لأعضاء الأسرة فهو يتحمل العبء الأكبر لأغلب المواقف، ويدفع ثمن التفاعلات الشاذة لفترة طويلة.

وليس هناك خطر شديد على الطفل كبش الفداء فى النسق الأسرى المنفتح، لأن كل الأمور تناقش فتنخفض حدة التحيزات وقد تنقلب بعض المواقف إلى مزاح. أما فى النسق الأسرى المنغلق فإن الأمر يتصف بالجمود والتحيزات الثابتة.



ودور كبش الفداء لا يمـارس منعزلاً، ولكنه جزء من نسق مـتشابك من الأدوار فهناك المهاجم Attacker وهناك الضحية Victim وهناك المعالج Healer. واتخاذ كبش فداء مـن أكثـر العمـليات المرضـية انـتشـاراً وشيوعـاً فى الأسـر المضطربـة، لأنه أهم الميكانزيمات فائدة وصيانة لنسق الأسـرة بسماحة إخراج التوترات وتفعيل out Acting دور الأسرة.

المثلث اللاسوى: Perverse Triangle

الزوجان يكوّنان ثنـائياً، وعندما لا تصدق العاطـفة بينهما، أو ينخفـض مستوى تبادل المشـاعر النقى، يكـون هناك سحب لأحد الأطفـال ليكوّنا معـه مثلثاً فـيه صورة تفاعلات خاطئة نتيجة تحالفـات من أحد الوالدين مع الطفل ضد الوالد الآخر. ويلعب جنس الطفل دوراً فى تكوين هذا الثلاثى.

ويلاحظ أن هذا المثلث يضم أفـرادا ليسوا كلهم من أعمار متقـاربة، فالطفل من جيل وعمر مختلف عن عمر وجيل الوالدين، وهذا التحالف بين اثنين ضد ثالث (أحد الوالدين) يقابـل بالإنكار. فعندما تصـبح العلاقات بين الزوجيـن غير مستقـرة، ويشتد الخلاف بينهما ولا يستـطيعان تسوية أمورهما، فإنهما يتـجهان إلى طرف ثالث هو أحد الأبناء ويلاحظ أنه حيـنما تكون الأسرة عالية الاندمـاج كانت الاحتمالية عـالية لحدوث مثلث.

وقد يظهر المثلث على شكل والد مـع ابن ضد الأم أو تحالف بين الابن وأمه ضد الأب والصورة الأخيرة أكثر انتشاراً.

ويمثـل الابن أضعف الحلـقات فى المثلث ويـكون مرتبطـاً بوالديه Parentified اللذين يكونان فى حالة توتر أو صراع دائم. والطفل عليه هنا أن يتحمل الكثير من جراء ذلك، وفى الوقت الذى يسلك الآباء كالأطفال العنـيدين يكون على الطفل التسامح أو الرأفة بكل طرف، وأن يكون الناضج انفعاليًّا وهـنا يكون الطفل صريعا، وغالباً يمرض نظراً لأن مصادره العاطفية تستنزف.

عرقلة التنميط الجنسى:

من أساليب التنشئة غير الصحيحة، عدم تعليم الطفل السلوك المناسب لجنسه كما تحدده الثقـافة بالمجتمع والقـيم والتقاليد. ويسـبب ذلك الكثير من المتـاعب وربما أعاق التوافق النفسى وبخـاصة فى المجتمعات الملتزمة التـى لا تتهاون إزاء الخلطاء فى الأدوار الجنسية لكل من الابن الذكر والأنثى.



إحداث التكتلات داخل الأسرة:

ويقصد بذلك وجود انقسامات أو مجموعات أو فرق. فالأم قد تأخذ إلى جانبها بعض الأبناء ويشكلون تحالفاً فى مقابل تحالف فيه الأب مع أبناء غيرهم. وربما ينجح أحد الوالدين فى الاستحواذ على عاطفة واهتمام الأبناء جميعاً فى صراعه مع الوالد الآخر.

الاتصاف بالسمعة السالبة:

إذا عرفت الأسرة ببعض العادات والممارسات غير الطبيعية والتى لا تتفق مع قيم وتقاليد المجتمع، فإن ذلك يبعدها ويعزلها عن الأسر الأخرى، وينعكس أثر ذلك على الأبناء فضلاً عن الوالدين. ويؤدى هذا الشعور بالعزلة إلى احتمالية مرض الأطفال نفسيًّا وظهور أبناء مضطربين.

تنمية عرض الطفل المميز Syndrome The Special Child

نتيجة لسلوك الوالدين أو أحدهما ونتيجة للجو الأسرى، ينمى أحياناً لدى أحد أطفال الأسرة الاعتقاد بأنه مختلف عن أقرانه أو متميز عنهم. كأن يقال عنه أنه أكثر طيبة أو أكثر وسامة أو أكثر شراسة. ولا يظهر الطفل رغبته فى التخلص من هذا بل يرحب بهذا التمييز ويتمسك به، وربما قاده ذلك إلى الوجود غير الطبيعى أو الشاذ خاصة مع الصفات السالبة.

تنمية عرض الطفل المسيطر The Bossy Child Syndrome

يتعلم الطفل الرغبة فى التسلط والسيطرة من والديه بداية، ويصطنع الانفعال والغضب والأزمات العاطفية واستجداء حب الغير والسلوك الابتزازى ليجبر الوالدين وخاصة الأم على أن تسلك معه سلوكاً خاصًّا. وينشغل بال الطفل فى أى موقف من سوف يفوز؟ ومن سوف يغلب ومن سوف يسيطر وينتصر؟ وحينما تستمر حياته فى أسرته على هذا النحو تنمو لديه النزعة إلى التسلط ويظهر عرض الطفل المسيطر إلى أن يكبر. وعندما تقابله فى كبره مواقف ضاغطة فإنه يلجأ إلى أساليب عصابية بصورها الاندفاعية والانسحابية.

تنمية عرض الطفل القاصر The Inqduquate Child Syndrom

تتوجه بعض الأسر إلى إشعار الطفل بالإحباط وبأنه لن يستطيع التمكن من كذا أو كذا . . . أى يتم إشعار الطفل بالقصور معظم الوقت. ويصبح بمرور الوقت أقرب



إلى الاقتناع بأنه لن يستطيع أن يؤدى المطلوب منه، مما يفقده الثقة بالنفس ويفضل الأساليب الهروبية فى المواقف.

تنمية رغبة الطفل فى المكانة لإرضاء الآخرين

The Child Who Has to Becom Important to Satisfy Others

هذا الطفل وسيلة لإشباع رغبات الوالدين ومصالحهما وهو عرضة للمرض النفسى مثله مثل الطفل كبش الفداء وطفل المثلث اللاسوى والطفل المعمى.

الموت الوجدانى فى الأسرة Affective Deadness

هناك أجواء لأسر تفشل فى تيسير تعليم أفراد الأسرة كيفية ممارسة العلاقات المتوازنة. فيبدو على السطح مناخ يوحى بالهدوء والاستقرار ولكنه هدوء يتسم بالركود والجمود منه إلى التفاعل والعاطفة، وتصبغ المعاملات بين أفراد الأسرة صبغة اكتئابية تتسم بحد أدنى من التلقائية والحيوية والمرح، وبسبب الهدوء الظاهرى تحدث بعض الثورات الانفعالية العنيفة بين بعض الأعضاء فى الأسرة فجأة على أحداث تافهة أو بسيطة، ولكنها سرعان ما تجتاح الأسرة كلها. وينقلب الهدوء إلى ثورة عارمة وذعر شديد. وكما تهب الثورة فجأة تنطفىء فجأة وتعود الأسرة إلى ما كانت، وكأن شيئا لم يحدث ولا تغير من أسلوب حياتها.

ونجد فى هذه الأسر حرصا على تأكيد قيم التفانى الكاذب والتضحية الجوفاء، ويحاول أن يظهر أفراد الأسرة أنهم مثاليون. وفى هذا الجو الأسرى يخشى عضو الأسرة من أن يلام أو أن يسب أو أن يعاقب. وكدفاع ضد هذا الخوف تنمو لدى عضو الأسرة الحاجة إلى كبش فداء، وإلى إلصاق التهم بالآخرين ودفعهم بأوجه النقص.

عدم نضج الوالدين Immaturity

الفرد المريض داخل الأسرة هو فرد تعبر من خلاله الأسرة عن اضطرابها. فالطفل المريض نفسياً يصنع ولا يولد غالباً.

إن عدم نضج الوالدين ونسبة فجاجتهم، تتركز عند أحد الأبناء أو أكثر. ويمكننا القول بأن الابن المريض يعتبر حاملاً لدرجة أكبر من عدم السواء مما هو لدى الوالدين أو أحدهما. فإذا ما استمرت عملية تزايد الفجاجة وعدم النضج وتركيزها من جيل إلى آخر، كان لابد من أن تنمو الأعراض المرضية بشكل واضح أو أوضح فى أبناء أجيال



قادمة، على الرغم من أن الوالدين غير الناضجين، لا يعترفان بعدم نضجهما ويدعيان التوافق ويبالغ كل منهما فى ذلك. وعادة ما تكون الأم أكثر مبالغة وتسبق الأب فى ادعاء التوافق والحنكة وتتخذ موقف المسيطرة، ومعها يميل الزوج إلى الخنوع أو الانسحاب المقنَّع، ويترك الأب المجال للأم فتشبع حاجتها إلى السيطرة. وتترقب هذه الأم مولد طفل يتمى إليها ويحتاج إلى مساعدتها، وحينما يأتى تتمركز بعاطفتها نحوه بدلاً من الزوج، وهناك نكون أمام ما يطلق عليه الطلاق العاطفى Emotional Di-vorce وهنا نكون أيضاً أمام حالة مثلث مرضى يشمل أما قاصرة تعمد إلى السيطرة وعاجزة عن التوافق ولا وجود حقيقى لزوجها فى حياتها وطفل ضعيف قليل الحيلة لا يستطيع ولا تسمح له الأم أن يفعل غير ما يعزز ضعفه، ووالد هامشى ليس له قيمة سيكولوجية حقيقية فى حياة ابنه. وهنا سوف يظهر الطفل المريض نفسيا مستقبلاً أو المضطرب. لأنه مع سن المراهقة يتحول من طفل عاجز إلى راشد سيئ التوافق، يواجه العالم الخارجى بدون أنا قوى وينتهى به الأمر إلى أن يصبح مريضاً عاجزاً.

إن مشاعر الفشل وخيبة الأمل التى يواجهها كل من الزوجين فى بعضهما لها أثر كبير فى نشأة المرض عند الطفل، والعلاقات المتوترة بينهما هى المناخ المناسب لنشأة المهيئات المرضية حينما يتواجد طفل تستدير الأم إليه وتحيطه برعايتها وتتحكم فى حريته مدعية المحافظة عليه.

اضطراب اتصال اللغة داخل الأسرة:

تستخدم بعض الأسر اللغة بطريقة أقرب إلى عدم السواء، فقد يغلب على حديث الأسرة المبالغة والتهويل أو التهوين فى الوصف، وقد يبدو فى لغة الوالدين وسائل التهرب فى مواجهة الموقف. وقد يغلب استخدام اللغة كأداة للتعبير عن العدوان، فكثير من الناس يستخدمون اللغة والتعبير اللفظى كبديل عن العمل الفعلى فى الواقع إن تشويه المعانى من قبل الوالدين يمكن أن يكون أسلوباً يتعلمه الأطفال فى الأسرة، كما أن الضعف والمحدودية فى الإمكانات اللغوية تمهد للانسحاب المرضى، كما هو لدى بعض الفصاميين.

نمط أنا أولاً Me First وعدم الاستماع Unhearing

وهما من صور الاتصال والتواصل الخاطئة داخل الأسرة، إن نمط أنا أولاً يشير ببساطة إلى تفضيل عضو الأسرة لنفسه ومصلحته هو على حساب الآخرين، وتحقيقه الأمن لنفسه على حساب تهديد الغير وإفزاعهم.



أما نمط عدم الاستماع فـهو إما مقابلة أحد أفراد الأسرة بتجاهـل أو مقابلته بسوء فهم. وسوء الفهم يتكرر كثيراً ويفشل عـضو الأسرة بتبليغ باقى أفراد الأسرة ـ وبخاصة الوالدين ـ أفكاره ومشاعره وحاجاته. وتبدو الأسرة هنا أنها لا تريد أن تتعاون معه أو لا تتواصل أو تتجاوب معه.

ومن المفيد الآن أن نعرض لحال الأسر المولدة لبعض الفصاميين والعصابيين.

الأسر المولدة لمرضى الفصام:

الأب:

* غائب عن المواقف الهامة أثناء النمو النفسى للطفل.
* لديه بـرود فى العـاطفة ولا يعـبر عـن عاطفـته نحـو الابن إلا إذا تم استثارتها.
* يدع زمام القيادة والسيطرة والتلسط للأم.
* يعارض فقط إذا مسته قرارات الأم شخصياً.

الأم:

* غير آمنة.
* متشبثة بالطفل.
* تحيط الطفل بعطف زائد وحماية زائدة.
* مسيطرة.
* عدوانية وتعبر عن عدوانها بمختلف الوسائل.
* تدعى أن ما تفعله لصالح الأسرة وصالح الطفل.

الأسرة والمريض:

يظهر واحد أو أكثر مما يأتى:

* علاقة تكافلية بين المريض والأم.
* انقسامات داخل الأسرة وتكتلات.
* فشل فى تسهيل استقلالية المريض.
* إعاقة عملية التنميط الجنسى.
* جو أسرى مشحون بالصراع العلنى والخفى.



* خيبة أمل كل من الزوجين فى الآخر.

والأسرة المولدة لمرضى الفصام تشمل والدا سلبيا قاصرا مع والدة مسيطرة عدوانية.

الأسر المولدة للعصابيين:

الأب:

* منشغلاً بعمله خارج المنزل.
* لا يرى دوره داخل المنزل إلا الدور العقابى.
* يعاقب الطفل إذا ما صدر عنه ما يخالف رأى أو تعليمات الأب.
* قاصر فى مواجهة المشكلات العائلية.
* ضعيف فى مواجهة زوجته.
* على استعداد لعقاب الابن بدنيًّا وإيذائه نفسيًّا.
* لا يسبق عقابه للطفل غالبا أى إرشاد أو توجيه.

الأم:

* لا تبدو الأم فى صورة المانحة للعطف والحنان.
* لا تقوم بوظائف الأم فى المنزل.
* أم مؤنبة ومعنفة للطفل إلى درجة القسوة.
* تنفس عن غضبها وغيظها فى طفلها لترك الأب مهمة تربية الطفل لها.

الأسرة والمريض:

يظهر واحد أو أكثر مما يأتى:

* سوء توافق عائلى ـ عدم نقاء الجو الأسرى.
* ليس هناك نماذج والدية إيجابية.
* توتر العلاقة بين الطفل والوالدة.

والأسرة المولدة للعصابيين القهريين تشمل والدا سلبيا ووالدة غير مانحة للحب والعطف عموماً.



الفصل السابع

طرائق ووسائل فعاليات الرعاية الأسرية في المجتمع المعاصر

تمهيد:

في ختام هذا الكتاب، يتناول الفصل السابع طرائق ووسائل فعاليات الأسرة في المجتمع المعاصر، من منطلق أن الأسرة هي الأساس البناء في التنشئة الأولي لحياة الأبناء منذ نعومة أظافرهم وحتى بعد بلوغهم سن الرشد وقيامهم بمسئولياتهم في بناء أسر أخرى، وعند اضطلاعهم بمسئوليات العمل فى المجتمع. وليس هناك اختلاف حول ما تقوم به الأسرة من تربية وتلقين الأبناء قيم المجتمع وإكسابهم أنماط السلوك التي تتوافق مع تعاليم الدين الحنيف، مع تنظيم الحياة الاجتماعية عقلياً ونفسياً واجتماعياً. وتعتبر الأم مدرسة لثقافة ونماء الأبناء، حيث إن البنية المنزلية المتمثلة في الأب والإخوة والأخوات، إذا لم تكن الأم ذات فعالية في ربط وتوثيق العلاقات تضطرب حياة الآباء والأبناء، وليس يعني ذلك أن نغفل ونؤكد في أكثر من موضع أن الأسرة هي البيئة والوسط الاجتماعي الأساسي، الذي يتلقى فيه الأبناء مقومات الحضارة الإنسانية وهي الأساس فى بناء دائم لدعم الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية.

ويحتوي الفصل السابع على المباحث التالية:

* المبحث الثالث والعشرون: عود إلى بدء من أجل أسرة القرن.
* المبحث الرابع والعشرون: طرائق ووسائل الرعاية الأسرية لمظاهر النمو النفسي والاجتماعي والمشكلات المصاحبة الخاصة بالأبناء.
* المبحث الخامس والعشرون: طرائق وسبل الرعاية الأسرية والمؤسسات التربوية والإعلامية بالنسبة للزوجة (الأم) العاملة.
* المبحث السادس والعشرون: طرائق وسبل الرعاية الأسرية للمسنين والشيوخ ومرضى الشيخوخة المبكرة.
* المبحث السابع والعشرون: طرائق وسبل الرعاية الأسرية للمشكلات الخاصة ببدائل الأمهات والمربيات.
* المبحث الثامن والعشرون: توصيات عامة عن فعاليات الرعاية الأسرية في المجتمع المعاصر.

المبحث الثالث والعشرون

عود إلى بدء من أجل أسرة القرن

وصلنا إلى أن الأسرة تشكل أول خبرات البشر منذ طفولتهم عن الحياة الاجتماعية،كما إنها أكثر الجماعات استمرارية وبقاء، بالإضافة إلى أنها وحدة بيولوجية مهمتها الأساسية المحافظة على النوع والإنسانية، فضلا عن كونها تتمتع بطبيعة اجتماعية ثقافية وأنها تشتق أساسا من المجتمع Society .

وتختلف صورة الأسرة باختلاف أماكن من هذا العالم، وتختلف مواقف الأزواج والزوجات والأبناء أيضا.

ففى مجتمع «نافاجو» Navajo نجد أن الزوج لا يعيش تحت سقف واحد مع زوجته، فهى تعيش مع أمها وأخواتها وأطفالها، فى الوقت الذى يعيش فيه الزوج فى بيت الرجال، أما علاقة الزوج والزوجة العاطفية والزواجية والزوجية فتتم من خلال زيارات سرية.

وفى جرز «تروبرباند» Trobriand الموجودة فى جنوب المحيط الهادى، يعود الأخ الأطفال عوضا عن الزوج.

وفى «الماسى» Maasai المتواجدة عند شرق أفريقيا ليس من المحرج لصديق الزوج أن يطلب زوجة صديقه ليلة أو بعض ليلة، ويكون من الوقاحة رفض الزوج لهذا الطلب الذى يعتبر هناك نوعا من الكرم الجنسى.

وفى «سامو» Samo يمكن للأطفال الصغار التجول فى بيت أحد الأقارب واختبار مكان فيه للعيش بأنفسهم.

وفى الولايات المتحدة نجد النظام الأحادى هو السائد للزواج، أى زواج رجل واحد من امرأة واحدة، وهو نظام منتشر فى ربع مجتمعات العالم، بينما ثلاثة أرباع المجتمعات الإنسانية فى العالم يسود نظام تعدد الأزواج Polygamy ، أى زواج رجل واحد من أكثر من مرأة أو زواج امرأة واحدة من أكثر من رجل. والنمط الأول فى هذا النظام هو الأكثر شيوعا. فنجده فى الإسلام وساد فى الصين القديمة وكان جزءا من تاريخ الثقافة اليهودية.



والكثير من الرجال فى الولايات المتحدة، وبعض البلاد التى يسودها النظام الأحادى، يكون لهم أكثر من زوجة واحدة، ولكن لا يمكنهم الزواج من ثانية إلا بعد طلاق الأولى أو موتها.

والطلاق منتشر فى هذه المجتمعات، فنجد ثلث الزيجات المعقودة تقريبا تنتهى بالطلاق، ومعظم المطلقين أو المطلقات يتزوجون زواجا أحاديا متسلسلا Serial Monogamy للمرة الثانية وينتهى بالطلاق فى ٤٠٪ من الحالات، فيتم الزواج للمرة الثالثة وهنا يكونون مع زواج أحادى شرعى قصير الأجل ومتكرر.

ويبدو أن لمشكلات الأسرة ومنها الطلاق تأثير على نظره العلماء إلى وظائف الأسرة وقصورها. فالبعض يرى أن الأسرة فى حالة تدهور مستمر مما يتسبب فى ضرر المجتمع ومن هؤلاء «أوجبرن» Ogburn والبعض الآخر ينظر إلى تدهور الأسرة أنه موجود وهو مفيد وبشير خير مثل «مور» Moore. فى حين ينظر بعض العلماء إلى أن الأسرة ليست فى تدهور،وهذا فيه كل الاستبشار للإنسانية ومنهم «فليتشر» Fletcher، بينما يرى البعض أن الأسر ليست فى تدهور وهذا يأتى بضرر للإنسان والمجتمع ومنهم «لاينج» Laing .

ويعد «أوجبرن» Ogburn غاية فى التشاؤم حيث يروى أن مأساة الأسرة الحديثة تبحث عن فقدانها لأغلب أدوارها أو وظائفها التى كانت تقوم بها ومنها الوظيفة الاقتصادية بتدعيم أعضائها ماديا ومنحهم المكانة، والتعليم والحماية والترفيه والوظيفة الدينية. ويسترسل.. حيث كانت الأسرة القديمة وحدة اقتصادية مكتفية ذاتيا وليست فى حاجة إلى بنوك أو مصانع، وكانت مكانة أفرادها مستمدة من مكانة الأسرة وكانت الأسر تقوم بتعليم الأبناء القراءة والكتابه والحرفه بالإضافة إلى حماية الأعضاء ووقايتهم،وموجهة لهم إلى الصلوات والعبادة وقراءة الكتب الدينية. ويرى «أوجبرن» Ogburn أنه نتيجة فقدان الأسرة لتلك المهام والوظائف أصبحت مفككة وزاد عدد الأسر التى انهارت بسبب الطلاق. وبطبيعة الحال انتقدت هذه الرؤى لهذا العالم، من منطلق أن الأسرة الحديثة فقط انتقلت وظائفها أو بعضها إلى مؤسسات أخرى متخصصة نتيجة للتطور والتحضر واستجابة لمتطلبات العصر ويعتبر هذا الانتقال للمهام معاونة للأسر على القيام بدورها فى الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه.

إن دور الأسرة لم ينته بعد، كما قد يتصور البعض، فمازالت الأسرة هى المؤسسة الأولى التى تشرف على كثير من نواحى التنشئة والتربية الخلقية والعقلية والدينية



والاجتماعية وربما اعادة التنشئة مع كبر الأبناء. بالإضافة إلى معاونة دور المدرسة فى تعليم الأبناء.

ويبدو أثر الطبقة الاجتماعية على وظيفة ومهام الأسرة، بل على دور الرجل أو المرأة. فأصحاب الياقات الزرقاء ذوو التعليم العالى غالبا يرون دور الأسرة والعلاقة الزواجية على طريقة الأصدقاء والأقران، ويحاول الرجل من هذه الفئة التحدث عن مشاكله الأسرية مع رجل آخر يكون صديقا له. وتعتقد الزوجة هنا أن زوجها غير قادر على فهم مشاكلها، وكذلك الزوج يظل معتقد أن زوجته ليست لديها القدره على فهم ما كان يعنيه أو يقصده.

أما أصحاب الياقات الزرقاء ذوو التعليم المنخفض، فهم يعتقدون أن الرجل لا ينتظر منه مساعدة زوجته فى أداء الأعمال المنزلية ومعيار الرجولة لديهم منحصر فى الأمور الجنسية. كما أن دقة المشاعر والاهتمام بالزوجة فإنه أمر لا يهمه كثيرا، وأغلب رجال هذه الفئة وأيضا الفلاحين ينظرون إلى الإشباع الجنسى على أنه حق للرجل فقط، وأن أى مؤشرات تبدو على الزوجة غير ذلك يعتبر انحرافا.

وفى مجال الطبقة الاجتماعية واختيار الزوج لشريكه. ففى أى مجتمع نلاحظ كثيرا من الأفراد والجماعات الأسرية تحاول التحرك من طبقة اجتماعية أدنى إلى طبقة اجتماعية أعلى ويسمى ذلك بالحراك الصاعد. وهو عكس الحراك الهابط الذى لا يقبل عليه الأغلبية. وربما يكون هذا السلوك عقلانيا فى بعض جوانبه، إلا أنه أحيانا يسبب الإحباط لمن يرغبون الصعود.

ويبدو نظام الزواج المتجانس فى أن يقبل راغبو الزواج للبحث عن زوجة لها صفات مرغوبة من نفس الطبقة. وبعض فئات المجتمعات أو بعض المجتمعات لا تسمح بالحراك الصاعد للرجال وترحب به للنساء. وعموما فإن الاستقرار الزواجى اتضح أن أسسه هى:

١ ـ تجانس خلفيات الزوجين.

٢ ـ ارتفاع مستوى تعليم الزوجين.

٣ ـ ارتفاع مستوى دخل الأسرة.

٤ ـ الاستجابة لنصائح الأطباء والإخصائيين.

٥ ـ التناول الواقعى للأهداف، ووضع مستويات للطموح فى ضوء الإمكانات.

٦ ـ الرضا بما قسم الله.



وبدون الأسس السابقة سوف تتفاقم مشكلات أسرية، ومن أهم هذه المشكلات الأسرة الطلاق وهو بغيض عند الله.

وهناك علاقة قوية بين الطلاق وغياب الأسس السابقة أو إحداها، وإن كانت هناك علاقة أيضا بين الطلاق وبعض المتغيرات.

فنجد فى مجال المهنة، ارتفاع نسب الطلاق لدى السائقين والبائعين وغيرها من المهن التى تتطلب أداؤها انفصالا فترة طويلة من الوقت بين الزوجين أو توافر فرص التقاء أحد الزوجين بأشخاص آخرين من الجنس الآخر، مثل الممثلين والمؤلفين والفنانين، ومديرى الشركات والفنادق والمشروعات السياحية.

أما من حيث مستوى التعليم، اتضح أنه على الرغم من انخفاض المستوى التعليمى للجماعات الريفية أو البدو المقيمين بأماكن متناثرة إلا أنه يقل الطلاق، ولا ينتشر الذهاب للقضاء لحل مشكلاتهم بالمحاكم. ويرتفع معدل الطلاق بين الذين يعيشون فى مناطق حضرية وهم أصحاب تعليم متوسط، ويشيع بينهم الذهاب إلى المحاكم. فى حين نجد فى المدينة سيطرة التوجهات إلى الجهات الرسمية كالشرطة والمحاكم للبت فى مشكلات الزوجين.

وكما تنخفض معدلات الطلاق عموما فى المجتمعات الريفية، تنخفض أكثر بين أسر الطبقة العليا بالريف مقارنة بالطبقة الدنيا.

وتبدو أسباب الطلاق من وجهة نظر الأزواج مختلفة عن وجهة نظر الزوجات، كما توصلت إليها البحوث.

فالأسباب المؤدية لطلب الزوجة الطلاق منها:

- الكراهية.
- اختيار الزوج لزوجة أخرى.
- عجز الزوج.
- مرض الزوج.
- سوء معاملة الزوج.
- الإيذاء البدنى من قبل الزوج.
- كبر سن الزوج.



- عدم التكافؤ الصحى والجنسى.
- إدمان الزوج للمخدرات أو إدمان الخمر أو.....
- إهمال الزوج لواجباته نحو الزوجة.

والأسباب المؤديه لتطليق الزوج زوجته، منها:

- الكراهية.
- ارتكاب المرأة جريمة الزنا.
- عقم الزوجة.
- سوء الأخلاق والتقليل من قيمة الزوج.
- مرض الزوجة.
- إهمال المرأة لواجباتها.
- عدم الطاعة.
- كبر سن الزوجة.

وعلى عكس ما نرى فى الطلاق أنه قائم على سوء التوافق الزواجى، نجد خصائص التوافق الزواجى أو المتوافقين زوجيا مقابل غير المتوافقين منهم هى على النحو التالى:

المتوافقون زواجيا	غير المتوافقين زواجيا
١ ـ استقرار اقتصادى للأسرة.	١ ـ عدم استقرار، وضيق مادى غالبا.
٢ ـ الحرص على مشاعر الآخرين.	٢ ـ انتقاد الآخرين وربما نبذهم.
٣ ـ الرضا عما قسم الله لهم.	٣ ـ عدم الرضا عن الحال والحقد على الآخرين.
٤ ـ التسامح بين الزوجين.	٤ ـ التسلط والسيطرة ومحاولة فرض الرأى على الزوج الآخر.
٥ ـ الثقة بالنفس والشعور بقيمة الذات وتقديرها.	٥ ـ الشعور بالنقص وفقدان الثقة بدرجة أو بأخرى بين الزوجين.
٦ ـ التعاون لرفع مستوى الأسرة اجتماعية وثقافيا واقتصاديا.	٦ ـ الانفرادية وعدم التعاون.



٧ ـ مرونـة مع المواقف الصعبة وتبادل الآراء، والإيمان بأن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية.	٧ ـ جمود وتصلب فى الرأى ربما يتطور إلى عناد للزوج الآخر.
٨ ـ محاولة إسعاد كل من الطرفين للآخر ولو بأبسط التعبيرات أو الأفعال.	٨ ـ عدم ابداء مشاعر أو أفعال لإسعاد الطرف الآخر.
٩ ـ إقامة علاقات ودودة مع أهل الطرف الآخر وافتراض حسن النوايا مع الأحداث.	٩ ـ ابتداع وخلق مشكلات والنظر للأمور التى تحدث بسوء نية.
١٠ ـ عدم الاستعانة بآخرين لإنهاء ما يحدث من خلافات بين الزوجين، ومحاولة فض الاختلافات بالتفاهم .	١٠ ـ إدخال آخرين فيما يحدث من خلافات بين الزوجين وتدخل الأقارب لإنهاء الخلافات.
١١ ـ محاولة تفادى الاختلاف فى الرأى أمام الأبناء وبخاصة فى تربيتهم.	١١ ـ محاولات إنكار أحد الزوجين على الآخر فى تنشئة الأبناء وعند توجيههم.

وعلى أى حال فإن مشاكل الأسر قد تتشابه بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية. وقد تكون أسر الطبقات الوسطى أكثر كفاءة فى التعامل مع المشاكل عند وقوعها حيث تساعدهم الدخول المناسبة والمستوى التعليمى فى البحث عن مصادر للمساعده، والنصيحة، وإيجاد بدائل مناسبة لحل أجزاء من المشكلات أو كلها.

ويبدو أن فى مقدمة العوامل التى تزيد الضغوط داخل الأسرة عامل الفقر Pover-ty وانخفاض الدخل. ولايزال الدخل المناسب يشكل أساسا آمنا ، كما يسهم بفعالية ويدعم الأمن العاطفى. وهذا لاينفى أثر متغيرات أو عوامل أخرى.

فالمنزل يعتبر موقعه ذا أثر على التسيب داخل الأسرة، فقد يحول الموقع دون اعتناق أفراد الأسرة القيم المقبولة. كما يؤدى المسكن غير المناسب إلى تفاقم توترات الأسرة وإلى تقويض الزواج الذى من الممكن إبقاؤه فى بيئة أكثر ملاءمة. إن المنزل وموقعه لهما أهمية كبيرة فى رفاهية الأسرة، فهما يرتبطان بالشعور بالصفاء والصحة.

وقد تؤدى مكانة الأسرة نفسها إلى أحداث الضغوط وربما المرض النفسى، لأن هذا ينطوى على تغير الأدوار وتوقعات كل دور قد لا يحدث بطريقة متناسقة نتيجة للخسارة أو تغير القواعد. وقد ينتج الصراع أيضا داخل الأسرة نتيجة للحراك



الاجتماعـى، بغض النظر عن اتجاهه سواء كـان لأسفل أم لأعلى. فقد يرتـبط الضغط ليس فـقط بفقـدان الدخل أو ما شابـه ذلك من أمور، ولكن كـما يؤكـد «دور كايم» Durkheim بالشهرة والثروة خارج نطاق طبقـة الفرد الأصلية، أو بالحصول على درجة أعلى من درجة الأب فى التعليم أو غير ذلك.

وتعتمد إمكـانية توزيع الأدوار بدون إحداث أية مشاكل على مـصدرها. فإذا كان خارجيـا، تكون الأسرة عاجـزة عن تفاديه. وفى مثـل هذه الظروف التى تثيـر العطف ويشـارك فيهـا الآخرون، يمـكن جمع المـصادر الماديـة والعاطفـية للـتغلب عـلى هذه الصعوبـة، مما يدعم من تضامن الأسرة. ولكـن إذا كان الحادث يمكن منعـه، كما هو الحال عندما يكون سببه الإهمال، أو عملا فخـريا، فإن علاقات الأسرة يصيبها الضرر، ويعرض استقرار الأسرة للخطر.

وتسهم البناءات الشخصية لأعضاء الأسرة والتى تظهر فى علاقاتهم داخل الأسرة فى الحفاظ عـلى كيان الأسرة. ولأبنية الـزوجين النفسية أهـمية كبيرة فى الحـفاظ على الرفاهية العـاطفية لأفراد الأسرة. فالعـلاقات الحميمة بين الأفـراد، قد تحول دون تطور الضغط إلى أزمة، حتى ولو كانت المصادر المادية غير كافية، وقد تؤدى المحنة إلى تدعيم بناء الأسرة على المدى البعيد فى وجود علاقات داخلية مستقرة ومترابطة ومتكيفة، على الرغم من أن آثارها المؤقتة قد تبدو ضارة.

ويتوقـف دور الأسرة فى كونـها محصـنة أو مقوضـة، على قدرتهـا على تلبـية حاجات أفـرادها العاطفية قـبل وقوع الأزمة. وعندما تـتحطم أنظمة حـياة الأسرة تحت الضـغط، فمـعنى ذلك أن جـذور التفكـك تكون عادة مـوجودة قـبل الحدث المعـجل بالتحطيم.

والأسر الـتى تتكون من أفـراد عصابـيين أو فصامـيين أو قلقـين جدا يواجـهون الصعوبات التى تـواجههم، على أنها ضخمة. ولايسـتطيعون جمع شمل بعضـهم نتيجة معاناتـهم من أبنيتهم النـفسية. وعلى العـكس من ذلك، فإن الأسر التى تسـيطر على الضغـوط والأزمات بنجاح، يمـيل أفرادها إلى أداء أدوارهم بطـرق أكثر فعالـية، فكل عضو فى الأسرة ينجز ما يتوقع منه، ويتكـيف لدوره الجديد عندما تتغير الأحوال وتبدو التوترات. وهذا يعنـى أن الأسر المنظمة هى التى تقوم بـين أعضائها علاقات حـميمة، والتى يكون أفرادها لديهم من الاستعدادات والإمـكانات والقدرات لمواجهة الاحتمالات غير المناسبة،ويكونون أقدر على التكيف بسهـولة مع العوائق وبحيث لا تترك مواجهتهم إلا القليل جدا من الآثار على أبـنيتهم النفسية وغالبا لا تـترك. مما لا يسهم فى تدهور حال الأسر وحال الزوجين فى كل أسرة أو تورث لأبناء ما يفوق طاقاتهم.



إن العلاقة الزوجية تمتد لسنوات، وبخاصة فى مجتمعاتنا العربية، وخلال هذه السنوات، تقع الكثير من الأحداث المحببة وغير المحببة، وتكون هناك فترات للاتفاق وأخرى لعدم الاتفاق. إن هذه العلاقة لطولها تتعرض للرقابة وأحيانا للملل، ويجب أن يفكر الزوجان، فى أخذ إجازة بصفة دورية كما يحدث فى ممارسة الأعمال، فهناك أجازة أسبوعية عن العمل، وأخرى سنوية. وبالتالى يكون من المفيد وجود فترة إجازة بين الزوجين، لمدة تتراوح بين يوم إلى ثلاثة أيام، لأن ذلك سوف يدعم هذه العلاقة ويقويها ويساعد على استمرارها.

وللإجازة الزوجية فوائد كثيرة، تتمثل فى القضاء على الإحساس بالملل لأن كل طرف سوف يتعرض لأحداث أخرى، دون وجود الطرف الآخر، ومن ثم يكون هناك إحياء للشوق والحنين إلى الطرف الآخر، والإجازة الزوجية سوف يشعر معها كل طرف بقيمة الطرف الآخر وهو بعيد عنه، هذا الشعور الذى لا يظهر إذا كانا مع بعضهما يوميا.

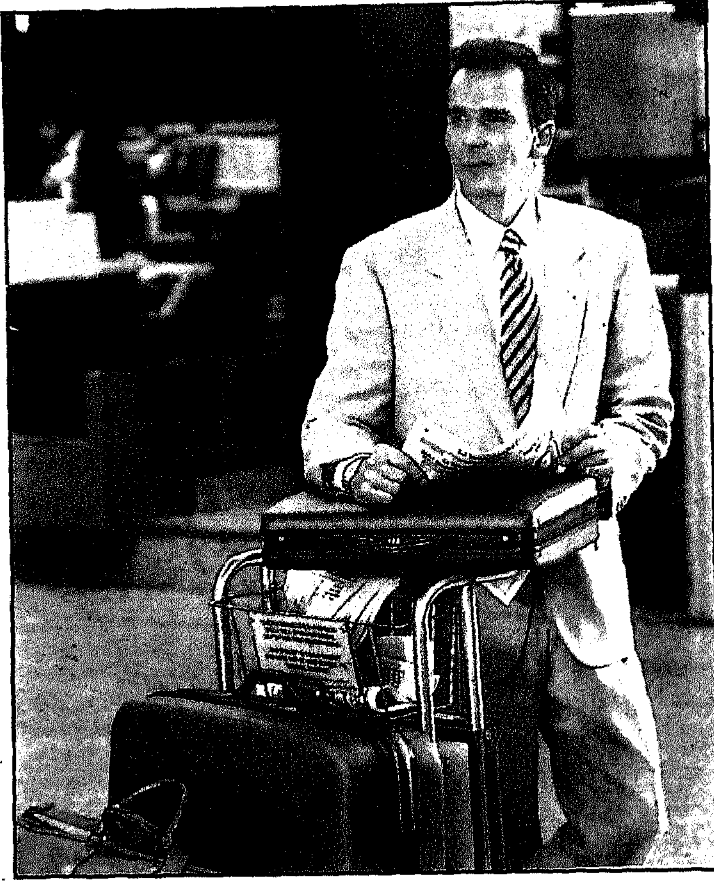
والإجازة الزوجية تعتبر فرصة لإعادة التفكير حال وجود مشاكل بين الزوجين، وفيها إراحة للأعصاب والتروى فى اتخاذ أى قرار.

إن هذا النوع من الإجازة يجب أن يكون متكررا ولكن لا تكون مدتها طويلة لأن ذلك قد يخلق لدى كل طرف إحساسا بعدم احتياجه للآخر ويتنافى مع الشريعة الإسلامية. فيوم إلى ثلاثة أيام كل عدة أشهر ربما يكون كافيا.

وهناك من الأزواج ما يتم بينهم مثل هذا البعد الذى يكون بمثابة إجازة يطلق عليها إجازة الظروف للعمل أو المرض مثلا.. وهو ما أدى إلى مثل هذه الفكرة، ولكنه يختلف عن الإجازة الإجبارية التى هى بسبب السفر للعمل نظرا لأنها تكون غير محببة للطرف الآخر أحيانا، فهى لا تؤدى الغرض مثل الإجازة الزوجية المتفق عليها، لأن الأخيرة تقرب بشوق كل طرف من الطرف الآخر وتؤكد اهتمام كل طرف بالطرف الآخر. مما يجعل كلا منهما على استعداد للتغاضى عن عيوب الآخر وتذكر محاسنه ومزاياه، مما يزيد استعدادهما للتضحية من أجل أسرتهما.. وهنا يكون الحب الحقيقى الذى يتجاوز عن صعوبات وضغوط الحياة ويربيان أبناءهما على خلق قويم.

إن الاتفاق على إجازة زوجية كل عدة أشهر يشعر كل زوج بقيمة الآخر، لأن امتلاك جوهرة ليس كافيا بالشعور بقيمتها فهذا الشعور يتم حينما نفتقدها أو تكون بعيدة عنا. ولا يجب أن تطول مدة الأجازة حتى لا يشعر كل من الزوجين بعدم احتياجه للآخر كما يجب أن يكون هناك اطمئنان للمكان الذى يتواجد فيه الطرف الآخر ويتفق





مع القيم والتقاليد السائدة فى المجتمع. وبهذا نحمى الأسرة من الرتابة والملل المؤديان أحيانا إلى صعوبة العيش والشعور بالضيق وربما يجتمع ذلك فى ظروف أخرى ضاغطة تؤدى إلى تعاسة الأسرة وأفرادها وربما انهيارها.

والزوجة فى سعادتها واستبشارها سر سعادة أسرتها ومنزلها بجميع أفراده. فالمرأة الذكية لا تتعجل بوصف حالتها أنها تعيسة أو محبطة فلو فكرت قليلا، قد تحول حالتها المحبطة إلى سعادة، على الرغم من أن السعادة مفهومها واسع ومتعدد وتختلف باختلاف الأفراد.

فقد تعتقد زوجة أن حصول زوجها على منصب هو سعادتها، أو حصول ابنها على شهادته هو السعادة لديها، أو إذا حافظت على وزنها وشكلها، أو إذا وجدت الزوج المناسب لابنتها غير الجميلة.



وقد تشعر امرأة أخرى بالسعادة عندما يـمدحها زوجها أو يمدحها الناس ويطرون على تصرفـاتها أو جمالهـا. . ورغم ذلك فالسعادة بعـيدة عن سيطرة الإنسـان أكثر مما يعتقد. . ، لأن السـعادة لا تأتى من المكانة أو الشكل أو المريح أو الحالة الاجـتماعية أو المال. وهى ليست تلك الضحـكة المتصلة، ولكنها شعور عميق يجـعل النفس راضية بما قسم الله، وتعرف كيف تعيش هذا الرضا.

يبدو أننا نرث السعادة بصرف النظر عما يحدث بحياتنا، ويمكن للمرأة أن تورث السعادة لأبنائها وتجعلها تعم على منزلها وزوجها إذا راعت مايلى:

١ ـ كان الاعتماد على الله فى كل شىء.

٢ ـ صممت أن تكون سـعيدة، فالتصمـيم على السعادة هو مفتـاح السعادة. إن التصميـم الأول للبحث عن السعادة هو البـداية وهو الخطوة الأساسية للوصـول إليها. فالتصميم على السعادة يجعل الفرد يشعر بها حتى مع الأشياء البسيطة التى تحدث خلال اليوم، ويجعل الإنسان يستمتع بكل أو معظم وقته.

٣ ـ السعادة تحتاج أن تعرف المرأة مسئولياتهـا وإمكاناتها واختياراتها، فمن السهل أن تقول المرأة إن زوجها ذا المزاج العصبى هو سبب تـعاستها، وأن تلعب دور الضحية، وربما يشعرها ذلـك بالارتياح للحظات فتشـعر بالأسف على نفسها وقـد تجعل الآخرين يشعرون بذلك. . ويمكـن ما يتبقى بعد هذا الارتياح المؤقت هو الاسـتياء الذى لايقود إلى شىء. . ولذلك فالمرأة الذكية هى التى تقول لنفسـها إنها ستكون سعيدة مسرورة مما لديها وإنها هى التى اختارت وإنها سعيدة بهذا الاختيار.

٤ ـ لا نتوقع الشعـور بمنتهى السعادة طوال الوقت، فالسـعادة شىء يأتى ويذهب كالأمواج، ومن المفيد جـدا أن نتقبل كل ما يأتى إلى حياتنا وأن نجد أو نبـحث فيه عما يسعدنـا. فالقناعة تتطلب عـمل توازن دقيق بين أن يتحـكم الإنسان فى حياته العـائلية وعمله إن وجـد. . فقد تلهث المـرأة أحيانا وراء ما تـريد وتحاول دفع الأشياء لـتأتى بما تريد، ولكن المرأة سوف تكون أسعد عندما تتراجع وتدع الأمور تمر وتتقبل ما يأتى إليها.

٥ ـ عندما تستبـد بنا الأفكار السيئة، أو نواجه ما يسبـب لنا الحزن أو الاكتئاب، فالمطلـوب تقبل الأمور التى حـدثت بتفاؤل وبشاشـة، حتى ولو كان هذا الحـزن بسبب تصرفات الآخرين. . فلا نـغضب لأخطائهم وعلينا ان نعلم أن الإنسان بطبـيعته خطاء، ولا نضع فى الذهن الثأر منهم ولا الشكوى، بل الأفضل أن نرسم على وجوهنا التفاؤل



وربما ابتسامة عريضة ونلقى بأكتافنا للخلف ونأخذ شهيقا عميقا حال الموقف، و يمكن أن نرفع معنويات أنفسنا بالترفيه أو بالضحك فى موضعه أو أى شىء تعودنا عليه.

٦ ـ على الزوجة والمرأة عموما أن تكون واضحة مع الآخرين وتحاول أن تكون أعمالها واضحة، ولا تفعل ما تخجل منه أو يحول بينها وبين السعادة.. فسر سعادة الطيور أنها تساير الشمس فى يومها.. أى إن يومها يتماشى مع وضوح النهار.

٧ ـ العمل والعطاء أساس السعادة. فالمعروف أن الإنسان إذا لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل. فالنفس بها طاقات لا تهدأ، وهذه الطاقات إذا لم توجه فى سبيل العمل الصالح والإنتاج والخير فسينتابها الحزن والكآبه، وأكثر ما يشغل طاقة الإنسان العباده وما يملأ وقت الفراغ هو الهوايات المختلفة بجانب العمل وكذا الرياضة وكذا مساعدة الآخرين تجلب السعادة.

٨ ـ على المرأة أن تردد فى نفسها إن حياتها جميلة رائعة وتعرب عن امتنانها، ويكفى أن لديها من الصحة والعقل والعواطف وزوج وأبناء وإحساس وبصر وسمع و.. فماذا تفيد مليون من الجنيهات إذا افتقدنا واحدة مما منحنا الله أو فقدنا كل ما وهبنا الله وبقت لدينا ملايين الجنيهات.

ولعلنا نتذكر قول الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مال   ولكن التقىّ هو السعيد

كل ذلك يعد من أساليب التكيف مع ظروف العصر، والتطور الحضارى ومع مثل هذه الأساليب للسيطرة على صعوبات مواجهة ما يعيق الأسر من مواقف وأحداث وأزمات نكون فى سبيلنا نحو التحضر الاجتماعى فى ظل الظروف المحيطة المتقلبة وفى الحفاظ على أصالتنا وقيمنا مما يبعدنا قدر الإمكان عن الإحباطات التى تعانيها أسرنا والتى أحيانا ما تؤدى إلى الانهيارات الأسرية والأسر المتصدعة Broken Family .

ولذا نجد أن كلا من فليتشر Fletcher و«أرون» Aron على عكس «أوجبرن» Oguburn ، إن الأسرة ليست فى حالة تدهور، ولكنها تتكيف من خلال أعضائها مع مطالب الواقع بالبيئة أو المجتمع الحديث المتغير بطبيعته. ويرى «فليتشر» Fletcher أن الأسرة الحديثة تتكيف بطريقة أفضل لمطالب الناس والمجتمع والمواقف عما كانت عليه فى الماضى وأصبح لديها مهارات أكثر من أسر سبقتها بقرون أو بأجيال، ويؤكد على أن الأسرة الحديثة فى المجتمع المعاصر تعد من أعظم قصص النجاحات فى القرن العشرين.



المبحث الرابع والعشرون

طرائق ووسائل الرعاية الأسرية لمظاهر النمو النفسى والاجتماعى والمشكلات المصاحبة عند الأبناء

من الأهمـية بمكان أن نحدد دور الأسـرة فى المجتمع الإسـلامى باعتبـارها أولى المؤسسات الاجتماعية من حيث مسئولية التنشـئة السليمة حتى يتحقق للصغار والمراهقين والشباب التوازن الاجتمـاعى من خلال التربية والتوجيه والقدوة والاهتمـام باحتياجاتهم فى مراحل الـنمو المتعاقـبة. ثم يلى ذلك دور المدرسـة فى النمو المتوازن والمـتكامل فى النواحى الروحية والاجـتماعية والعقليـة والنفسية والحسية للـشباب .... وكيف تزود المدرسة أبناءها بالقـدر الأساسى من المعارف والاتجاهات والمهارات، وتنمى شـخصياتهم من خلال كـشف قدراتهـم ومواهبهم وتـوجيههـم دراسياً ومـهنياً وفقـًا لاستعـداداتهم وقدراتهم الخاصة.

يتبع ذلك مسـئولية المؤسسات التعليـمية وعلى رأسها الجامعـات فى تطوير الحياة الثقافية، وإجراء البحوث الاجتماعية التـى تخدم البيئة المحلية، وتنمى قدرات المتعلمين والشباب وتفسح المجـال أمام استعداداتهم وابتكاراتهم وتوفر لهـم البحث العلمى، عند تخرجهـم وتحملهم مسئـولية العمل المنتج، وتنـمى لديهم القيم والمبـادئ التى تزيد من عطائهم وإخـلاصهم، وتمنحهـم الفرص المناسبـة فى اختيار المـهنة المناسبة وتحـقق لهم تطبيقات المبادئ التى تعلّموها فى مراحل دراستهم، حتى تتطابق مع فكرهم القيم وأنماط السلوك والمبادئ والممارسات الفعلية.

هذا بالإضافة إلى دور المؤسسات المسئولة عن رعاية الأبناء عامة والشباب خاصة، وهل تقدم الأنشطة والبرامج التى تستـوعب طاقات الأبناء والشباب فى أوقات الفراغ أو على مدار الخطط طويلة المدى، والتى تنمى قدرات وطاقات الأبناء والشباب وتعمل على تقليل المشكلات التى تواجههم، وتتيح لهم أداء أدوارهم فى البناء والإنتاج فى الوطن.

وفيما يلى وسائـل رعاية مظاهر النمو النفسى والاجتماعـى والمشكلات المصاحبة عند الأبناء عادة والشباب خاصة.



وسائل رعاية مظاهر النمو النفسى والاجتماعى:

تمثل مظاهر النمو الجسمى، والعقلى، والاجتماعى، والجنسى والأخلاقى، والانفعالى ـ الصلة الوثيقة باحتياجات الشباب ودوافعه ومشكلاته وتأثيرها الوظيفى على توافقه النفسى والاجتماعى.

ونعرض فيما يلى وسائل الرعاية الخاصة بمظاهر النمو المشار إليها:

١ ـ **النمو الجسمى:** ينبغى على الآباء والمربين نشر الثقافة الصحية بين: الأطفال والمراهقين والشباب والمبادرة إلى علاج الأمراض العضوية والنفسية التى قد يتعرض لها الأبناء، وتحسين النمو الجسمى باعتبار أن الصحة النفسية فى الجسم السليم.

هذا بالإضافة إلى استثمار طاقات الأبناء الكبار من المراهقين والشباب فى النشاط الرياضى والكشفى والثقافى والاجتماعى داخل وخارج المدرسة وفى الأندية التى تلقى عناية من المسئولين.

٢ ـ **النمو العقلى:** يتوجب على الآباء والمربين الاعتراف بأهمية الإرشاد النفسى والتربوى والمهنى، وإتاحة فرص التفكير والإبداع وتنمية الطاقات والقدرات الكامنة لدى الأبناء فى أعمال منتجة للمجتمع، تحقق الثقة فى نفوس الأبناء فى أعمال منتجة للمجتمع أى تحقق الثقة فى نفوس الأبناء وتزكى الطموح، وتنمى الابتكار والإبداع والإيجابية والواقعية فى الحياة العلمية.

٣ ـ **النمو الاجتماعى:** يتطلب هذا الجانب من مظاهر اهتمام الآباء والمربين فى توفير المناخ المناسب للتوافق الاجتماعى وتنمية الذكاء الاجتماعى وتنمية المرونة فى تبادل الرأى والتوسع فى إقامة مراكز الترفيه لتقديم الرعاية الاجتماعية والرياضية، وحيث يمكن إتاحة الفرص لتحمل المسئولية الاجتماعية، وتنمية الشخصية وتكوين اتجاهات تتوافق وقيم المجتمع، ومساعدة الأبناء فى دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعى.

٤ ـ **النمو الجنسى:** فى إطار مظاهر النمو الجنسى، تقع المسئولية الكبرى على عاتق الآباء والمربين فى مساعدة الأبناء، وخاصة المراهقين والشباب على توجيه النشاط الجنسى الذى يبدأ مع بداية المراهقة، بإعلاء الدوافع وتحويلها إلى أنشطة أخرى كالرياضة والنشاط الاجتماعى والدينى، وممارسة الهوايات، والبعد عن المثيرات التى تتناولها الكتب والمجلات والبرامج التليفزيونية وأشرطة الفيديو، وتنمية المعلومات المفيدة عن الجنس وآثاره الضارة فى حالة الإشباع المنحرف، هذا مع تزويد الشباب بالمعايير والقيم



الاجتماعية والدينية وإقناعه باحترام الحرمات، وكيفية الحفاظ على حقوق الأقارب والجيران والمعارف وصيانة الأعراض، إضافة إلى تزويد المراهقين والشباب بالمعارف القائمة، على أن الحياة الزوجية العامة ليست مقصورة على الجنس بل هى مسئوليات اجتماعية وأعباء اقتصادية وانتماء وإيثار وتضحية.

٥ ـ **النمو الأخلاقى:** فى هذا المظهر من مظاهر النمو يوجه الاهتمام إلى الجانب التربوى لكل من الدين والأخلاق وذلك بتوعية الأبناء بالتمسك بالخُلق القويم والبُعد عن التعصب والاستقامة فى السلوك ومراقبة الضمير فى السلوك ومقاومة الانحرافات والمغريات المادية والجنسية. وتنمية المسئولية والاعتصام والتماسك الاجتماعى من أجل توافق نفسى واجتماعى للفرد فى الأسرة والمجتمع على السواء.

وسائل رعاية المشكلات المصاحبة الخاصة بالأبناء:

نعرض فيما يلى الوسائل التى يمكن أن توجه لرعاية المشكلات المصاحبة للأبناء والمتمثلة فى:

أولا: ضوابط العلاقات الأسرية الاجتماعية:

حتى يتحق التوافق النفسى والاجتماعى داخل المحيط الأسرى، ويقل الصراع بين الآباء والأبناء، يمكن أن يكون دور الأسرة فى المجتمع العربى قائماً على:

١ ـ العمل على وقاية الأبناء من الاضطرابات النفسية داخل الأسرة وإدراك مسئولية الآباء نحو تنمية الأبناء فى جو أسرى يسوده التراحم والتعاطف وعدم التفرقة والتمييز ببين الأبناء، وعدم تفضيل أى الجنسين على الآخر، والاحترام المتبادل بين الأبناء والآباء. وفى هذا ما يؤدى إلى تحقيق الزمن والطمأنينة فى الجو الأسرى وإيجاد الشعور بالتقبل من الوالدين.

وهذه الاتجاهات الوالدية من شأنها أن تنمى السلوك المتوافق، وتعمل على زيادة الروابط والتماسك الأسرى والتطابق بين أعضاء الأسرة.

٢ ـ تبصير الآباء والأمهات وتوجيههم إلى الحاجات الأساسية النفسية للأبناء، وكيفية الإشباع المتكامل، بهدف جو أسرى يتحقق فيه الأمن والطمأنينة، وفى هذا ما يزيد التماسك الفردى والجماعى داخل الأسرة.

فقد يتصور الآباء أن الإشباع لحاجات المادية كالمأكل والمشرب وتهيئة وسائل الراحة من الملبس وفاخر الرياش وأدوات الترفيه والتسلية واللهو وغير ذلك، قد يتصور



الآباء أن إشباع هذه الحاجات المادية وتوفيرها للأبناء يمكنهم من الاستقرار الأسرى والاجتماعى؛ رغم أن هذا إغفال للإشباع النفسى المتكامل الذى يتعدى هذه الحاجات إلى شعور الأبناء بالاعتماد الأسرى والتعاطف والتراحم والتواد والعشرة الطيبة من جانب الآباء لهم ومعاونتهم فى حل مشاكلهم بطريقة موضوعية بناءة. وفى هذا كله ما يُنمى سلوك الالتزام والترابط الأسرى ويُحقق التواؤم والتطابق بين أعضاء الأسرة الواحدة.

٣ ـ أن يتجنب الآباء الفرقة والتفكك الأسرى الناجمين عن حرمان الأبناء من الأب أو الأم عن طريق الطلاق أو غيره من مسببات تباعد الأبناء، وهى مشكلة تعانى منها الأسرة العربية بصورة واضحة؛ فالمعروف أن التصدع الأسرى الناجم عن وفاة أحد الوالدين أو الطلاق أو تعدد الزوجات وتفرق الأبناء ينتج عن ذلك حرمان وفشل وإحباط فى الحياة الأسرية ويؤدى ذلك إلى إخفاق الأبناء فى الانتماء الأسرى وفى الحياة المدرسية، وما قد ينجم عن ذلك من الانحرافات السلوكية فى المجتمع.

٤ ـ من المعروف أن الفترة الحساسة فى حياة الأبناء هى فترة المراهقة وما يصاحبها من تغيرات جسمية ونفسية وعقلية واضطرابات جنسية، وما يترتب عن ذلك من سلوك غير متوافق من الأبناء فى علاقاتهم الأسرية. وهذه الفترة الحرجة من العمر تحتاج إلى انسجام أسرى وتماسك أسرى أكثر من مرحلة الطفولة أو مرحلة الرشد. فالبنون والبنات فى هذه المرحلة من العمر معرضون بحكم الاضطرابات العديدة التى تصاحب النمو إلى الاضطرابات الانفعالية وسوء التوافق، والانطواء والتبعية للرفاق أو التمرد على السلطة المنزلية أو المدرسية. لذلك تحتاج هذه المرحلة بالذات من الأبوين إلى وعى وإدراك بمسئولياتهم دون مغالاة فى الإفراط فى تلبية مطالبهم أو التراخى فى الاستجابة لحاجاتهم أو القسوة الزائدة واللامبالاة بمشاعرهم، مما يترتب عليه عند اتباع أى من هذين الاتجاهين المتضاربين، ضعف ثقة الأبناء بأنفسهم وبذويهم ونفورهم من الحياة الأسرية، وتمردهم على أوضاعهم وخروجهم عن الالتزام والطاعة والضبط والتنظيم، وعقوقهم للوالدين ولغيرهم من الجوار والأقارب والرفاق فى الدراسة أو المجتمع. بل قد يحدث أيضا عدم رضاء الأبناء عن الآخرين، والرغبة فى تعذيب الذات والتعذيب للآخرين، وفى هذا ما يُفقد الأبناء الانتماء الأسرى والتبعية للمجتمع الأم وكراهية الحياة الأسرية والحياة الاجتماعية.

٥ ـ من الناحية النفسية يقوم الآباء والأمهات والمربون بالدور الأساسى فى تشكيل خصائص النمو الانفعالى والاجتماعى إبان مرحلتى الطفولة والمراهقة.



فالنمط الأسرى السائد والنمط المدرسى ـ السائد أى النمط الذى يتخذه الكبار من المعايير والاتجاهات والعادات والعقيدة الدينية ـ هو الأساس المحدد لنمط السلوك السائد فى المجتمع. والإخفاق فى التطابق والانسجام الأسرى يمكن إرجاعه إلى إخفاق الأبناء فى التكيف مع الجو السائد فى الأسرة واختلاط الأمور بينهم وبين الكبار أى وجود سوء التوافق بينهم وبين الكبار.

لذلك نؤكد فيما يلى إبراز الدور الذى تتحمله الأسرة ممثلة فى الآباء والأمهات نحو أبنائهم فى تربيتهم وهم صغار، وخاصة خلال فترة الاضطرابات النفسية والجسمية والعقلية أى فترة المراهقة ـ فعلى الآباء إدراك أدوارهم ـ قبل معاملة أبنائهم ومعرفة اتجاهاتهم قبل محاسبة أو عقاب الأبناء.

وفى هذا ما يساعد على حل كثير من المشكلات الأسرية وما يعمل على التماسك الأسرى، والمفروض أن العطاء أمر متبادل بين الآباء والأبناء، وأن الإدراك للمشاكل يتم أولا عن طريق الآباء لذلك قد يكون من المناسب اتباع ما يلى:

(أ) إيجاد روح الصداقة والمودة بين الكبار والصغار، فالشعور الصادق والعاطفة الجدية والتراحم من أبرز ما يجب لمساعدة الأبناء الصغار المراهقين والشباب.

والعاطفة الصادقة ـ وليس زيفها أو خفيتها ـ تمكن الصغير والمراهق والشاب من أن يكشف عن اهتمامات والديه نحوه، وبالتالى إذا سعى الآباء إلى مودة الصغار فإن الأبناء يقدرون الآباء ويتعلقون بهم، وفى هذا يكون دافعاً لهم للإجابة للمطالب الأسرية، واتباع الحقوق والواجبات المطلوبة منهم تجاه النظام الأسرى.

(ب) فرض السلطة والاستبداد الذى قد يتبعه بعض الآباء اعتقاداً منهم بأن هذه السلطة تمثل النظام الأسرى الأصلح لتقويم الأبناء، واحتفاظا بهيبة الآباء والأمهات. هذا السلوك من قبل الآباء أمر يتبعه فى الكثير من الأحيان، تمرد الأبناء على السلطة داخل المنزل وانحرافات سلوكية داخل المجتمع الأسرى والمجتمع الخارجى؛ فاحترام النظام والضبط والربط قد لا يقدره إلا الراشد المطمئن إلى نفسه.

والمعتقد بين الكثير من الآباء أن القواعد والنظم والأحكام والربط والضبط داخل الأسرة هى من الأمور الناجحة فى تهذيب الصغار والمراهقين وتوجيههم.

وإذا خرج البعض من الأبناء على هذا النظام، لقوا العُنف والاضطهاد وسوء العاقبة. هذا وينبغى على الآباء الشعور بحاجات الصغار ودفء المعاملة من جانبهم



والاستماع إلى رغباتهم، والمرونة فى التعامـل معهم. فليست القسوة الزائدة، ولا اللين الزائد بوسائل مجدية فى توجيه الأبناء.

(جـ) الضـغوط الآتية مـن قبل الآباء والنـظم التى يجب أن يـلتزم بهـا الأبناء، والقواعد التى يجب اتباعها وعدم الخروج عنها من قبل الأبناء، هذه الضغوط من شأنها إحداث تمرد من الأبناء وعصيان وعدم اللامبالاة والاكتراث من الآخرين.

فقد يـحدث للأبناء انتكـاس واكتئاب أو المرض الـنفسى نتيـجة لقواعـد أو قيود تفرض عليهم دون غيرهم ممن فى مثل سنهم؛ وفى هذا ما يدعوهم للانحراف والتمرد. ذلك لأن الابن مثلما يريد من أبويه المحبة والتقدير والاحترام فهو فى ذات الوقت يبتغى نفس المشاعر من أقرانه وإلا افتقد الابن الصـغير أو المراهق أو الشباب المبكر انتماءه إلى أسرته، وبدأ الصراع بينه وبين ذويه.

(د) الحماية المـفرطة من قبل الآباء علـى الأبناء والتدخل فى شئـونهم والإشراف الدائب عليهم فى لعبهم وسكونهم وطعامهـم وتقييد الحرية عليهم وعدم إعطائهم فرص التصرف، كل هذا يُعطل النمو الانفعالى للأبناء ويُحدث سوء التوافق مع الوالدين، وفى هذا ما يُفقد الاستقلال فى النمو. بل من المعـروف من الناحية النفسية أن الصغار الذين يفتقدون الاستقلالية وهم صغار، لا تتـاح لهم فرصة الاعتماد على النفس أو ما يعرف بالفطام الـنفسى. وغالبـاً ما يُصبح هؤلاء الصـغار فيمـا بعد عند الدخول إلـى مرحلة المراهقة والشباب غـير أسوياء متمردين على الضبط والنـظام والسلطة. ومن المعروف أن انحـرافات الأحداث والـشباب مـرجعـها الأسـاسى سوء التـكيف الأسرى، وضـعف العلاقات والـروابط الأسرية والتماسك لـتشجيع الأبناء عـلى تحمل المسئوليـة، وتقليل القيـود والموانع التى تُفـرض عليهم، والتـى قد يُبالغ فـى حدودها، مع عدم الـتراخى والتساهل أكثر من اللازم، حتى نوجد المناخ الأسـرى الصحى المناسب للنمو الاجتماعى والانفعالى الصحيح للأبناء.

هذا، وعلى الآباء مراعـاة أن مروق الأبناء وعصيانهم فى بـعض الأحيان، يجب ألا يُقابـل بالقسوة الـزائدة أو الثورة والعـقاب الصارم من قـبل الآباء، بل يجب تـفهم الأسباب والدوافع وراء السلوك غير المرغوب فيه من قبل الأبناء.

(هـ) يعتـقد الآباء أن مرحلة المراهقة بـالذات هى مرحلة عدم استـقرار، بل هى مرحلة تقلب انفـعالى حاد. فأحياناً الضـيق والتمرد على النصائح المفـيدة، بل والتمرد على أقل ضـوابط النظام، والتـحدى بأن الابن يعرف الـصواب أكثر من الـكبار . . . .



لذلك حتى يتجنب الآباء المشاكل بينهم وبين الأبناء، وحتى يعملوا على تقليل الخلافات بينهم وبين الأبناء عليهم تقبل وتفهم التناقض فى سلوك الأبناء. بل إن التقلب والاستقلال السريع من التبعية والاعتماد على الكبار إلى التحرر والاستقلال الكلى، هو من السمات الظاهرية فى سلوك المراهقين.

كما أن التذبذب فى السلوك بين تقبل توجيه الآباء، والتمرد على سلطانهم، مبعثه رغبة الأبناء فى الاستقلالية، ورغبتهم فى الاعتماد على غيرهم للتهرب من المسئولية.

وهذه المظاهر السلوكية أكثر ظهوراً إبان مرحلة المراهقة حيث لا يلتزم المراهق بما حوله من قيود ونظم وتقاليد وأعراف، وحيث يحاول التخلص من متاعبه حتى يبدأ فى الاستقرار إذا لم يواجه بالسلطة الضابطة داخل المنزل أو خارجه.

وقد يُعارض الآباء التمرد الذى يحدث من قبل الأبناء، عندما يتخطون مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة. والتمرد فى حدوده المعقولة سمة من سمات التوافق الأسرى، ورغبة الصغير فى مشاركة الكبار المسئولية، وأنه أصبح ناضجاً، وكما تقبل الكبار من الآباء والمربين هذا التغيير فى سلوك الصغار وكان التوجيه بالإقناع والإرشاد والنصح . . . فإن التقارب بين الصغار والكبار سيتم حدوثه، بل سيقوم الصغار بتعديل وتحوير اتجاهاتهم السلبية وأفكارهم عن الكبار وسلوكهم نحوه.

(و) وقد لا يهتم الآباء بالمشاكل الطارئة للصغار والتى قد يترتب عليها زيادة سوء التوافق بين الصغير وذاته، لذلك عندما تطرأ مشاكل فى حياة الصغار، فإنه من الضرورى اهتمام الآباء بهذه المشاكل، والعمل على تعديل سلوك الأبناء حتى لا يتمادى الأبناء ويترتب عليها مضاعفات. وقد تزداد متاعب الصغار إلى الحد الذى يؤدى إلى عزلتهم عن باقى أفاد الأسرة أو تتكاتف المضايقات إلى حد البكاء أو العنف من قبل الصغار، أو التفوه بجارح الكلم أو يصل الأمر لاسمح الله إلى التفكير فى الانتحار. وحتى يحدث الالتزام والضبط والتوافق الأسرى، يلزم من الآباء إيجاد متنفس لهموم الصغار لما يعانونه من المشكلات أو الآلام النفسية. ويمكن أن يتم ذلك بتشجيع الصغار والمراهقين على الإفصاح عن مشاعرهم، وزيادة الصلة بين الآباء والمربين وبينهم.

(ز) جانب آخر هام من جوانب الالتزام بالضبط والربط والنظام فى المجتمع الأسرى بصفة خاصة والضبط الاجتماعى بصفة عامة. هو ما يتمثل فى الانفصالية



الواقعة بيـن جيل الحاضر والمتمثـل فى الأبناء، وجيل الماضى المتمـثل فى الآباء، حيث تظهر فى كـثير من الأحيان سلطة الآباء فـى فرض معاييرهم دون مبـالاة بمطالب الجيل الذى ينتمى إليه الأبناء، والواقع أن الإمكانات الحاضـرة والتغيير الحضارى السريع الذى تشهده السـاحة العربية وعدم اقتناع الآبـاء فى الكثير من الأحيان بالمـستورد من الأفكار والتقـاليد والمعاييـر التى تخالف ما عـاش عليه الآباء .. وهو مـا سبق تعريفـه بصراع الأجيال .... وما يترتب عنه من الانفصالية بين الأجيال، ومن شأن ذلك إحداث عدم التماسك الأسرى، الأمر الذى يحتاج من الآباء مساعدة وتوجيه الأبناء، عندما يحاولون إلزامهم بالمعايير والعادات والتقاليد وقـواعد الضبط والنظام، مع الاهتمام بمطالب الجيل الذى ينتمى إليه الأبناء.

(ح) وكلما أدرك الآباء أن سوء التوافق من قبل الأبناء مرجعه فوارق الحضارة بين جيل الآباء، وأن نـظرة الأبناء قد تصفـهم بأنهم من جيـل عتيق متـزمت ... وكانت محـاولات الآباء التغـلب على هذه النـزعات فى نفـوس الصغار، عـن طريق المناقـشة والحوار الهـادئ وزيادة الثقة بـينهم وبين أبنـائهم، وتعديل الأفـكار السلبيـة من الأبناء .... أدى ذلك إلى توافق أسرى بين الآباء والأبناء.

بل إن هذا ما يضيق الثنائية والتعارض بين الأجيال، ويُقرب من الاتجاهات داخل الأسرة الواحدة، حيث تتاح فرص التعبيـر عن المشاعر وحيث لا تُفرض السلطة من قبل الآباء تجاه الأبناء.

(ط) تنميـة الاستقـلالية الذاتيـة بين الأبناء عن طريـق إتاحة فرص المشـاركة فى الأدوار الاجتماعية التـى من شأنها تدعيم الحياة الأسرية المتماسـكة وتقليل المشاكل التى يعيشها جيل الأبناء. والافتقار إلى تحـقيق الذات بين الأبناء، مرجعه التناقض فى سلوك الكبار، والـتناقض فى نظام القـيم والمعايير المعـلنة داخل الأسرة أو المدرسة أو المـؤسسة التربوية والإجبار على احـترامها. بل إن التناقض بين القديم وبين مـا يقتنع به القدامى والكبار من أهمـيته وقدره، وبين الحديث الذى يـقتنع به الصغار والأحداث من أهـميته وقدره وبين الجماعة والرفاق الصغار وبين قيم الكبار والآباء.

وهذه التناقضات من شأنها إحداث اضطرابات سلوكية فى نفوس الصغار، وتكون من عواقبها الانعزالية والاغتراب وفقدان الثقة بالذات.



لذلك من أجل تقليل الصراعات فى التفاعل والتعامل الأسرى . . . ومن أجل تماسك أسرى فى مجتمعاتنا العربية . . . ومن أجل علاقات وانتماء أسرى بين أفراد الجماعة الأسرية فى الوطن العربى حيث قد لا يتم الانتماء وتأكيد الذات وثقة الأبناء بأنفسهم . . . . قد لا يتم هذا عن طريق النصح والوعظ ولا عن طريق الإرغام والقهر، بل عن طريق المشاركة، وحث الأبناء على التصرف فيما يتصل بحياتهم وفى مسئولياتهم وأدوارهم الاجتماعية، حيث تتاح لهم الفرص المناسبة للتعبير عن مشاعرهم، فى جو أسرى هادئ، يحدوه النظام والضبط دون إفراط أو تفريط.

وفى هذه التنمية الاستقلالية ما يُدرب الأبناء على المواطنة والانتماء كمواطنين. لذلك فإن تحقيق الذات وتحديد الهوية بالنسبة للأبناء من شأنه إيجاد توحد إيجابى مع الوالدين، وإعطاء الفرصة أمام الأبناء للوصول إلى مشاركات إيجابية أكثر اتساعاً عن نطاق الأسرة وأكثر التزاماً بالضوابط للتماسك الاجتماعى فى المجتمع الأم.

ثانيا: أساليب الوقاية لتقليل مشكلات التأخر الدراسى:

عند استعراض مشكلة التأخر الدراسى، والتى تُعد من المشكلات التربوية الاجتماعية النفسية، والتى تحدد فى نوعها على أساس انخفاض معدل الذكاء أو إلى نقص الاستعداد والقدرة فى مادة دراسية معينة، نجد أن مسببات التأخر الدراسى عديدة سبق إيضاحها ضمن المشكلات التعليمية.

ومن أساليب الوقاية لتقليل مشكلة التأخر الدراسى، محاولة تلافى مسببات التأخر الدراسى ـ الأسباب الحسمية (العقلية ـ الاجتماعية ـ الاقتصادية ـ الانفعالية ـ والمسببات الأخرى) والعناية بالإرشاد التربوى فى المدارس والاهتمام بالنواحى الصحية والاجتماعية والاقتصادية للتلاميذ، وفى تعاون الآباء والمدرسين والإخصائيين النفسيين والاجتماعيين فى المدارس، ما يعمل على المحافظة على مستوى التحصيل وتحسنه، وعلاج أسباب التأخر فيه وتنمية القدرات والمهارات عند التلاميذ عندما يتم التعرف على الأسباب الموضوعية لمشكلة التأخر الدراسى، كما أنه يمكن إقامة علاقات طيبة بين التلميذ المتأخر دراسياً والأخصائى النفسى والاجتماعى، حتى يتم تبصير التلميذ بجوانب مشكلته وتشجيعه على التعديل الذاتى للسلوك، وتحسين مستوى توافقه الأسرى والدراسى والاجتماعى.



ثالثا: أسالب الوقاية من الإدمان:

مشكلة الإدمان بين الشباب والكبار لما لها من مخاطر عديدة فى المجتمع الإسلامى العربى لها مسببات عديدة، ومتغيرات أساسية تتمثل فى العقار المستخدم فى الإدمان، والفرد والمدمن، والبيئة التى يحدث فيها الإدمان. وتتبع فى العادة طرائق رئيسية للوقاية تناظر هذه المتغيرات وتتمثل فى الوقاية القائمة على النماذج التالية:

الإصلاح التشريعى ـ الطبى (المتعلق بالصحة العامة) ـ النفسى ـ الاجتماعى ـ الثقافى.

وتعتمد هذه الطرائق على ما يتصل بها من سلوكيات متعلقة بالمتغيرات الخاصة بالإدمان والعلاج والوقاية فى مشكلة الإدمان كمشكلة اجتماعية، حيث يجب عدم الفصل بين العلاج والوقاية من الناحية العلمية. وهناك الأدوار والمسئوليات الاجتماعية للوقاية من الإدمان والمتمثلة فى الجوانب التالية:

التشريعات الوقائية ـ التوعية الدينية ـ مسئوليات البيئات الاجتماعية وهى الأسرة وجماعات الرفاق والمجتمع المحلى ـ ومسئولية المؤسسات التربوية ـ والتوعية الإعلامية.

كما أن الاستشفاء من الإدمان وعلاجه باعتبار أن العلاج ـ من الناحية المنطقية يمثل خطوة لاحقة للوقاية، وليس سابقة عليها، إذ عندما تكون هناك سياسات الوقاية المتكاملة البناءة تقل الجهود المبذولة نحو العلاج، وكلما ازدادت وكُثفت الجهود المبذولة نحو العلاج، دل ذلك على قصور سياسات الوقاية وضياع الجهود الموجهة من المسئولين عنها ـ وهذا العلاج من الإدمان بين الشباب يتوقف على:

الحالات التى تدفع المدمن إلى العلاج ـ المكان المناسب لعلاج حالات الإدمان ـ كيفية علاج الإدمان.

رابعاً: أساليب الوقاية من الاغتراب النفسى بين الأبناء والشباب:

يُمثل الفطام النفسى للشباب الاستقلال الذاتى لديهم فى قيادة أمورهم دون وصاية الراشدين فى الأسرة والمجتمع. هذا الفطام النفسى يُمثل تمهيداً واستعداداً لمسئولية الحياة وأعباء التصرفات الفردية.

وميل الفرد نحو الاستقلال الذاتى يبدأ مبكراً منذ الطفولة، ويشتد فى المراهقة حيث يدفعه ذلك إلى أنواع من سلوك التمرد على سلطة تفرض نفسها عليه.



ويتعثر المراهق فـى خطواته الأولى فى قيادة نفسه نحو الاسـتقلال الذاتى، وذلك لنقص فى خبراته العملية، وضيق فى آفاقه وعلاقاته. والشباب يتلقى فى عمليات الحياة أعباء الاستقلال الذاتـى التى يشعر بثقلها، وقد ينوء بها ويحـن إلى الطفولة الحالمة التى كان يلقى فيها أعباءه على غيره، ويتمنى أن يعود إلى الوراء ويسمى ذلك النكوص.

وخير وسيلة لإعداد الشـباب للحياة العامة المستقبـلية أن يتدربوا رويداً رويداً منذ الطفـولة المبكرة، بحيـث كلما تقـدموا فى العمـر، ازداد استقلالـهم واعتمـادهم على أنفسـهم. وفى هذا مـا يُقلل الكثـير من سـوء التوافق النـفسى والاجتـماعى فى حـياة الشباب.

ومن المعروف أن الوليد ينشأ عاجزاً عن كل شىء وهو بحاجة إلى غيره فى تأمين كل ضروريات الحـياة. وهذا الاعتمـاد المُطلق على الوالـدين يجب أن يتقلص كـلما نما الطفل جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً، ثم يتابع سيره فى فطامه شيئاً فشيئاً، لا عن الثدى فحسب فى فطامه الغذائى، بل فى علاقاته الانفعالية والاجتماعية بينه وبين والديه وغيرهما من الراشـدين. وهذا الفطام النفسى لا يمكن تحقيقـه إلا بتدريب الطفل داخل الأسرة. وعندما يلتحق بالدراسة بحيث يتحمل تبعات تتوافق واستعداداته وأن تهيئ كل فرصة ممكنة لتحمل المسئولية وإدراك التبعات وتلافى الأخطاء واتباع السلوك المتوافق دينياً واجتماعياً، والعـمل على مواجهة المواقف وتصحيح الأخطاء واستئـناف السير فى حياة المنزل والدراسة والمجتمع.

وهذا الفطام النفســى من شأنه تقليل الاغتراب النفسى، وهــو من وسائل الوقاية من الانحرافات التى تتـسبب من عدم إتاحة فرص الاستقلال الذاتى بيـن الشباب لقيادة أنفسهم فى تفكيرهم وانفعالهم، كما أن الفطام النفسى يُطالب به الشباب والراشدون كل مع نفسه فى توجهها، وكل نحو الآخر فى رعايته وتنشئته.

خامساً : أساليب التوجيه المهنى للشباب:

التوجيـه المهنى والتأهيل العلمـى للحياة المنتجة يُـحقق العديد من المزايا النـفسية والاجتماعية التى تقلل من المشكلات المهنية والعملية عند الشباب والتأهيل المهنى للشباب يتيح بجانب العائد المادى للشباب، ضمان الراحة النفسية التى يتلقاها الشباب عند أدائهم أعمالهم. ورعاية الشباب عند تفادى الأخطاء فى اختيار المهنة والتأهيل، يُعد من الأمور التى تواجه الآبـاء والمدرسين ورجال التربـية والتوجيه والـصناعة. وهذه الرعاية المـهنية تحتاج إلى سياسة تقتضى رسم خطط التأهيل المهنى للشباب والتى تقوم على:



١ ـ تشجيع الشباب وإتاحة الفرص أمامهم للتعرف على خصائصهم ومميزاتهم واستعداداتهم العقلية والميول، حتى يتوافق العمل مع الطاقات والاستعدادات.

٢ ـ توصيف المهن وإبراز أوجه التشابه فيها وتقسيم المهن . . . ما يُحقق للشباب اختيار المهنة التى تتوافق مع ميوله واستعداداته.

٣ ـ اختيار المهنة المناسبة للشباب، مما يتوافق مع السمات الشخصية وخصائص المهن ومتطلباتها مع تدريب الشباب عند الالتحاق بالعمل المناسب على اكتساب ما يُحقق له الاستقرار النفسى، وفى هذا ما يُحقق العائد المادى والمعنوى للشباب، وزيادة الكفاية الانتاجية لمصلحة المجتمع. ولعل فى هذا ما يُؤكد أهمية إنشاء وإقامة مراكز التوجيه والتدريب المهنى للشباب، وأن هذه المراكز تقوم على الوقاية من:

(أ) المشكلات النفسية التى قد تواجه الشباب عندما لا يجدون العمل المناسب الذى يُحقق الحياة المستقلة المستقرة وما ينجم عند ذلك من ضياع لفاعلية الشباب ونشاطه فى مرحلة من مراحل العمر تعتبر من المراحل الأساسية للحياة الإنتاجية.

(ب) المشكلات الاجتماعية: فالشباب الذى لم يؤهل لمهنة فى الحياة سيكون عاطلاً عن العمل يعيش عالة على غيره ويكون مصدر انحرافات فى الحياة الاجتماعية أو قد يشغل الشباب أماكن غير متوافقة مع كفاءاتهم واستعداداتهم، وخاصة إذا كانوا من أصحاب الخطوة الاجتماعية وبذلك يحرمون غيرهم من الأكفاء المؤهلين.

(جـ) المشكلات الاقتصادية حيث تُسند الأعمال فى بعض الأحيان إلى غير أهلها، وفى هذا ما يُعرقل الكفاية الإنتاجية والاقتصادية، بل قد يكون سبباً إلى انتشار البطالة أو سوء الإدارة والواقع أن مراكز التوجيه والتدريب المهنى للشباب، ونظم التوجيه المهنى الناجحة هى التى تجعل من كفاءات الشباب نقاط انطلاق ومراكز توجيه وإعداد مواطن توزيع الأعمال بنجاح وفق الاستعدادات.

والتوجيه المهنى المنظم يقوم على حُسن اختيار المهن لشبابها وبذلك يستفيد المجتمع إلى أقصى الإمكانات والحدود من طاقات الشباب وميولهم، ونضمن لهم مستوى اقتصاديا طيبا وحياة اجتماعية مستقرة واتزانا نفسيا متكاملا.

سادسًا: أساليب المشاركة الاجتماعية الإيجابية للشباب فى الحياة الاجتماعية

تؤدى إلى عائد فعال للشباب أنفسهم وللمجتمع الذى يعيشون فيه. وقد يُضحى الشباب بكل شىء إلا فى حياته الاجتماعية النشيطة مع رفاقه وأصدقائه. لذلك يمثل



الانطواء مشكلة عند بعض الشباب، حيث إن الانطواء يُمثل عدم النضوج الاجتماعى وعدم الكفاءة الفردية للحياة الاجتماعية التى هى من أهم خصائص الحياة الإنسانية.

فالشباب حين لا يجد فى نفسه القدرة على المشاركة الاجتماعية، يبتعد عن أهله وجيرانه وأقاربه، ولا يرغب فى مواجهة مواقف جديدة ويؤثر الابتعاد عن الناس، وقد ينتقم ممن حوله، وتكون انفعالاته حادة غير مستقرة، ويجتر الخيالات والذكريات التى قد تجر عليه مشكلات عديدة. ويرجع الانطواء عند بعض الشباب إلى الإخفاق فى تحقيق الذات نتيجة فقدان الثقة بالنفس أو النقص والإعاقة الجسمية أو العقلية أو إلى نبذ من الأسرة وتفضيل فرد آخر عليه، وحيث يكره المناقشة والاشتراك فى الحياة الاجتماعية التى تتطلب القدرة والكفاءة والمثابرة. والسلوك الانطوائى قد يكون بقدر محدد، وعندئذ قد لا يثير مشكلة نفسية أو اجتماعية. بينما الانطوائية الحادة تشكل اضطرابات نفسية. ويكون من نتائجها مضاعفات القلق والأنانية والسخرية والكآبة. مما يجعل حياة الشاب راكدة جامدة لا يستطيع تحملها.

والطريق الطبيعى للسلوك الانطوائى يعتمد على كشف أسباب ودوافع الانطواء، والتشخيص الصحيح يعد أول مراحل العلاج.

ومن أسباب الانطواء عوامل عديدة منها:

١ ـ الاختلال العضوى الناجم عن اضطرابات الإفراز الهرمونى بالجسم أو الجهاز العصبى وحيويته.

٢ ـ أو يكون السبب من المحيط البيئى عندما تتكاثر الصعوبات وعوامل الفشل فى الحياة الاجتماعية.

٣ ـ أو يكون السبب من التنشئة الاجتماعية القائمة على العناية الزائدة والإسراف فى التدليل، والمسارعة فى تأمين كل الطلبات وإشباع كل الرغبات.

٤ ـ أو قد يكون السبب من افتقار التشجيع الكافى من الأقران، وخاصة إذا كان الفرد ذا عاهة جسمية أو تشويه بدنى أو ضعف فى المستوى العقلى فينطوى الفرد هرباً من سخرية الناس. ويعتبر المجتمع مسئولاً عن هرب الشباب من المشاركات الاجتماعية الفعالة، حيث قد تؤدى الانطوائية الحادة إلى الكراهية والحقد والعدوان، الأمر الذى تحتاج فيه الخدمات الاجتماعية للشباب مراعاة هذا الجانب الاجتماعى والخاص بالمشاركات الاجتماعية الفعالة للشباب.



المبحث الخامس والعشرون

طرائق وسبل الرعاية الأسرية والمؤسسات التربوية والإعلامية بالنسبة للزوجة (الأم) العاملة

خروج الزوجة (الأم) إلى العمل قد يكون لأسباب اجتماعية أو اقتصادية، اقتضت الضرورة إلى خروج المرأة إلى العمل، دون أن يكون هناك سند ورعاية كافية من المجتمع يعينها على إنجاز التطور الهام فى حياتها الأسرية وفى العمل، بما يساعدها على حل مشكلاتها، وتثبيت أقدامها فى حياتها الأسرية وفى رعايتها لزوجها وأولادها ونجاحها فى العمل، وهو الأمر الذى كانت له آثاره السلبية فى أكثر حالات الزوجة (المرأة العاملة) لأدوارها كزوجة وكأم وأثره على الحياة الأسرية، وأضعف من دور الأسرة فى المجتمع المعاصر.

توصيات ومقترحات حول عمل الزوجة (الأم) وأثر ذلك على الحياة الأسرية:

لعل من الملائم إبداء التوصيات والمقترحات التى يمكن أن تؤدى - إذا ما وجدت طريقاً إلى التنفيذ - إلى التخفيف من حجم المشكلات والصعوبات التى تعانى منها المرأة العاملة، وبالتالى من حدة الصراعات التى تتعرض لها، والتى تؤثر بدورها على الحياة الأسرية.

ونود الإشارة إلى أن مساعدة المرأة العاملة على حل صراعاتها، فى محاولة التوفيق بين حياتها الأسرية وفى عملها، لا يمكن أن يحدث سريعاً وبمعالجة ظاهرية أو سطحية، وإنما ينبغى أن يتناول البناء النفسى والاجتماعى للرجل وللمرأة على السواء، بل وإعادة تركيب البنية الثقافية للمجتمع بأسره، بما فيها من أنساق القيم والاتجاهات والتقاليد. ومن هذا فإن التغيير ينبغى أن يتناول الأسس التى يعتمد عليها المجتمع ويستمد منها أفراده نماذج السلوك وأساليبه. كما يتناول فى الوقت نفسه البناء الخارجى للمجتمع، ممثلاً فى مؤسساته وأجهزته كالمدرسة والمؤسسات الثقافية والإعلامية والخدمات الأخرى. ونعرض فيما يلى التوصيات والمقترحات الخاصة بذلك:



أولا ـ على مستوى عمليات التنشئة الاجتماعية والتربوية:

محاولة بناء واكتساب اتجاهات اجتماعية جديدة تنظر إلى الذكر والأنثى نظرة إنسانية، على أن يتم ذلك منذ مراحل العمر المبكرة فى حياة الأطفال، ويتطلب ذلك من الأسرة والمدرسة، ما يلى:

١ ـ على مستوى الأسرة:

(أ) عدم إظهار التمييز فى معاملة الأبناء، بين ذكر وأنثى، فما زالت الاتجاهات الوالدية تحبذ الذكور على الإناث مع أن القرآن يقول: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ (النساء:١١) وتؤثر هذه الاتجاهات فى تفضيل الذكر على الأنثى رغم ما يُحدده الشرع الحنيف فى الرعاية الوالدية للذكور والإناث على حد سواء.

(ب) عدم الربط بين أداء العمل المنزلى وجنس الأبناء، فما زال بعض الآباء والأمهات يطلبون من البنات القيام بعمليات الرعاية المنزلية والتنظيم داخل البيت دون الصبيان، رغم أنه يجب أن يعتاد الصبيان المساهمة فى أعمال المنزل.

(جـ) تدريب البنين والبنات منذ الصغر على التعاون معاً فى أداء بعض الأعمال المنزلية دون تمييز. فقد كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يعاون زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فى كثير من أعمال المنزل.

(د) ولما كانت العقبة أمام تحقيق هذه التوصيات، هو افتقاد القدوة والنموذج من الزوج والزوجة، فإنه يُقترح توجيه برامج إرشادية للآباء والأمهات حيث يستمعون إلى محاضرات نفسية واجتماعية وتربوية ويشتركون فى حلقات للمناقشة حول الموضوعات والمشكلات التى يصادفها الأزواج والزوجات والآباء والأمهات، فى أداء أدوارهم، وذلك تحت إشراف خبراء متخصصين فى فروع مختلفة كالطب والصحة النفسية والاجتماع والتدبير المنزلى. ويمكن أن تكون هذه البرامج الإرشادية جزءاً من نشاطات الجامعات فى مراكز خدمة المجتمع ومعاهد التعليم، والأندية الرياضية والاجتماعية، والهيئات الاجتماعية.

٢ ـ على مستوى المدرسة:

(أ) إعادة النظر فى الكتب الدراسية مثل كتب القراءة والتربية الاجتماعية لتخليصها من الاتجاهات التقليدية نحو المرأة والرجل، وإضافة اتجاهات إيجابية جديدة



تدعم علاقات المشاركة فى الحياة الزوجية بطرق تعاونية وخاصة للتعريف بعمل الزوجة، دون الخروج عما يحدده الشرع من التزامات.

(ب) تدريب الذكور والإناث معاً مسبقاً لمناهج مشتركة، على مواقف العمل المنزلى، مثل عمليات التنسيق، وإعداد حجرات النوم التى ينامون فيها، وصيانة بعض الأجهزة المنزلية والأدوات الكهربائية والصحية ... إلخ، مع التركيز على العبء الملقى على الإناث باعتبارهن أمهات المستقبل. فما زالت مدارسنا الابتدائية تقدم مناهج منفصلة للإناث وأخرى للذكور حيث يتدرب البنات على الأعمال المنزلية والتدبير، ويتدرب الأولاد على أشغال النجارة والكهرباء والمعادن وأشغال الفلاحة والبساتين، رغم أن الحياة الحديثة تحتاج إلى زيادة التدريب فى مجالات منزلية أخرى لكلا الجنسين.

(جـ) الاهتمام بالثقافة الأسرية، فى المدارس حتى ينشأ الأطفال تنشئة تعاونية تتسم باحترام المرأة باعتبارها الأم والأخت والزوجة، والعمل من قبل الزوج والأبناء على تسهيل الحياة الأسرية بكل السبل.

(د) الاهتمام بمرحلة تعليم عمر ما قبل سن المدرسة الابتدائية، فما زال هذا التعليم هامشياً وخاضعاً للجهود الشخصية أو للاستثمارات الخاصة.

ويتطلب الأمر أن تكون هذه المرحلة موازية لمرحلة التعليم الابتدائى، أو التعليم الأولى، من حيث الانتشار ومن حيث الاهتمام، «فالتعليم الأولى» يبدأ من المرحلة التى تقع بين الثانية أو الثالثة حتى الخامسة أو السادسة. والاهتمام بهذه المرحلة التعليمية يُخفف عن الزوجة والأم العاملة من المتاعب فى رعاية الأطفال الصغار.

ثانيا ـ على مستوى أجهزة التثقيف والإعلام:

إن مؤسسات الثقافة مثل قصور الثقافة وأجهزة النشر والإعلام والنوادى الأدبية والثقافية تُعد مسئولة عن تقديم المواد الثقافية التى تتناول مشكلات المرأة العاملة بشىء من التبصير والاستنارة، لإيضاح المشكلات والصعوبات الخاصة بعمل المرأة لتصبح مستفيدة بنتائج الدراسات العلمية التى تجرى فى هذا المجال، لمساعدة المرأة العاملة للاهتداء إلى الأساليب التى تواجهها وما تصادفه من صعوبات فى أداء أدوارها. وهو ما ينبغى أن تقوم به كذلك أجهزة الإعلام من إذاعة وتلفزيون وصحافة.



ثالثا ـ على مستوى الخدمات التى يمكن أن تقدم للمرأة العاملة تيسيراً لأداء أدوارها:

١ ـ التوسع فى إنشاء دور الحضانة فى أماكن العمل أو فى التجمعات السكنية للأسرة التى تعمل فيها الزوجة (الأم) حتى تطمئن الأمهات العاملات على رعاية صغارهن.

٢ ـ التفكير فى إنشاء مكاتب لتنظيم الخدمات بالمنازل، وتدريب العاملات على رعاية الأطفال، وما يتعلق بهذه الرعاية من خدمات.

٣ ـ التوسع فى نظام نقل العاملين والعاملات إلى مقار أعمالهم وعودتهم إلى مساكنهم بوسائل مواصلات ميسرة عن طريق جهات عملهم.

٤ ـ إقامة الأحياء السكنية للعاملين بجوار العمل وتوفير الخدمات الأساسية فى هذه التجمعات السكنية.



المبحث السادس والعشرون

طرائق وسبل الرعاية الأسرية للمسنين والشيوخ ومرضى الشيخوخة المبكرة

فى عالمنا المعاصـر. أدت التطورات السريعة المتلاحقة فى المجـال التكنولوجى وما يتطلـبه من ضرورة تحـديد المهارات ومـا صاحب ذلك من تـطور فى أساليـب الإنتاج، وضرورة الاعتماد على الأيدى العاملة الماهرة، إلا أن الغـير قادرين على العمل أصبحوا يمثلون مشكلة اجتماعية فى المجتمع المعاصر، بل إن الشيخوخة الاجتماعية Socialag-ing أصبحت فى الوقت الحاضر فى المجتمعات القديمة تعتمد أساساً على العائلة الممتدة أو العائلة الكبيرة وأصبحت الآن تعتمد على الأيدى الماهرة.

والنظرة القائمة فى المجتمعات المعاصرة تحيل إلى التقاعد كل من يفقد جزءاً كبيراً من القدرة الفيزيقية أو العجز عن ممارسة الأعمـال الصعبة الشاقة المجهدة، أو يفقد جزءاً من قدرته على التركيز والتدقيق فى العمل.

والشيخوخة ـ فـى الواقع ـ لا تؤلف مشكلة فى المجتمعات المحـافظة على تراثها وتقاليدها الـدينية والاجتماعية، بـل هى فى الواقع وليدة الصناعة والتـقدم، وهى نتاج التنظيم الصناعى المعاصر، الذى أحدث الكثير من التـغيرات الاجتماعية العميقة فى بناء المجتمع وبالذات فى البناء أو البنية الأسرى Family Structure

ولتحديد سبل وطرائق الرعاية والتنشئة الاجتماعية، نتناول بإيضاح النقاط التالية:

١ ـ الأبعاد النفسية والاجتماعية للشيخوخة.

٢ ـ احتياجات الشيخوخة.

٣ ـ التخفيف من الآثار النفسية والاجتماعية للشيخوخة.

٤ ـ سبل وطرائق الرعاية النفسية والاجتماعية للشيخوخة.

٥ ـ آمال طبية لمرضى الشيخوخة المبكرة.



١ ـ الأبعاد النفسية والاجتماعية للشيخوخة:

تنظر بعض المجتمعات إلى الشيخوخة نظرة تقدير واحترام وتبجيل، ولا تعتبر الشيخوخة عبئاً ثقيلاً . . بينما تنظر مجتمعات أخرى إليها على أنها مرض أو حالة باثولوجية، ويجب على الآخرين تحمل الشيوخ بمتاعبهم.

والواقع، أن الشيخوخة ليست مجرد عملية بيولوجية بحتة تظهر آثارها فى التغيرات الفيزيقية والفسيولوجية التى تطرأ على الفرد حتى يصل إلى العمر المتأخر، وإنما هى بالإضافة إلى ذلك ظاهرة اجتماعية لها Social Phenomenon أبعادها المتعددة.

ويتمثل موقف المجتمع من الفرد المسن فى:

أ ـ موقف المجتمع من الفرد حين يصل إلى سن معينة بالذات يحددها المجتمع بطريقة تعسفية دون أن يأخذ فى الاعتبار الحالة الفيزيقية أو العقلية للأفراد.

ب ـ فرض قيود على المسنين تتمثل بوضوح فى الحكم عليهم بالتقاعد من وظائفهم وأعمالهم وما يترتب على ذلك من:

* الامتناع عن ممارسة الكثير من أوجه النشاط اليومى العادية التى ألفوا القيام بها والمشاركة فيها لسنوات طويلة.

* توقع المجتمع منهم اتباع أنماط سلوكية معينة يحددها المجتمع نفسه لهم، وحيث يتعذر عليهم الخروج عنها خشية التعرض للجزاءات الاجتماعية القاسية والتى منها على سبيل المثال سخرية المجتمع بهم. والآثار المترتبة على ذلك فى مجملها آثار نفسية واجتماعية تؤدى بهم إلى:

* الشعور بالوحدة والكآبة والعزلة.

* الإحساس بعدم الانتماء وعدم الجدوى والنفع بالنسبة للآخرين.

* انصراف وإعراض المجتمع عنهم وعدم الرغبة فى معاشرتهم لعدم قدرتهم وصلاحيتهم للقيام بعمل معين، أو النفع العائد منهم على المجتمع.

هذا بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أن التقاعد بالنسبة للشيوخ معناه الحكم على الشيخ بالانسحاب من حياة المجتمع فى أعم الأحوال.



٢ ـ احتياجات الشيخوخة:

فيما يلى موجز للاحتياجات النفسية والاجتماعية للشيخوخة:

أ ـ حاجة الشيوخ إلى أن يفهموا أنفسهم إذ تعوز الغالبية منهم، الإحاطة بما يتصل بعملية النضج والتقدم فى العمر، حتى يمكنه إدراك المتغيرات التى تطرأ على طاقاتهم العقلية والبدنية وبناء شخصياتهم مما يؤثر فى أحوالهم النفسية وأدوارهم فى المجتمع، الأمر الذى يُعد جوهرياً بالنسبة لتكيفهم، وفى ذات الوقت، فهم حاجتهم إلى الحصول على خبرات ومهارات وتجارب جديدة كأساس للأنشطة المختلفة التى يمكنهم ممارستها عند وصولهم إلى سن التقاعد. مثال ذلك شغل أنفسهم بالأعمال والخدمات التطوعية وإتاحة الفرصة لهم للإشباع الروحى والثقافى والترويحى، وغير ذلك من المناشط التى تحول دون التدهور البدنى والعقلى لهم وتهيئ أطول الفرص أمامهم للمواطنة الصالحة.

ب ـ حاجة المقبلين على مرحلة التقدم فى العمر، كأولئك الذين يقتربون من الستين من أعمارهم أو فى طريقهم إلى الاعتزال والتقاعد. إذ إنهم فى حاجة إلى إعداد وتهيئة وتثقيف يوفر لهم الأمن والاستقرار النفسى، ويمكنهم من المحافظة على نشاطهم وصحتهم فى مرحلة العمر التى يجتازون أعتابها، ويتم ذلك بوسائل التوعية والإرشاد التالية:

أ ـ إتاحة الفرص للنشاط والعمل بعد الوصول إلى مرحلة الشيخوخة أو عند الاعتزال والتقاعد حيث الحاجة الملحة ـ آنئذ ـ للتوجيه والإرشاد من جانب الإخصائيين فى الجوانب الصحية والاجتماعية للشيوخ والمسنين.

ب ـ التوجيه الخاص بطرق الاحتفاظ بصحة جيدة واتباع الأساليب المعيشية التى تلائم المرحلة العمرية التى يمر بها الإنسان، مع الإحاطة بطرق الضبط والوقاية من أمراض الشيخوخة والعلل المزمنة.

جـ ـ تأمين المورد المالى للمقبلين على الاعتزال والتقاعد والذين هم على وشك الدخول فى طائفة المسنين، لما لهذا من أثر فى نفوسهم وصحتهم أيضاً، إذ إن توقعات انكماش هذا المورد تسبب متاعب جمة لكثير من المواطنين الذين قاربوا سن الإحالة على التقاعد.

د ـ توفير حياة أسرية وصلات اجتماعية وروابط ذات علاقة مناسبة لمرحلة ما قبل



الاعتزال ومرحلة التقاعد، فى إطار ما يُعرف بالإعداد للتقاعد أو التخطيط للاعتزال Re-tirement أو ما يُعرف بإرشاد التقاعد Retirement Guidance وتثمر الجهود إذا بذلت فى مجموعات صغيرة تناقش فيها كيفية التخطيط لإيجابيات سن التقاعد.

أما الوظيفة الإرشادية فيحسن أن يتبع فيها المقابلة الفردية.

إذ إنها تمثل خدمة فردية تهدف إلى معاونة الفرد لاتخاذ قراراته بنفسه فى الأمور المتعلقة بحياة التقاعد والتقدم فى السن كالنواحى المالية والإيوائية والصحية.

هـ ـ إجادة أنواع من الأنشطة والمهارات التى يمكن أن تكون بديلاً عما كان يمارس من قبل الدخول فى مرحلة التقدم فى السن، إذ إن فى ذلك ما يُعد من المظاهر الصحية الاجتماعية.

و ـ محاولة تغيير نظرة المجتمع إلى الشيخوخة من الصورة التقليدية التى توحى بأن التقدم فى العمر . . . يمثل استسلاماً وركودا أو فى حاجة إلى التغير . . . . إذا لم يعد المسن عندما تتوافر له الخبرات والثقافة والظروف الصحية والسكنية الملائمة هو الشخص الذى يُفرض عليه الخمول والاستسلام والخضوع.

فالمجتمع فى حاجة إلى الإدراك السليم لمشكلات الشيخوخة حتى يمكن للشيوخ المساهمة والمشاركة فى مواجهة هذه المرحلة من العمر مواجهة صحيحة. وبدون هذه المشاركة من أفراد المجتمع فإن الجهود المبذولة تجاه الشيخوخة يضعف مفعولها.

ز ـ ضرورة الإعداد الصحيح من الإخصائيين النفسيين والاجتماعيين والأطباء والمربين والممرضات، الذين يمكنهم التعامل والتفاعل مع الشيوخ والمسنين من حيث الجوانب التالية:

١ ـ الإحاطة بالتغيرات البيولوجية والفسيولوجية والنفسية والاجتماعية عند المسنين، مع معرفة الظروف البيئية المتعلقة بكبار السن كفئة من فئات المجتمع.

٢ ـ الإلمام بالخبرات اللازمة فى مجال العلاقات الإنسانية المتصلة بالخدمات الخاصة بالشيوخ والمسنين.

٣ ـ معرفة المعلومات الوافية عن الموارد والإمكانات التى يمكن أن تفيد فى سد احتياجات المسنين وحل مشكلاتهم الطبية والاجتماعية والنفسية.

هذا ومن المعروف أن الشيوخ والمسنين، لا يكونون على نفس الكفاية والرضا.



كما كانوا من قبل أو خلال سنوات العمل أو الخدمة، لذلك فهم فى حاجة إلى إعادة التطبيع أو إعادة التطبيع الاجتماعى.

٣ ـ التخفيف من الآثار النفسية والاجتماعية للشيخوخة:

من حيث إن الشيوخ والمسنين يعانون من التغيرات العضوية والحيوية والوظيفية، وما يترتب على ذلك من اضطرابات واختلالات صحية وإعاقات قد تؤدى بهم إلى مضاعفات وقد تعرض حياتهم للمخاطر والحوادث، فإن الشيوخ والمسنين، عادة ما يكون الاهتمام بعلاج المخاطر التى تحيط بهم داخل المؤسسات الصحية، ومراكز التأهيل، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية للمسنين.

ولكنه من الأهمية بمكان الاهتمام بمواجهة المشاكل النفسية والاجتماعية التى تواجه الشيوخ والتى حسبما أثير من قبل تحدث التوافق أو سوء التوافق لديهم.

والعلاجات الصحية والوظيفية، قد تبدأ ولكن العلاج النفسى قد يطول أمده، الأمر الذى يحتاج إلى مواجهة معوقات التوافق النفسى فى الشيخوخة والتى تختص بتكيف المسنين بقدر المستطاع مع مراعاة:

أ ـ التغيرات العضوية والبيولوجية والفسيولوجية المواكبة للتقدم فى العمر، وما يصاحبها من تدهور صحى وتغيرات جسمية عامة.

ب ـ التغيرات المعرفية والعقلية وما يصاحبها من تدهور عقلى.

جـ ـ تغيرات تقدير الذات والمكانة الاجتماعية والناجمة من الإحالة إلى التقاعد وعدم مواصلة العمل حتى فى حالة توافر الاستعداد والقدرات التى تمكنهم من مواصلة العمل وما قد يصاحب ذلك من الإحساس بعدم القيمة والشعور بالذنب، والاتكالية الناجمة عن نقص الموارد المالية وعدم كفاية الدخل.

د ـ تغيرات أسلوب ونمط الحياة، والتى تصبح من الرتابة مما يُثير القلق والتبرم الدائب.

هـ ـ العزلة الاجتماعية وانحسار العلاقات الاجتماعية أو ما يُعرف بالانقطاع الاجتماعى نتيجة لتصلب السلوك الاجتماعى Social Ossification عند بعض الشيوخ والمسنين ومقاومتهم لكل تغيير يواجهونه من أجل تحسين مستواهم الصحى أو العقلى أو الفكرى أوالاجتماعى.



هذا من جانب، ويأتى من جانب آخر دور المجتمعات التى تلعب دوراً أساسياً فى التخفيف عن الآثار النفسية والاجتماعية للشيخوخة.

فمن الأهمية بمكان أن يشعر الشيوخ بأنهم لا يزالون يلعبون دورهم فى الحياة الاجتماعية، وأن المجتمع لا يزال يحتاج إلى خدماتهم.

والواقع أن المجتمعات القبلية أو ما تُعرف من الناحية الإنثروبولوجية بالمجتمعات البدائية تؤكد بحكم تنظيمها القبلى القائم على القرابة، وتعطى أهمية بالغة للتكامل الاجتماعى بين أفراد الجماعة وحيث تؤكد هذه المجتمعات على أهمية الفرد من واقع السن والجنس، وأنه لابد من الإسهام الإيجابى لكافة الأفراد فى التفاعل الاجتماعى بين أفراد الجماعة بما فيهم الشيوخ وكبار السن.

يُضاف إلى ذلك تمتع الشيوخ فى هذه المجتمعات بدرجة عالية من التبجيل والاحترام، الأمر الذى لا يتوافر مع قرنائهم فى المجتمعات المدنية والمتقدمة.

والواقع أن المجتمعات الريفية والبسيطة والتقليدية من واقع وقارها للشيخوخة، تعتبر هذه المرحلة من العمر أفضل فترات العمر وتعطيها من المميزات وتضفى على أفرادها من الفضائل ما تشعر أفرادها بأنهم فى أزهى مراحل عمرهم. ومن هنا يتحقق التكامل الاجتماعى وحيث يسهم Social Integration الشيوخ فى الحياة الاجتماعية، ويكون التفاضل المبنى على التماسك الاجتماعى يؤكد أهمية السن وتوزيع التبعات والمسئوليات على أساس مراحل أو طبقات العمر، وليس على أساس التمييز الطبقى، حسبما هو موجود فى المجتمعات الغربية المعاصرة.

ومن ناحية الدور الاجتماعى Social Role الذى يُعد من أهم ما يقوم به الشيوخ والمسنون فى هذه المجتمعات فإن الأنشطة التى توكل إلى الشيوخ تختص بالمهام الدينية والشعائرية وتولى الأحكام، والفصل فى الخصومات فى حال غياب السلطات الإدارية. إضافة إلى قيامهم بتنشئة وتوعية الشباب والصغار ونقل التراث إليهم.

لذلك يتوافر فى هذه المجتمعات ما يغيب فى المجتمعات المتقدمة من توقير الكبار وإعطائهم مكانتهم الاجتماعية اللائقة وإتاحة فرص المشاركة أمامهم بما يتوافق مع أعمارهم وخبراتهم وطاقاتهم وفى كل هذا ما يُحقق لهم استمرارية الحياة الاجتماعية المتوافقة ويخفف من الآثار والاضطرابات النفسية والاجتماعية التى تواجههم.



٤ ـ سبل وطرائق الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية للشيخوخة:

نعرض فيما يلى بعض سبل وطرائق الرعاية التى يمكن أن تقدم للشيخوخة ومن هذه السبل ما يأتى:

أ ـ الرعاية الصحية:

لاشك أن الرعاية الصحية واجبة وأساسية عند التقدم فى العمر، وعلاج الاختلالات العضوية والحيوية والوظيفية من شأنها تيسير سبل العلاج النفسى والاجتماعى فى حياة المسنين.

والواقع أن الرعاية الصحية التى يحتاجها المسنون تتمثل فى الكشف الطبى الدورى، للتعرف بصورة مبكرة على ما يواجهه المسنون من مشكلات صحية، وتقديم المشورة الطبية بهدف المحافظة على صحة ونشاط وحيوية الأفراد المتقدمين فى العمر. مثال ذلك أن يترك التدخين ويراعى القواعد الصحية فى الطعام والشراب وعادات النوم والرياضة.

ويمكن أن يتم ذلك بصفة دورية داخل المستشفيات أو المصحات أو داخل المنازل فى الحالات التى يتعذر فيها انتقال المسن إلى المصحات العلاجية.

ومن المبادئ الأساسية فى علاج أمراض الشيخوخة:

* إبقاء المريض فوق سن الستين فى الفراش فى حالة عدم الحركة أقل فترة ممكنة، إذ إن طول الفترة التى يمكثها المريض المسن فى الفراش يترتب عليها ظهور أمراض أخرى فضلا عما تصيبه من ضعف وضمور فى العضلات والعظام.

* عدم إعطاء أدوية كثيرة للمريض المسن وسبب هذا:

١ ـ عدم دقة تناول المريض المسن للدواء، وما قد يترتب على ذلك من أخطاء جسيمة، قد تؤدى إلى إصابة المريض بأضرار بالغة.

٢ ـ بعض الأدوية لها آثار جانبية قد يتحملها الشباب المريض، لكنها تكون ذات تأثير ضار أو قاتل على المريض المسن، ومثال ذلك أدوية علاج المغص التى قد تسبب احتباسا فى البول والبراز وارتفاعا فى ضغط الدم، والتى قد تؤدى إلى جلطة فى الشريان التاجى للقلب أو فى شرايين المخ عندما يتناولها المسن.



ب ـ الرعاية النفسية:

من الضرورى توعية الرأى العام بأهمية توفير المناخ النفسى المناسب لكبار السن، بحيث يوفر لهم الأمن النفسى والشعور بالكرامة

كما أنه من المفيد محاولة إقناع المسن بتقبل العادات والتقاليد التى تساعدهم على تحقيق التكيف الشخصى والاجتماعى مما يجعله يحظى بتقدير الجماعة.

كما يُفضل تبصير المسن بأن التغيرات الجسمية والعقلية تمثل ظاهرة عادية، وعليه تقبل هذه التغيرات، وفى هذا ما يُقلل القلق والإحباط على المستوى الشخصى، أو على المستوى الاجتماعى فيما يتصل بعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين فى الأسرة ومع الأصدقاء.

ويمكن معاونة المسنين فى توفير نوادى خاصة لقضاء أوقات فراغهم لممارسة بعض الهوايات أو المشاركة فى بعض الأنشطة الاجتماعية، وحيث يشعرون أنهم يمارسون أدواراً اجتماعية مقبولة، ويحقق لهم هذا المزيد من التقدير والشعور بالرضا.

جـ ـ الرعاية الاجتماعية:

هناك خدمات اجتماعية أساسية لابد من توفيرها لكبار السن للحفاظ على حياتهم بكرامة وتتمثل هذه الخدمات فى:

أ ـ توفير مساعدات اجتماعية لكبار السن الذين تقل دخولهم عن الحد الذى يحفظ لهم حياة كريمة تشبه تلك التى اعتادوا عليها. ومن أولى الواجبات توفير المساعدات الاجتماعية لدعم الرواتب التقاعدية أو منح رواتب كاملة لمن لا يستفيد من الرواتب التقاعدية.

ب ـ إصدار التشريعات الاجتماعية التى تنظم العمل وتحدد إجراءات التقاعد، وخاصة أن الفروق من شأنها أن تجعل بعض كبار السن قادرين على تقديم خدمات فى مجالات الفكر أو الأدب أو الإدارة للمجتمع.

جـ ـ إنشاء دور لرعاية المسنين توفر لهم الإقامة والطعام والشراب أو توفير الخدمات المنزلية للمسنين الذين يفتقدون العون الأسرى، والذين لا يرغبون فى ترك مقار إقامتهم.



خدمات الإرشاد العلاجي:

فى مرحلة الشيخوخة يحتاج المسن إلى تهيئة المناخ النفسى والاجتماعى الصحى المناسب للحماية فى هذه المرحلة الحساسة من العمر، والهدف من ذلك رفع الروح المعنوية وإشباع الحاجات والنشاط النفسى وتحقيق الأمن النفسى والشعور بالكرامة وعزة النفس.

والواقع أن التوافق النفسى والاجتماعى السليم فى مرحلة الشيخوخة يحتاج إلى التوافق مع التقاليد والعادات السائدة المحددة والخاصة بالأجيال المختلفة.

وقد يعُوق التمسك الجامد بالتقاليد والمهارات من التوافق الاجتماعى عند الشيوخ. بل إن التوافق الاجتماعى أيضاً يحتاج إلى التوافق مع الأجيال الأخرى حتى يُحقق الشيخ لنفسه التوافق الاجتماعى الضرورى للحياة الهادئة.

وتتضمن خدمات الإرشاد العلاجى مساعدة الشيوخ فى التوافق النفسى الاجتماعى السليم، مع مراعاة التقاليد والعادات السائدة المحددة والخاصة بالتعامل بين الأجيال، حتى يحقق الشيخ التوافق الضرورى للحياة السعيدة. ومن الأهمية بمكان العمل على حل مشكلات الشيوخ عند ظهورها حتى لا تتفاقم المشكلة مع مرور العمر.

٥ ـ آمال طبية لمرضى الشيخوخة المبكرة

مع نهاية «عقد المخ» وإشراقات القرن الحادي والعشرين بدأت بشائر النتائج المثمرة للبحوث الجادة فى مجال العلوم العصبية، تكشفت أسرار الأمراض العصبية التى استعصت علي العلاج لأزمنة طويلة، وصرنا قاب قوسين أو أدنى من استخدام وسائل ناجحة لعلاج الكثير من هذه الأمراض واسعة الانتشار.

ويعتبر مرض «الزهيمر» الذى يعانى منه رونالد ريجان الرئيس الأمريكى الأسبق ـ أهم أسباب الشيخوخة المبكرة وضعف الذاكرة والقصور المطرد فى القدرات الذهنية وفى وظائف المخ عامة. هذا المرض متعدد الأسباب، فهناك استعداد وراثى في بعض العائلات للإصابة به وتم اكتشاف الجين الخاص به عام ١٩٩٣ (APOE) ، كما أن هناك تغيرات باثولوجية مكتسبة مثل ترسيب رقائق الأميلوبير (بيتا ـ أميلويد ـ بروتين) فى المخ والتى تؤدى إلى تحطيم خلايا وأنسجة المخ، وتترسب أيضا ألياف غير مذابة ينتج عنها نقص شديد فى الناقل الكيميائى «أستيل كولين» وبالتالى إلى اختلال وظائف الدوائر العصبية الكهروكيمائية المشاركة فى وظائف الذاكرة والتركيز والتخطيط والسلوك



الشخصى وخلافه. ومع مرور الوقت تختل وظائف المخ الذهنية بحيث يصعب علي المريض التعرف علي من حوله وعلي البيئة المحيطة به ويؤدى ذلك إلى اضطراب حياة الأسرة كلها وإلى حاجة المريض لعناية تمريضية مستمرة.

وقد انتجت بعض شركات الأدوية عقاقير جديدة مثل ARICEPT و EXELON والتى تؤدى إلى زيادة نسبة الاستيل كولين بالمخ مما يؤدى إلى تحسين حالة المريض وقتيا ولكنها لاتوقف تطور المرض. كما تستخدم عقاقير أخرى مثل مضادات الأكسدة (فيتامين E) ومضادات الالتهاب والاستروجين وهذه العقاقير تساعد على زادة الاتصال بين خلايا المخ.

وتعمل بعض الشركات على تطوير عقاقير لمنع عمل الأنزيمات المسئولة عن ترسيب الأميلويد وعن مصل للتطعيم ضد الزهيمر:

أعلن هذا العام ١٩٩٩ بمجلة NATURE عن نجاح استخدام مصل (AN 1792) فى فئران التجارب لمنع ترسيب رقائق الاميلويد ومنع حصول المرض، وبالتالى تحطيم خلايا وأنسجة المخ. وستبدأ تجارب هذا المصل على المتطوعين قبل نهاية هذا العام، وفى حالة نجاح تطبيقه بالإنسان سيكون متوفرا للاستخدام عام ٢٠٠٥.

وتم لأول مرة بجامعة هارفارد تربية الخلايا الجذعية العصبية البشرية مللب NEURALSTEM بالمعمل بعد الحصول عليها من مواضع معينة بمخ الإنسان ولدى هذا النوع من الخلايا قدرة هائلة على النمو والانقسام وعلى إفراز أى مركب كيميائى مطلوب بعد برمجة الخلايا بأساليب الهندسة الوراثية، كما أن لديها القدرة حال زرعها بالمخ على الانتقال إلى الأماكن المطلوبة وإلى أن تتطور لتكون خلايا عصبية أو حشوية متخصصة وفقا لحاجة البيئة المحيطة كما أنها تتصل بالخلايا والأنسجة المجاورة وتشارك فى عمل الدوائر العصبية.

وفى غضون عدة سنوات ستكون هذه الخلايا العلاج الأمثل لكثير من الأمراض المستعصية مثل الشلل الرعاش والزهيمر ومرض الجلطة والنزيف وإصابات الرأس والنخاع الشوكى وذلك بعد حل المشاكل المتعلقة بزرع الخلايا المبرمجة مع مصدر للمنشطات العصبية Substances Neurotropline مما سيعود بالفائدة العظمى على آلاف المرضى ويقلل من هموم أسرهم.



المبحث السابع والعشرون

طرائق وسبل الرعاية الأسرية للمشكلات الخاصة ببدائل الأمهات والمربيات

يعتبر عمل المرأة سواء كانت زوجة لديها من الأبناء الصغار ما يحتاجون إلى رعايتها المباشرة إضافة إلى رعاية بيت الزوجية، أو كانت غير متزوجة، يُعتبر هذا العمل، من أهم أسباب استخدام بدائل الأمهات والمربيات فى المنازل، عند وجود الحاجة إلى العناية الملحة بالأطفال الصغار، والعناية بالشئون المنزلية، خاصة أثناء تواجد الزوجة أو الأم العاملة خارج المنزل.

هذا، وزيادة عدد الأمهات العاملات، أدى إلى زيادة الحاجة إلى من يقوم بدور ربة البيت العاملة أثناء تغيبها عن المنزل.

الحاجة إلى بدائل الأمهات والمربيات:

تم الاستعانة بالمربيات وبدائل الأمهات كأحد الحلول التى تواجه الأمهات أو الزوجات العاملات، وحيث أتاح ذلك فرصة مشاركة المرأة فى المجتمع العربى فى قوة العمل. ومن نتاج ذلك إيجاد الكثير من السلبيات التى بدأت تظهر تدريجياً فى المجتمع العربى، حيث ظهرت مشكلات اجتماعية وأخلاقية وصحية.

وقد تبين أن الغالبية من العاملات من الخدم والمربيات من جنسيات آسيوية مختلفة كالهند، وباكستان، والفلبين، وسيلان، وهذه المجتمعات تتسم بانخفاض المستوى الاقتصادى وتدنى المستوى الاجتماعى. وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من المربيات غير مؤهلات للعمل كمربيات مما يترتب على ذلك الآثار التى تتركها المربيات والخدم على الأطفال بصفة خاصة، وعلى الأسرة بصفة عامة على القيم واللغة وتكوين عادات جديدة لم تكن موجودة فى السابق كخلق روح الاتكالية وغيرها من العادات، إضافة إلى الدور الذى تلعبه الخادمة فى إضعاف العلاقات داخل الأسرة الواحدة كإضعاف



العلاقة بين الطفل وأمه فى بعض الحالات، ويساعد فى ذلك طول فترة احتكاكها بالطفل وتلبيتها لحاجاته، وإضعاف العلاقة بالأهل نتيجة اعتماد الطفل على الخدم لتلبية احتياجاته، مما يؤدى بدوره إلى إضعاف الروابط الأسرية.

دراسة واقعية لنتائج الاستعانة ببدائل الأمهات والمربيات:

فى دراسة قامت بها الدكتورة حنان شاهين الخلفان عن الخدم والمربيات الأجنبيات وأثرهن على الأسرة البحرينية. ضمن دراسات وقضايا من المجتمع العربى الخليجى فى عام ١٩٨٥م، تبين من نتائج هذه الدراسة ما يأتى:

١ - احتمال وجود تأثير على اللغة العربية من خلال المربيات الأجنبيات نتيجة طول الفترة التى يقضيها الطفل مع المربية وعدم المراقبة من قبل الأم، حيث اتضح أن لغة المربية تعطل سرعة اكتساب الطفل للغته الأصلية، مما يترك أثره فى تأخره فى تلفظ الحروف وفى الكلمات العربية التى يتعلمها.

٢ - اعتبار المربية أحد العوامل الهامة فى إضعاف العلاقة بين الطفل وأمه، لما لها من دور فى تقليل الاتصال الحميم بينهما، نتيجة قيامها بتلبية طلباته والحاجيات المفروض على الأم تأديتها نحوه، وخاصة فى حالات ابتعادها عن طفلها فترات طويلة يوميا.

٣ - تأثير المربيات والخدم على العلاقات الزوجية حيث إن المربية تعتبر سبباً فى التوتر بين الزوجين.

٤ - اعتبار الخدم والمربيات من أهم العوامل التى تساعد على اكتساب المجتمع عادات جديدة عن طريق تعاملهم مع الأطفال أجيال المستقبل، من حيث عدم قدرة الأبناء على تحمل مسئولية خدمة أنفسهم؛ الأمر الذى لم يتعارف عليه فى جيل الآباء.

كما أنهم أحد أسباب خلق روح الاتكالية عند أبناء الأسرة، والترفع عن أداء الأعمال المنزلية لدى الإناث؛ الأمر الذى لم يكن ليرضى عنه جيل الأمهات . . .

٥ - تأثير المربية على الطفل من الناحية الدينية، يُعد أهم التأثيرات فى تنشئة الأبناء، حيث إن المربية غير المسلمة التى تقوم بعملية التنشئة والرعاية قد تنمى فى الأطفال مبادئ دينها، وخاصة أولئك الذين يكونون فى سن لا تسمح لهم بمعرفة مبادئ آبائهم بدورها حيث تغرس فيهم تعاليم دين مختلف تماماً عن دين مجتمعهم.

٦ - وجود الخدم أحد أسباب إبعاد ربة البيت عن دورها المنزلى، يزداد يوما بعد



يوم نتيجة انشغال المرأة أكثر فأكثر فى المجال المهنى وحقل العمل، فالمرأة لن تستطيع أن تقوم بالواجبات المنزلية كما كان من قبل. بل إن واجبات البعض منهن يقتصر على الإشراف على الخدم فى تأدية الأعمال المنزلية.

٧ ـ عمل المرأة هو أحد الأسباب الرئيسية لاستخدام الخدم والمربيات لدى الأسر، إذ إن ترك المرأة لبيتها أثناء الدوام الرسمى أدى إلى الحاجة لمن يقوم عوضاً عنها بجميع الأعمال المنزلية بالإضافة إلى رعاية الأبناء.

٨ ـ الخلط الواضح بين واجبات المربية/ الخادمة من حيث أداء الوظيفتين، فأرباب وربات البيوت يجلبن الخدم للقيام بالأعمال المنزلية، ولكنهم يوكلون إليهم بالإضافة إلى ذلك تربية الأبناء؛ فالمربية/ الخادمة تقوم بجميع المهمات من طبخ وكى وغسيل وتنظيف المنزل وغيرها من الأعمال المنزلية المتعارف عليها، بالإضافة إلى العناية بالأولاد فهى هنا مربية وخادمة فى وقت واحد.

٩ ـ توقع زيادة عدد الخدم والمربيات فى السنوات القادمة نتيجة لأسباب متعددة كعمل المرأة، وتزايد الأعباء المنزلية، وزيادة الدخل للفرد، ورخص أجور الخدم . . . إلخ.

١٠ ـ وجود قدر معين من الاستخدام الضرورى للخدم عن بعض الأسر فى المجتمع العربى فبعض الأسر تستخدم أكثر من حاجتها الفعلية.

١١ ـ اعتبار ظاهرة الخدم والمربيات الأجنبيات مشكلة اجتماعية بدأت تظهر فى الآونة الأخيرة، ووجود التصدى لها نتيجة لزيادة درجة المشاكل التى أخذت تظهر بأشكال مختلفة وملحوظة.

١٢ ـ من الواضح وجود نوع من العجز فى الحضانات، وعدم قدرتها بإمكانياتها الحالية فى توفير الخدمات الواجب القيام بها كبديل مؤسسى لرعاية الأبناء فى حال تغيب المرأة العاملة عن بيتها أثناء قيامها بالعمل الرسمى، سواء من حيث المواعيد أو مستوى الخدمة أو العدد.



توصيات بشأن الرعاية الأسرية للمشكلات الخاصة ببدائل الأمهات والمربيات:

من واقع ما تم من دراسة ميدانية عن أثر الخدم والمربيات الأجنبيات على الأسرة البحرينية، اقترحت الباحثة توصيات تتمثل فيما يلي:

١ - فرض قيود حكومية على استخدام الخدم فى البلاد، كأحد الحلول للتخفيف من حدة تضخم الظاهرة واستمراريتها واعتباره من القرارات الواجب على الدولة اتخاذها كحل متفق عليه.

٢ - الأخذ بمبدأ الإجازة المدفوعة لسنة أولسنة ونصف السنة للأم العاملة، بعد الولادة كأحد البدائل للاستغناء عن الخدم.

٣ - عدم قبول تفرغ المرأة وتركها للعمل كمحاولة للقضاء على ظاهرة الخدم لأهمية الدور الذى تلعبه المرأة البحرينية فى التقليل من نسبة الاعتماد على العمالة الأجنبية والاستفادة من مشاركة الأم فى حقل العمل.

٤ - البحث عن إمكانية الاستغناء عن الخدم رغم أهميتهم فى حال إيجاد البدائل الأمثل سواء كان فى شكل مؤسسى أو شخصى لرعاية الصغار أثناء عمل أمهاتهم.

٥ - وجود علاقة بين الخدم وعدد الأولاد سواء كان بالنسبة لربة البيت العاملة أو غير العاملة نتيجة تزايد الأعباء المنزلية الموكلة إليها، ومن ثم عندئذ يمكن الاستعانة بالمربيات أو الخدم.

٦ - مراعاة المستوى التعليمى للأسرة فكلما ارتفع المستوى التعليمى للأسرة زاد دخل الأسرة (أى أن هناك علاقة طردية) وبالتالى المستوى المعيشى والذى تصاحبه زيادة فى الأعباء المنزلية، الأمر الذى يتطلب الحاجة للمساعدات لأداء الالتزامات المتزايدة وبخاصة إذا كانت ربة المنزل تعمل أيضاً.

٧ - ضرورة التعمق بدراسة النواحى التالية لتأثير بدائل الأمهات والمربيات من حيث:

(أ) دراسة التأثير الدينى للمربية على الطفل.

ب) مدى إضعاف المربية لعلاقة الطفل بأمه وفى أى الحالات يحدث هذا.



(جـ) تأثير الخدم على روح المبادرة وخدمة الذات عند الأبناء، وخاصة فى المرحلة العمرية ٥ ـ ١٤ سنة.

(د) التعمق أكثر فى الأسباب الحقيقية وراء التوسع الكبير فى استخدام الخدم والمربيات.

(هـ) دراسة مشاكل الخدم والتكلفة الاجتماعية للاعتماد عليهم بالصورة الواسعة والكبيرة وغير الصحية.

٨ ـ الإكثار من عدد الحضانات والرياض للأطفال وأن تتوافر فيها كل متطلبات المراحل التربوية من وسائل التعليم وتنمية القدرات الشخصية والاستعداد للفهم وتشجيع المواهب واكتشافها فى سن مبكر لدى الأطفال ومحاولة تنميتها وتقويتها بالأساليب العلمية الحديثة.

٩ ـ أن تمنح الأم العاملة إجازة من قبل العمل لمدة سنة على الأقل مع نصف الراتب (السنتان الأوليان من عمر الطفل) لكى تتمكن الأم هنا من البقاء لمدة أطول مع طفلها وإعطائه الإحساس بقربها منه وإرساء القواعد الأساسية لشخصيته . . . حيث إن . . . السنوات الأولى من حياة الطفل تعتبر هى الفترة التى تنمى المبادئ الأولية للشخصية.

١٠ ـ وضع خطة مدروسة الأهداف لوزارات العمل والشئون الاجتماعية لدراسة إنشاء دور حضانة ورياض أطفال خاصة مرتبطة مباشرة بكل وزارة حكومية لكى تستشعر الأمهات العاملات بكل وزارة الاطمئنان والراحة النفسية والثقة بالعناية التى توجه فى الاهتمام بالأطفال من قبل الجهات المسئولة فى الدولة. وهذا بدوره يؤدى إلى الراحة النفسية للأم إذا أحست بأن طفلها قريب منها وأن هناك سهولة فى الإشراف عليه كلما أحست بالرغبة فى ذلك. إذ إن هذا يساعد على زيادة إنتاجها فى العمل الموكل إليها بدون أن يكون هناك أى قلق حول الأبناء.

١١ ـ إذا دعت الحاجة إلى وجود مربية (مربية وليست خادمة) داخل المنزل فيوصى بأن تكون هذه المربية عربية مسلمة حتى تستطيع أن تعطى الطفل لغته الأصلية، بأصالتها وعمقها وأن تمنحه مبادئ دينه وقيمه وتعاليمه بصورة سليمة؛ وهذا بدوره يُبعد عنه أى صراعات نفسية بين ما يتلقنه من والديه ومجتمعه، وما يشاهده من الحركات التى تقوم بها أثناء تأديتها لشعائر دينها.



المبحث الثامن والعشرون

توصيات عامة عن فعاليات الرعاية الأسرية للأبناء في المجتمع المعاصر

فى ختام هذا الكتاب، نقدم توصيات عامة عن فعاليات الرعاية الأسرية فى المجتمع المعاصر، وخاصة فى العلاقات بين الآباء والأبناء والترابط والتماسك بين أفراد الأسرة الواحدة.

فقد يكون من الأسس التى يجب أن يوليها المسئولون فى المجتمعات العربية أهمية العمل على التماسك والترابط الأسرى، وتشجيع وإيضاح دور الأسرة فى المجتمع المعاصر وتقارب الاتجاهات بين أفراد الأسرة الواحدة بما يتمشى مع العقيدة السمحة، والاتجاهات والقيم والتقاليد المرعية فى المجتمعات، ويتم هذا بهدف إيجاد ضوابط أسرية والتزام بالسلوك القويم السوى. والتنظيم والضبط داخل الأسرة،والتى تعد الخلية الأولى فى المجتمع العربى، والتى عند تكامل العلاقات والتطابق بين أفرادها يتحقق وجود التنظيم والضبط واحترام أفرادها عند تعاملهم مع مؤسسات المجتمع الأكبر، ومن ثم يتحقق أيضا التوافق النفسى والاجتماعى بين هؤلاء الأبناء وغيرهم من أبناء المجتمع الأم.

كما قد نحتاج فى المجتمع العربى خاصة والإسلامى عامة، إلى برامج إرشادية وتوجيه للآباء والأمهات عند تعاملهم مع أبنائهم، بحيث يكون العمل داخل الأسرة قائماً على تقليل وتجنب السلوك غير المتوافق بين الأبناء، وتقليل الفجوة فى التباعد الأسرى، واستبداله بالتماسك الأسرى والسلوك المتطابق البناء الذى يواكب السلوك العام فى المجتمع الأم، إضافة إلى تأكيد الروابط الأسرية التى يؤكدها الشرع الحنيف.

بالرجوع إلى ما سبق إيضاحه من تحديد وإيضاحات وضوابط العلاقات الأسرية والتنشئة الاجتماعية، يمكن أن يكون دور الأسرة فى المجتمع العربى خاصة والإسلامى عامة قائماً على ما يأتى:



١ - الاتجاهات الوالدية تجاه الأبناء:

ويتم عن طريق العمل على وقاية الصغار من الاضطرابات النفسية داخل الأسرة، وإدراك مسئولية الآباء نحو تنمية الصغار فى جو أسرى يسوده التراحم والتعاطف وعدم التفرقة والتمييز بين الأبناء، وعدم تفضيل أى الجنسين على الآخر، والاحترام المتبادل بين الأبناء والآباء.

وفى هذا ما يضمن تحقيق الأمن والطمأنينة فى المناخ الأسرى، وإيجاد الشعور بالتقبل من الوالدين ويزيد من الانتماء العاطفى بين الآباء والأبناء.

٢ - توجيه الآباء والأمهات لإشباع الحاجات الأساسية للأبناء:

ويتم عن طريق تبصير الآباء والأمهات وتوجيههم إلى الحاجات الأساسية النفسية للصغار، وكيفية الإشباع المتكامل لهذه الحاجات بهدف إيجاد جو أسرى يتحقق فيه الأمن والطمأنينة، وفى هذا ما يزيد التماسك الفردى والجماعى داخل الأسرة.

فقد يتصور الآباء أن الإشباع للحاجات المادية كالمأكل والمشرب وتهيئة وسائل الراحة من الملبس وفاخر الرياش والأدوات الترفيهية والتسلية واللهو وغير ذلك . . . قد يتصور الآباء أن إشباع هذه الحاجات المادية وتوفيرها للأبناء، يمكنهم من الاستقرار الأسرى والاجتماعى، وفى هذا إغفال للإشباع النفسى المتكامل الذى يتعدى هذه الحاجات إلى شعور الأبناء بالانتماء الأسرى والتعاطف والتراحم والتواد والعشرة الطيبة من جانب الآباء لهم، ومعاونتهم فى حل مشاكلهم بطريقة موضوعية بناءة، وفى هذا كله ما يُنمى سلوك الالتزام والترابط الأسرى، ويحقق التواؤم والتطابق بين أعضاء الأسرة الواحدة.

٣ - التآلف الأسرى:

ويتم بأن يتجنب الآباء الفرقة والتفكك الأسرى الناجمين عن حرمان الأبناء من الآباء، وهى مشكلة تعانى منها الأسرة العربية بصورة واضحة.

فالمعروف أن التصدع الأسرى الناجم عن وفاة أحد الوالدين أو الطلاق أو تعدد الزوجات وتفرق الأبناء، ينتج عن ذلك حرمان وفشل وإحباط فى الحياة الأسرية، ويؤدى ذلك بدوره إلى إخفاق الأبناء فى الانتماء الأسرى وإخفاقه فى الحياة المدرسية وقد ينجم عن ذلك انحرافات سلوكية فى المجتمع.



٤ ـ دور الآباء فى المراحل الحرجة بين أعمار الأبناء:

من المعروف أن الفترة الحساسة فى حياة الأبناء وهى فترة المراهقة، وما يصاحبها من تغيرات جسمية ونفسية وعقلية واضطرابات جنسية، وما يترتب على ذلك من سلوك غير متوافق من الأبناء فى علاقاتهم الأسرية ... هذه الفترة الحرجة من العمر، تحتاج إلى انسجام أسرى وتماسك أسرى أكثر فى مرحلة الطفولة أو مرحلة الرشد التالية لذلك.

فالبنون والبنات، فى هذه المرحلة من العمر، معرضون بحكم الاضطرابات العديدة التى تصاحب النمو ـ إلى الاضطرابات الانفعالية وسوء التوافق والانطواء والتبعية للرفاق أو التمرد على السلطة المنزلية أو المدرسية.

لذلك تحتاج هذه المرحلة بالذات من الأبوين إلى وعي وإدراك بمسئولياتهم تجاه أبنائهم دون مغالاة فى الإفراط، فى تلبية مطالبهم أو التراخى فى الاستجابة لحاجياتهم، أو القسوة الزائدة واللامبالاة بمشاعرهم، مما يترتب عليه عند اتباع أى من هذين الاتجاهين المتضادين، ضعف ثقة الأبناء بأنفسهم وبذويهم ونفورهم فى الحياة الأسرية، وتمردهم على أوضاعهم وخروجهم عن الالتزام والطاعة والضبط والتنظيم وعقوقهم للوالدين ولغيرهم من الجوار والأقارب والرفاق فى الدراسة والمجتمع.

بل قد يحدث أيضا عدم رضا الأبناء عن الآخرين والرغبة فى تعذيب الذات وتعذيب الآخرين، وفى هذا ما يُفقد الأبناء الانتماء الأسرى وبالتبعية للمجتمع الأم، وكراهية الحياة الأسرية والحياة الاجتماعية.

٥ ـ التوافق والانسجام بين الآباء والأبناء:

من الناحية النفسية يقوم الآباء والأمهات والمربون بالدور الأساسى فى تشكيل خصائص النمو الانفعالى والاجتماعى إبان فترتى الطفولة والمراهقة. والنمط الأسرى السائد، والنمط المدرسى السائد، أى النمط الذى يتخذه الكبار من المعايير والاتجاهات والعادات والمعتقدات، هو الأساس المحدد لنمط السلوك السائد فى المجتمع.

والإخفاق فى التطابق والانسجام الأسرى يمكن إرجاعه إلى إخفاق الأبناء فى التكيف مع الجو السائد فى الأسرة، واختلاط الأمور بينهم وبين الكبار ... وسوء التوافق بينهم وبين الكبار، لذلك نورد فيما يلى الدور الذى تتحمله الأسرة ممثلة فى الآباء والأمهات نحو أبنائهم فى تربيتهم وهم صغار، وخاصة خلال فترة الاضطرابات



النفسية والجسمية والعقلية أى خلال فترة المراهقة، إذ على الآباء إدراك أدوارهم قبل معاملة أبنائهم، ومعرفة اتجاهاتهم قبل محاسبة أو عقاب الأبناء، وفى هذا ما يساعد على حل الكثير من المشكلات الأسرية، وما يعمل على التماسك الأسرى.

والمفروض أن العطاء أمر متبادل بين الآباء والأبناء وأن الإدراك للمشاكل يتم أولاً عن طريق الآباء، لذلك قد يكون من المناسب اتباع ما يأتى:

أ ـ الصداقة والمودة بين الآباء والأبناء:

لإيجاد روح الصداقة والمودة بين الكبار والصغار. فالشعور الصادق والعاطفة الجدية ـ وليست المزيفة أو الخفية ـ هى من أبرز ما يجب عمله لمساعدة الأطفال والمراهقين. والعاطفة الجدية هى ما يُقصد بها صدق العاطفة وليست زيفها أو خفيتها. فالصغير والمراهق يمكنه أن يكشف عن اهتمامات والديه نحوه، وبالتالى إذا سعى الآباء إلى مودة الصغار، ومن ثم وثق الأبناء فى الآباء وتعلقوا بهم، كان ذلك دافعاً لهم للاستجابة للمطالب الأسرية والحقوق والواجبات المطلوبة منهم تجاه النظام الأسرى.

ب ـ الضبط والحزم دون مغالاة:

فإن فرض السلطة والاستبداد الذى قد يتبعه بعض الآباء، اعتقاداً منهم بأن هذه السلطة تمثل النظام الأسرى الأصلح لتقويم الأبناء، واحتفاظاً بهيبة الآباء. هذا السلوك من قبل الآباء أمر يتبعه فى الكثير من الأحيان، تمرد الأبناء على السلطة داخل المنزل وانحرافات سلوكية داخل المجتمع الأسرى والمجتمع الخارجى.

فاحترام النظام والضبط والربط قد لا يقدره إلا الراشد المطمئن إلى نفسه.

والمعتقد بين الكثير من الآباء أن القواعد والنظم والأحكام والربط الضبط داخل الأسرة، هى من الأمور الناجحة فى تهذيب الصغار وتوجيههم، وإذا خرج البعض من الأبناء على هذا النظام، لقوا العنف والاضطهاد وسوء العاقبة.

هذا وينبغى على الآباء الشعور بحاجات الصغار، ودفء المعاملة من جانبهم والاستماع إلى رغباتهم، والمرونة فى التعامل معهم، فليست القسوة الزائدة، ولا اللين الزائد بوسائل مجدية فى توجيه الصغار.

جـ ـ قواعد وقيود التعامل:

الضغوط التى تأتى من قبل الآباء والنظم التى يجب اتباعها وعدم الخروج عنها



قبل الأبناء . . . هذه الضغوط من شأنها إحداث تمرد من الأبناء وعدم مبالاة واكتراث بالآخرين.

فقد يحدث للصغار انتكاس نتيجة لقواعد أو قيود تُفرض عليهم دون غيرهم ممن هم فى مثل سنهم، وفى هذا ما يدعوهم للانحراف والتمرد. ذلك لأن الصغير مثلما يريد من أبويه المحبة والتقدير والاحترام، فهو فى ذات الوقت يبتغى نفس المشاعر من أقرانه، فإذا تعارضت القواعد والقيود التى يفرضها الآباء مع تلك التى يراها الصغير بين أقرانه افتقد الصغير انتماءه إلى أسرته، وبدأ الصراع بينه وبين ذويه.

د ـ الحماية المفرطة من الآباء:

فالحماية المفرطة من قبل الآباء على الأبناء، والتدخل فى شئونهم والإشراف الدائب عليهم فى لعبهم وسكونهم وطعامهم وتقييد الحرية عليهم، وعدم إعطائهم فرص التصرف، كل ذلك يُعطل النمو الانفعالى للأبناء ويحدث سوء التوافق مع الوالدين.

إذ إن هذا ما يُفقد الاستقلال فى النمو، بل من المعروف من الناحية النفسية أن الصغار الذين يفتقدون الاستقلالية وهم صغار، لا تتاح لهم فرص الاعتماد على النفس أو ما يُعرف بالفطام النفسى، وغالباً ما يصبح هؤلاء الصغار ـ فيما بعد ـ غير أسوياء متمردين على الضبط والنظام والسلطة. وانحرافات الأحداث والشباب مرجعها الأساسى سوء التكيف الأسرى وضعف العلاقات والروابط الأسرية.

لذلك ينصح لمزيد من الروابط الأسرية والتماسك الأسرى، تشجيع الأبناء على تحمل المسئولية وتقليل القيود والموانع التى تفرض عليهم، والتى قد يُبالغ فى حدودها مع عدم التراخى والتساهل أكثر من اللازم، حتى نوجد المناخ الأسرى الصحى المناسب للنمو الاجتماعى والانفعالى الصحيح للأبناء.

هذا، وعلى الآباء مراعاة أن مروق الأبناء وعصيانهم فى بعض الأحيان ـ يجب ألا يقابل بالقسوة الزائدة أو الثورة والعقاب الصارم من قبل الآباء، بل يجب تفهم الأسباب والدوافع وراء السلوك غير المرغوب فيه من قبل الأبناء.

هـ ـ تضييق فرص الخلاف بين الآباء والأبناء:

فإن الآباء يعتقدون أن مرحلة المراهقة بالذات، هى مرحلة عدم الاستقرار، بل هى مرحلة تقلب انفعالى حاد، فأحياناً تكون الاستجابة المطلقة للضبط والربط والطاعة



والإلتزام، وأحياناً يكون الضيق والتمرد على النصائح المفيدة بل والتمرد على أقل ضوابط النظام والتحدى بأن المراهق يعرف الصواب أكثر من الكبار.

لذلك حتى يتجنب الآباء المشاكل بينهم وبين أبنائهم، وحتى يعملوا على تقليل الخلافات بينهم وبين صغارهم، عليهم تقبل وتفهم التناقض فى سلوك أبنائهم المراهقين. بل إن التقلب والانحراف السريع من التبعية والاعتماد على الكبار، إلى التحرر والاستقلال الكلى، وهو من السمات الظاهرة فى سلوك المراهقين، وهذه التغيرات هى محاولة الأبناء لحل مشاكلهم الاجتماعية والانفعالية.

والتذبذب فى سلوك الأبناء بين تقبل توجيه الآباء، والتمرد على سلطتهم، مبعثه رغبة الصغار فى الاستقلالية، ورغبتهم فى الاعتماد على غيرهم للتهرب من المسئولية.

وهذه المظاهر السلوكية أكثر ظهوراً إبان مرحلة عدم استقرار ومرحلة انتقال، يلتزم فيها المراهق، ولا يلتزم بما حوله من قيود ونظم وتقاليد وأعراف، وحيث يحاول التخلص من متاعبه حتى يبدأ فى الاستقرار .. إذا لم يواجه بالسلطة القاسية داخل المنزل أو خارجه.

وقد يُعارض الآباء التمرد الذى يحدث من قبل الأبناء، عندما يتخطون مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة.

والتمرد فى حدوده المعقولة سمة من سمات التوافق الأسرى، ورغبة الصغير فى مشاركة الكبار المسئولية، وأنه أصبح ناضجاً، وكلما تقبل الكبار من الآباء والمربين هذا التغير فى سلوك الصغار، وكان التوجيه بالإقناع والإرشاد والنصح، فإن التقارب بين الصغار والكبار سيتم حدوثه، بل سيقوم الصغار بتعديل وتحرير اتجاهاتهم السلبية وأفكارهم عن الكبار وسلوكهم نحوهم.

و ـ المشكلات الطارئة فى الحياة الأسرية:

قد لا يهتم الآباء بالمشكلات الطارئة للصغار، والتى قد يترتب عليها زيادة سوء التوافق بين الصغير وذاته، لذلك عندما تطرأ مشكلات فى حياة الصغار من الضرورى اهتمام الآباء بهذه المشكلات، والعمل على تعديل سلوك الأبناء حتى لا تزداد المشكلات ويترتب عليها مضاعفات.



وقد تزداد متاعب الصغار إلى الحد الذى يؤدى إلى عزلتهم عن باقى أفراد الأسرة، أو تتكاتف المضايقات إلى حد البكاء، أو العنف من قبل الصغار أو التفوه بجارح الكلم.

وحتى نحدث الالتزام والضبط والتوافق الأسرى، يلزم من الآباء إيجاد متنفس لهموم الصغار، ولما يعانونه من المشكلات أو الآلام النفسية.

ويمكن أن يتم ذلك بتشجيع الصغار والمراهقين على الإفصاح عن مشاعرهم وزيادة الصلة العاطفية بين الآباء والمربيين.

٦ - التباعد بين جيل الآباء وجيل الأبناء:

جانب آخر هام من جوانب الالتزام بالضبط والربط والنظام فى المجتمع الأسرى بصفة خاصة والضبط الاجتماعى بصفة عامة، وهو ما يتمثل فى الانفصالية بين جيل الحاضر الممثل فى الأبناء وجيل الماضى الممثل فى الآباء، حيث تظهر فى كثير من الأحيان سلطة الآباء فى فرض معاييرهم دون مبالاة بمطالب الجيل الذى ينتمى إليه الأبناء.

والواقع أن الإمكانات الحاضرة والتغير الحضارى السريع الذى تشهده الساحة العربية وعدم إقناع الآباء فى الكثير من الأحيان بالمستورد من الأفكار والتقاليد والمعايير التى تخالف ما عاش عليه الآباء ... هذه الانفصالية ... من شأنها إحداث عدم التماسك الأسرى، الأمر الذى يحتاج من الآباء مساعدة وتوجيه الأبناء، عندما يحاولون إلزامهم بالمعايير والعادات والتقاليد وقواعد الضبط والنظام، مع الاهتمام بمطالب الجيل الذى ينتمى إليه الأبناء، وكلما أدرك الآباء أن سوء التوافق من قبل الأبناء مرجعه فوارق الحضارة بين جيل الآباء وجيل الأبناء وأن نظرة الأبناء إليهم، قد تصفهم بأنهم من جيل عتيق متزمت، وكانت محاولات الآباء التغلب على هذه النزاعات فى نفوس الصغار، عن طريق المناقشة والحوار الهادئ وزيادة الثقة بينهم وبين أبنائهم، وتعديل الأفكار السلبية من الأبناء، كلما أدى ذلك إلى تقارب وتطابق أسرى أكبر، بل إن هذا ما يُضيق الثنائية والتعارض بين الأجيال، ويُقرب من الاتجاهات داخل الأسرة الواحدة، حيث تتاح فرص التعبير عن المشاعر، ولا تُفرض السلطة من قبل الآباء تجاه أبنائهم.



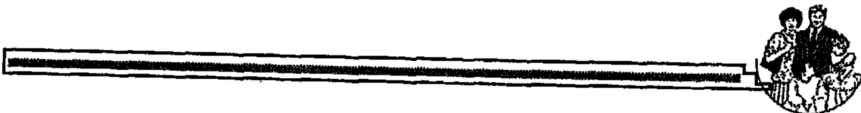
٧- تنمية الاستقلالية والذاتية بين الأبناء:

تنمية الذاتية والاستقلالية بين الأبناء، عن طريق إتاحة فرص المشاركة فى الأدوار الاجتماعية من شأنها تدعيم الحياة الأسرية المتماسكة وتقليل المشاكل التى يعيشها جيل الأبناء.

والافتقار إلى الذاتية وإثبات الذات بين الأبناء، مرجعه التناقض فى سلوك الكبار، والتناقض فى نظام القيم والمعايير المعلنة داخل الأسرة أو المدرسة أو المؤسسة التربوية والإجبار على احترامها، بل إن التناقض بين القديم وبين ما يقتنع به القدامى والكبار من أهميته وقدره، وبين الحديث الذى يقتنع به الصغار والأحداث من أهميته وقدره، وبين قيم الجماعة والرفاق الصغار وبين قيم الكبار والآباء .. هذه التناقضات من شأنها إحداث اضطرابات فى نفوس الصغار، وتكون من نتائجها الانعزالية والاغتراب أو فقدان الثقة بالذات وربما العصابية والفصام. لذلك من أجل تقليل الصراعات فى التفاعل والتعامل الأسرى، ومن أجل تماسك أسرى أفضل فى مجتمعاتنا العربية، ومن أجل علاقات وانتماء أسرى بين أفراد الجماعة الأسرية فى الوطن العربى قد لا يتم الانتماء وتأكيد الذات وثقة الأبناء بأنفسهم عن طريق النصح والوعظ ولا عن طريق الإرغام والقهر، بل عن طريق مشاركة الأبناء مشاركة فعلية فى التصرف فيما يتصل بحياتهم وفى مسئولياتهم وأدوارهم الاجتماعية، حيث تتاح لهم الفرص المناسبة للتعبير عن مشاعرهم، فى جو أسرى هادئ، يحدوه النظام والضبط دون إفراط أو تفريط، وفى هذه التنمية الاستقلالية ما يُدرب الأبناء على المواطنة والانتماء كمواطنين.

لذلك فإن تأكيد الذات وتحديد الهوية بالنسبة للأبناء من شأنه إيجاد وتوحد إيجابى مع الوالدين وإعطاء الفرصة أمام الأبناء للوصول إلى قرارات إيجابية، ومن ثم ما يدفع الأبناء إلى مشاركات إيجابية فى مجالات أكثر اتساعاً عن نطاق الأسرة وأكثر التزاماً للضوابط والتماسك الاجتماعى فى المجتمع الأم، ومن ثم يكون الحفاظ على الأصالة والقيم والتقاليد ونحن على مشارف قرن جديد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



المراجع:

١ - ابن منظور(د.ت): لسان العرب - المجلد الرابع - بيروت : دار الفكر

٢ - أحمد أبو زيد (١٩٧٦): البنا الاجتماعى، مدخل لدراسة المجتمع - الطبعة الخامسة - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣ - أبو بكر جابر الجزائرى(١٩٨٤): منهاج المسلم - الطبعة الخامسة - جدة : دار الشروق.

٤ - جُهينة سلطان (١٩٨٣): آثار العمالة الأجنبية على الأسرة العربية - التأثيرات الاجتماعية للمربية على الأسرة فى المجتمعات الخليجية - الكويت: ندوة العمالة الأجنبية فى أقطار الخليج العربى.

٥ - جون بولبى (اختصار مارجرى فراى) (د. ت): علم النفس التربوى (رعاية الطفل وتطور الحب) ترجمة دكتور سيد محمد خيرى وآخرين - مصر : دار المعارف.

٦ - حسن شحاتة سعفان (١٩٦٨): العلاقات الاجتماعية والعامة - ماهيتها وفلسفتها ،مجالاتها وقياسها - الطبعة الثالثة. القاهرة: دار النهضة العربية .

٧ - حنان شاهين الخلفان (د. ت): الخدم والمربيات الأجنبيات وأثرهم على الأسرة البحرينية - دراسات وقضايا من المجتمع العربى الخليجى - المنامة - البحرين.

٨ - زكريا الشربينى (١٩٨١): التوافق النفسي وعلاقته بدافع الإنجاز فى مرحلة الطفولة المتأخرة، رسالة دكتوراه كلية البنات جامعة عين شمس، القاهرة.

٩ - زكريا الشربينى ويسرية صادق (١٩٩٦): تنشئة الطفل . القاهرة - دار الفكر العربي.

١٠ - زكريا الشربينى (١٩٩٤): المشكلات النفسية عند الأطفال. القاهرة: دار الفكر العربي.

١١ - سناء الخولى (١٩٨٤): الأسرة والحياة العائلية - بيروت: دار النهضة العربية.

١٢ - سهيلة زين العابدين حماد(١٤٠٤): بناء الأسرة المسلمة - جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع.



١٣ ـ عبد الحميد محمد الهاشمى (١٩٧٢): علم النفس التكوينى ـ أسسه وتطبيقاته من الولادة إلى الشيخوخة ـ الطبعة الثانية ـ بيروت: لبنان.

١٤ ـ عبد الله النافع آل شارع، عبد المجيد سيد أحمد منصور (١٩٨٦): سيكولوجية الشيخوخة فى ضوء الهدى الإسلامى ـ حلقة رعاية المسنين فى الإسلام ـ أبوظبى ـ دولة الإمارات العربية المتحدة.

١٥ ـ عبد المجيد سيد أحمد منصور (١٤٠٤): الإدمان (أسبابه/ مظاهره. الوقاية والعلاج) ـ الرياض : وزارة الداخلية ـ مركز أبحاث مكافحة الجريمة.

١٦ ـ عبد المجيد سيد أحمد منصور(١٤٠٧): دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعى فى المجتمع العربى ـ الرياض: المركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب.

١٧ ـ عبد المجيد سيد أحمد منصور(١٩٩١): توجيه وإرشاد الشباب المسلم نحو وقت الفراغ ـ مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامى.

١٨ ـ علاء الدين كفافى (١٩٩٩): الإرشاد والعلاج النفسى الأسرى ـ القاهرة: دار الفكر العربى.

١٩ ـ فؤاد البهى السيد (١٩٧٦): الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة ـ الطبعة الخامسة ـ القاهرة: دار الفكر العربى.

٢٠ ـ فاطمه الغرباوى (١٩٧٥): الشيخوخة ـ هل هى مرض؟ ـ المجلد السادس ـ العدد الثالث ـ الكويت: عالم الفكر.

٢١ ـ محمد عاطف غيث ١٩٧٩ :قاموس علم الاجتماع ـ القاهرة: الهيئة العامة للكتاب

٢٢ ـ محمد عصام فكرى (١٩٧٥): عالم الشيخوخة ـ المجلد السادس ـ العدد الثالث ـ الكويت: عالم الفكر .

٢٣ ـ محمد عبد المنعم نور (١٩٩٠): التقدم فى السن (دراسات اجتماعية ونفسية) الشيخوخة من منظور اجتماعى ـ الطبعة الأولى ـ الكويت: دار القلم.

٢٤ ـ يسرية صادق (١٩٨٢): دراسة المتغيرات ترتبط ببعض أبعاد التكوين النفسى للطفل داخل الأسرة. رسالة دكتوراه . كلية البنات جامعة عين شمس. القاهرة.



المراجع الأجنبية:

1 - American Psychiatric Association (1994): Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders (4 rd. ed rev.) Washington, DC: Author

2 - Beach, S., Sandeen, E. and O,leary, K.(1990): Depression In Marriage. New york: Guilford Press.

3 - Bowen, M. (1994): Family Therapy in Clinical Practice. New Jersy: Jackson Aronson, Inc.

4 - Bradbury, T. and Finchan, F. (1990): Attributions in Marriage: Review and Critique. Psyological Bulletin, vol. 107, PP.3-33

5 - Brody, G., Stoneman, Z. and McCoy, J. (1994): Forecasting Sibling Relationships In Early Adolescence From Child Temperaments and Family Processes In Middle Childhood. Child Development, Vol. 65, PP.771-784.

6 - 7 Burgess, E. Locre, H. (1953) The Family, new york American Book Co The Macmillan Co.,

7 - Cook, W. and Goldstein, M. (1993): Multiple Perspectives on Family Relationships: Alatent Variable Model. Child Development. Vol. 64, PP.1377-1388.

8 - Davies, P. and Cummings, E. (1994): Marital Conflict and Child Adjustment: An Emotional Security Hypothesis. Psychological Bulletin, Vol. 116, PP.387-411.

9 - Emery, R. (1994): Renegotiating Family Relationships. New York: Guilford Press.

10 - Fincham, F. (1994): Cognition In Marriage Current Status and Future Challenges. Applied and Preventive Psychology: Current Scientific Perspecventives, vol. 3,PP.185-198.

11 - Fincham, F. and Bradbury, T. (1990): The Psychology of Marriage. New York: Guilford Press.

12 - Fincham, F. and Osborne, L. (1995): Understanding Marriage and Marital Distress: Do Milliseconds Matter?. J .Family Psychology, vol. 9, PP.24-27

13 - Godde W. (1964): The Family. New Jersey Prentice' Hall Inc, Englwood Cliff, PP.3-4



14 - Goldenberg, I. and Goldenberg, H. (1991): Family Therapy. California: Booksicole Company Pacific Grove

15 - Goode W. (1977) Principles of Sociology. Mc Craw- Hill, inc, PP 368 -369

16 - Hatfield, A. (1990): Family Education in Mental Illness. New York: Guilford Press.

17 - Jouriles, E. and Norwood, W. (1995): Physical Aggression Toward

18 - Boys and Girls in Families Characterized by Battering of Women. J. Family Psychology, Vol. 9, PP.69-78

19 - Kerig, P. (1995): Triangles In The Family Circle: Effects of Family Structure On Marriage, Patenting, and Child Adjustment. J. Family Psychology, vol. 9. , PP.28-43

20 - Osborne, L. (1995): Preinteraction Expectation, Marital Satisfaction, and Accessibility: A New look at Sentiment Override, J. Family Psychology, vol. 9. PP.3-14.

21 - Reid, W. and Crisafulli, A. (1990): Marital Discord and Child Behavior Problems: A Meta Analysis. J . Abnormal Child Psychology, Vol. 18, PP.105-117.

22 - Rowe, D. (1994): The Limits of Family Influence. New York: Guilford Press.

23 - Spoth, R. and Redmond, C. (1995): Parent Motivation to Enroll in Patenting Skills Programs: A Model of Family Context and Health Belief Predictors . J . Family Psychology, vol. 9, PP.244 - 310

24 - Steven, R. and Evelyn, E. (1990): Depression in Marriage. New York: The Guilford Press.

25 - Tein, J., Roosa, M. and Michaals, M. (1994): Agreement Between Parent and Child Reports on Parental Behaviors . J. Marriage and the Family, vol. 56, PP.341-355.

26 - Webester's :New World Dictionary - College Edition.

27 - Zuo, T. (1992): The Reciprocal Relationship Between Marital Interaction and Marital Happiness: A three - wave Study. j. Marriage and the. Family, vol.54, pp. 870-878.

٩٩/١٣٥١٠	رقم الإيداع
977- 10 -1284-3	I. S. B. N الترقيم الدولى



الأستاذ الدكتور

عبد المجيد منصور

★ حصل على البكالوريوس عام ١٩٥٢م.

★ عمل فى ستة مكاتب لوزراء التعليم العالى والبحث العلمى حتى عام ١٩٦٩م.

★ عمل ملحقا ثقافيا بسفارة جمهورية مصر العربية بالولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٩٧٢م..

★ عمل فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية حتى عام ١٩٧٦م.

★ عمل بكلية التربية جامعة الأزهر عضوا غير متفرغ لهيئة التدريس ١٩٧٣م. واستاذا مشاركا بكلية التربية جامعة الملك سعود حتى عام ١٩٨٦م واستاذا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حتى عام ١٩٨٩م، وأستاذا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض حتى عام ١٩٩٣م.

★ يعمل حاليا اختصاصى أساليب بحوث بإدارة الأبحاث والتعليم، بمؤسسة سلطان بن عبد العزيز الخيرية بالرياض.

★ عضو الجمعية السعودية للعلوم النفسية والتربوية (جستن).

★ اختير من قبل المركز العربى للدراسات الأمنية بالرياض لبحث ودراسة عدد من الموضوعات العلمية.

★ له مؤلفات فى مجالات التفوق العقلى والموهبة والسلوك الإجرامى والمخدرات والعقاقير المخدرة وعلم النفس التربوى والتقويم التربوى والشخصية الإنسانية والهدى الإسلامى وموسوعة تنمية الطفل ونمو اللغة النفسى ورعاية الشباب.

★ له العديد من البحوث فى مجالات مفهوم الذات والشخصية وسيكولوجية الشيخوخة والهدى الإسلامى، والمقاييس العقلية واختبارات اللغة والذكاء والقدرات والمخدرات والجريمة.

★ اشرف وناقش العديد من الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه وشارك فى ندوات ومؤتمرات بجامعات مختلفة.



الأستاذ الدكتور

زكريا الشربينى

★ حصل على البكالوريوس عام ١٩٧٢م.

★ عين معيدا ثم مدرسا مساعدا بكلية البنات جامعة عين شمس حتى عام ١٩٨٠م.

★ عين مدرسا بكلية البنات جامعة عين شمس عام ١٩٨١م.

★ عمل أستاذا مساعدا بكلية البنات جامعة عين شمس حتى عام ١٩٩٠م.

★ عمل أستاذا مشاركا ثم أستاذا بكلية التربية جامعة الملك سعود بالرياض حتى عام ١٩٩٧م.

★ يعمل حاليا أستاذا بجامعة الإمارات العربية المتحدة ومديرا لمركز الانتساب الموجه.

★ عضو جمعية علم النفس الأمريكية (APA) والجمعية المصرية لعلم النفس والجمعية السعودية (جستن)، وعضو المجلس العلمى بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية سابقا.

★ اختير مستشارا وباحثا مشاركا بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض فى عديد من البحوث.

★ له مؤلفات فى مجالات الإحصاء النفسى والتربوى والاجتماعى والإحصاء اللابارامترى والتقويم والتنشئة الاجتماعية للأطفال وتصميم برامجهم العلمية والرياضية والتربوية والمستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى العلوم الإنسانية والمشكلات النفسية عند الأطفال وسيكولوجية الطفولة.

★ له العديد من البحوث فى مجالات المفاهيم ونموها عند الأطفال وتصميم برامجهم وعلاقتها بنواحى شخصياتهم، والذكاء ومفهوم الذات ووجهة الضبط والاندفاعية لدى الأطفال، وفصائل الدم وأبعاد الشخصية والإنجاز وحب الاستطلاع وسلوك التخريب عند الطفل، وخصائص معلمات الأطفال وكذا بحوث فى مجالى اختيار فقرات الاختبارات وصدق وثبات الاختبارات والمقاييس، كما أن له نموذجا للكشف عن صدق الاختبارات ونموذجا آخر للكشف عن صلاحية البنود.

★ أشرف وناقش العديد من الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه وشارك فى ندوات ومؤتمرات بجامعات مختلفة.